

العدد الأول ـ السنة الثالثة عشرة ـ شعبان 1389 ـ نوفمبر 1969

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

في هـذا العـدد :

صفحة

تصدرها
وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الأول
السنة الثالثة عشرة
شعبان 1389
نوفمبر 1969
ثمن العدد :
درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة ، والشرفي 30 درهما
فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد

بعث إسلامي رائع ...

تستأنف ((دعوة الحق)) نشاطها الدائب، وعملها المخلص ، بعد ان احتجبت فى عطلتها الصيفية المعتادة، وتجدد عزمها القوي لاتمام الدور الهام الذى اضطلعت به منذ فجر الاستقلال الرامـي الى تركيز الثقافة الاسلامية الهادية ، واشاعـة العلـوم العربية المومنة التى يعمل لها دعاة الثقافة والفكر والاصلاح فى هذه البلاد .

وهي بهذا العدد تستقبل سنتها الثالثـة عشـرة ، يحدوهـا أمل باسم ، ومستقبل واعد مشرق ، وارادة حازمة لتضيف الى حياتها العامرة ، وسجلهـا الحافل حلقة جديدة فى بناء شخصية المغرب الثقافية ، واحياء العقيدة السليمة ، والعمل على نشر المعرفة الحق ، وتربية الشعب بما يرقي عقله ، ويهذب ذوقه ، ويصقل ذهنه ، ويفتح امامه سبل الخير والفلاح ...

فلا غرو اذا كانت ((دعوة الحق)) مشعلا وهاجـا يضيء الطريق لنهضتنـا الفكرية الراهنة ، ومنارا هاديا رافق ركب تطور المغرب الحديث ، وحافـزا قويا يبعث على احياء الشخصية المغربية الاصيلة ...

* * *

وقد كانت دائما ، وما تزال ، تقف بجانب الشعوب المكروبـة المناضلـة ، والامم المكافحة الباسلة ضد الظلم والطغيان ، وتجند طاقاتها بتفجير أنبل القيـم، واسمى المعاني فى نفوس المظلومين ، وهي ما برحت ، الى اليوم ، تساند الشعوب المضطهدة التى تكابد رهقـا من ويـلات الاستعمـار ، وتعاني صعودا من مكايـد الصهيونيـة المجرمـة التي اغتصبـت جـزءا عـزيـزا مـن بـلاد الاسـلام والتى تصب جـام غضبهـا وكراهيتها ضـد الشعـب الفلسطيني المناضـل

الذى غضب للاهانة ، وثار للعدوان ، وما زال يعمل فى تفان وتضحية على تحرير بلاده من ايدي الغاصبين المعتدين نفايات الشعوب وشذاذ الآفاق ، حتى يتحقق له النصر المؤزر ، ويتجلي الغيهب الكثيف عن وضح الفجر ...

❋ ❋ ❋

وفى الصيف الماضي نجمت فى الاراضي الاسلامية المقدسة احداث جسام ، وكوارث داجية ، سببها اعداء الانسانية ، حينما تجلى مكرهم الصارخ ، وعملهم الطائش ، واقدامهم الارعن فى احراق أعز الاماكن المقدسة عند جميع المومنين بالكتب السماوية ، مما هز أرجاء العالم الاسلامي وأثار حفيظة المسلمين ، وهيج الحماس والحمية فى كثير ممن يحبون الحرية ، ويعشقون السلام ..

ولفرط هول الجريمة النكراء ، وفداحة النكسة المؤلمة لعب الاحساس العنيف دوره فى جعل الامم الاسلامية تبحث عن الخلاص ، وتتلمس طريقا لاحبا يعيد الثقة الى القلوب ، ويبعث الطمانينة فى النفوس ، ويوقف العدو الماكر عند حده ، ويجعل عقد مؤتمر قمة اسلامي أمرا ممكنا يستجيب لعقده قادة الشعوب الاسلامية بالسرعة المطلوبة والعمل الحازم .

❋ ❋ ❋

ولقد عاش هذا اللقاء الاسلامي الرائع حلما جميلا داعب الضمير الاسلامي منذ عدة قرون ، بعد ان تعثر فى طريقه بسبب التخلف والجمود ، ردحا من الزمن غير قليل ، الا انه تبلور بصيحات زعماء الاصلاح ، وعلماء الدين ، ودعاة التجديد الذين ارصدوا الاهبة للقيام ببث الفكرة الاسلامية على وجهها الصحيح ، والاخذ بضبع المسلمين ، وانتشالهم مما حاق بهم من كيد الاستعمار الذى كان يفت فى الاعضاد ، ويفل غرب العزيمة ، فكان من هؤلاء الرواد السيد جمال الدين الافغاني والشيخ رشيد رضا ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وانور باشا وغيرهم من رجال الاصلاح والتجديد .

❋ ❋ ❋

وقد انبعثت فى المؤتمر الاسلامي الذى انعقد عام 1964 بموقاديشيو عاصمة الصومال دعوة مومنة ترمي الى عقد اجتماع قمة اسلامي كبير يستهدف جمع كلمة المسلمين ليزدادوا تعارفا وتآلفا ، ويتباحثوا فى شؤون شعوبهم ، ويعززوا صفوفهم ، ويؤلفوا قوة جبارة تكفل لهم حياة رافهة ، وعزا منيعا ، كما يضمن لهم فرص وجودهم فى معترك الحياة ، ويعطيهم المكانة المرموقة التى يجب ان يحتلوها على الصعيد العالمي ..

❋ ❋ ❋

وفى مكة المكرمة جدد مؤتمر رابطة العالم الاسلامي فى اجتماعه فى اعقاب حج 1965 الدعوة لعقد مؤتمر فى مستوى القمة ، كما شرح جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود في زيارته لعديد من العواصم الاسلامية دعوته الى عقد اجتماع فى مستوى عال يستهدف تقاربا اسلاميا خالصا ، وقد حل جلالته بالمملكة المغربية عام 1966 ضيفا على امير المومنين مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده ، والقى صاحب الجلالة بمناسبة هذه الزيارة خطابا جامعا صريحا دعا فيه حفظه الله الى توحيد الصف ، وجمع الكلمة ، وتآلف القلوب ... ومواقف سيد البلاد فى هذا الميدان غنية عن كل بيان ، فهو حفظه الله وايده ، فى سبيل نشر الاسلام ، والعمل للدعوة له ، والذياذ عن حياضه وحماه حركة دائبة لا تفتر ، وزحف هادر لا يقف ، ومما جاء فى هذا الخطاب:

« ان ايماننا هذا هو الذى دفع بنا كذلك الى الترحيب بدعوة تآلف شعوب المسلمين ، وجمع صفهم ، وتوحيد كلمتهم ، تحقيقا لمصداق الحديث : المومن للمومن ، كالبنيان يشد بعضه بعضا ، فنحن نفهمها كما تفهمها جلالتكم ، ونريدها كما تريدونها دعوة اسلامية تستجيب لواقع الاسلام والمسلمين ، ولم نردها ولن نريدها اخوة يتكتل فيها بعضنا ضد بعض ، ولم نتصورها فى خدمة مصلحة خارجة عن مصلحة المسلمين انفسهم ، كما لا نريدها ان تكون اخوة متعصبة عدوانية او يستغل فيها الدين للمساومة على الرخيص من الاغراض والمصالح ، وفى كلمة جامعة ، نريدها كما تريدونها ، قوة تعزز قوات السلم والحرية ، وفى خدمة اغراضها ، وان منها الدعوة لتآلف شعوب المسلمين ...

❊ ❊ ❊

وفى شهر ابريل الماضي من سنتنا الحالية احتضنت كوالا لمبور عاصمة ماليزيا مؤتمرا اسلاميا دوليا فى مستوى الحكومات بمقتضى الدعوة التى وجهتها حكومة هذه البلاد الى الاقطار الاسلامية ، وقد قرر المؤتمر دعوة جميع الدول الاسلامية الى مؤتمر سياسي على مستوى عال يضم ملوك ورؤساء الدول الاسلامية للتباحث والتشاور لتخليص القدس من التهويد ، وتحرير فلسطين السليبة ، وعودة شعبها الباسل المنكوب اليها حرا ظافرا ، وكان هذا المؤتمر فرصة فريدة فى تاريخنا الاسلامي الحديث حيث سجل تقاربا متينا حيويا مثمرا بين البلدان الاسلامية ، كان مناسبة لابراز التضامن والوئام بين الاخوة المسلمين فيما يعود على بلدانهم وشعوبهم وعلى المسلمين بالخير المحض والنفع العام ، حتى يشعروا عن وعي يقظ ، وتبصر حي ، بقوتهم السياسية والبشرية ، وامكانية تسخيرها لخير شعوبهم ولصالح الانسان .

❊ ❊ ❊

وبروح تفيض حماسا وثقة ، واخلاصا وفعالية عقد ملوك ورؤساء الدول الاسلامية مؤتمرا عظيما بمدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية التى جعلها الله للامة الاسلامية مرفأ امينا فى كل عاصفة ، وملاذا حصينا اذا ادلهم الخطب ، وتلاحقت المكاره، وتواثبت الاحداث ، فكان هذا المؤتمر العظيم تتويجا للجهود المضاعفة التى

بذلها صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده في جميع المناسبات لتوحيد كلمة المسلمين ، واجتماع قاداتهم وملوكهم ورؤسائهم للقضاء على اسباب النفرة الطارئة ، وتقريب مسافة الخلف ، والعمل على محو آثار النكسة الاليمة التى وقعت فى سعيرها الامم الاسلامية .

وقد جاء هذا اللقاء التاريخي العظيم يبشر بتجمع القوى الشتيتة فى الامة الاسلامية ، ويؤكد عزم رؤسائها على تحرير الاماكن المقدسة من العبودية الطاغية، والاحتلال الغادر ، ولا شك ان الرأي العام العالمي لاحظ تأكيد العالم الاسلامي فى تاييده المطلق لشعب فلسطين فى نضاله التحريري ، وجهاده المقدس ، ودفاعه المشروع ضد الظالمين العتاة ، كما كان البيان النهائي لاشغال المؤتمر واضحا مركزا، بعيدا عن كل تعصب مقيت ، او عنصرية رعناء ، او حقد دفين ، او ديكتاتورية باغية ... لقد نجح مؤتمر القمة الدولي الذى انعقد برباط الفتح نجاحا باهرا منقطع النظير ، ترك السنة الوفود الاسلامية ، وجميع الملاحظين فى الداخل والخارج تلهج بالثناء والتقدير والاكبار للجهود المضاعفة التى بذلها سيد البلاد حفظه الله الذى يواصل ليله بنهاره ، وينفق راحته، ويعقل جهوده فى سبيل القضية الاسلامية الكبرى التى يعمل لها فى صمت واصرار ...

واننا لنتمين بهذا البعث الاسلامي الرائع ، ونعتبره فجرا صادقا بدات تلوح اشعاعاته المتالقة فى غربنا الاسلامي لا يلبث ، باذن الله ، ان يعم سناه وضياؤه الآفــــاق .

ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله .

دعوة الحق


مؤتمر
القمة الإسلامي

من كلمات أمير المؤمنين مولانا الحسن الثاني
في الدعوة إلى وحدة صف الأمة الاسلامية

في يوم 30 ماي 1969 القى صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده خطابا يدعو فيه الى وحدة صف الامة الاسلامية لدى جوابه على تهنئة السلك الدبلوماسي المعتمد بالرباط

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

اصحاب السعادة ،

لقد تأثرنا لعبارات التهاني والتمنيات التى القاها نيابة عنكم عميد السلك الدبلوماسي المعتمد لدينا بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف – واذا كنا قد الفنا اغتنام مثل هذه المناسبات للاجتماع بكم – فاننا مسرورون للقيام اليوم مرة اخرى بمناسبة هذا العيد المجيد الذى يخلد به المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ذكرى ميلاد رسول الهداية والنور محمد صلوات الله وسلامه عليه . وان هذه الذكرى التى تستلهم منها العظمة والتجربة فى كفاحنا المتواصل لرفع مستوى شعبنا والاخذ بأسباب رقيه ، وتطوره لا تزيدنا بعون الله ومنه الا عزما على تخطي الصعاب واجتياز العقبات لبلوغ الاهداف البعيدة والقريبة التي رسمناها لانفسنا، والتي نستهدف بها استغلال طاقاتنا ومقدراتنا فى معركة الانمائية الراهنة، **على ان جهادنا هذا ما كان لينسينا ما ينتاب العالم من مشاكل تستأثر باهتمامنا باعتبارنا اعضاء فى الاسرة الدولية وعلى رأسها شعورنا بضخامة المسؤولية التى يفرضها علينا الحق العربي فى هذه المرحلة الحرجة والحاسمة من تاريخ الامة العربية والاسلامية فعلى امتداد تاريخنا الطويل ، وما حفلت به صحائفه من حوادث واحداث لم نمتحن فى وجودنا وكياننا وخصائصنا بمثل ما نمتحن به هذه الايام ، ولم نجد انفسنا أمام مسؤولياتنا التاريخية والمعمارية كما نجدها اليوم ، ذلك ان عناد أسرائيل وتماديها فى احتلال الاراضي العربية ، والاماكن المقدسة الاسلامية واستهتارها بالمواثيق والاعراف الدولية يعتبر مخططا يستهدف حضارتنا ومقدساتنا .**

ونحن ادراكا منا لهذه الحقيقة مصممون العزم على الاستمرار فى تضامننا مع شقيقاتنا الدول العربية المعتدى عليها ، وفى مؤازرتنا للشعب الفلسطيني الذى صار يفرض شخصيته ووجوده ، وتطلعنا الى اليوم الذى يسترد فيه ارضه المغتصبة ويسترجع فيه حقه المسلوب .

الدعوة إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي

وقال جلالته ايضا :

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه ،

وزراءنا الامجاد ،

حضرات السادة :

انه ليسرنا بهذه المناسبة ان نوجه اليكم ، ولمن تمثلونهم والى شعبنا الوفي من جميع طبقاته تهانئنا الحارة والخالصة بمناسبة هذا العيد المجيد المقدس الذى نحتفل به كعيد الانبعاث ، اقول **عيد الانبعاث** لانكم تعلمون كلكم الحالة التى كانت عليها البشرية سواء من الناحية الاقتصادية او الاجتماعية او الخلقية على الخصوص ، لقد اراد الله سبحانه وتعالى ، لهذا الجنس البشري لبني آدم الذى كرمه والذى اراد به ، ان يبلغ اوج الحضارة ، حتى صار يخترق العالم ، ويغزو الفضاء .

اراد الله بهذا الجنس البشري ، ان لا يبقى فى كبوته وان لا يستمر فى سنته ، وان يستيقظ ، وان ينبعث فارسل اليه محمدا صلى الله عليه وسلم الذى اشاع بين ابنائه ، على اختلاف طبقاتهم ، واجناسهم والوانهم وحضاراتهم . اشاع بينهم اسس التعامل فيما يخص البشر بينه ، والجماعات بينها . ديانة تمتاز بالحيوية . هذا التعامل هو الذى يجعلني اقول ، بكل افتخار وبكل حمد لله سبحانه وتعالى ، ان الديانة الاسلامية قد ضربت الرقم القياسي ، بالنسبة للديانات المنزلة ، ذلك انها لا زالت حية بيننا نمارسها يوميا ، وتواكب اعمالنا يوميا، وتسير معنا الى مدارسنا ، الى معاملاتنا ، الى متاجرنا ، الى حقولنا ، نجدها دائما كنبراس يرسم لنا الطريق ، وكمنار تشع انواره حتى يمكننا ان لا تختلف عنا السبل فنصبح من الحائرين .

لذا أريد ان أؤكد اليك شعبي العزيز ، أريد ان أؤكد ان الديانة الاسلامية ليست ديانة عبادات فقط ، ولكن هي فى الاول وبالتالي ديانة للتعامل والمعاملات.

وفي كلمة القيتها في الاسبوعين الماضيين وقلت فيها :

انني افسر حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، حينما كان يقول :

ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه . قرت المجاورة لا بالمجاورة في القرية ، ولا بالجوار في المدينة بل جوار المواطنين بعضهم لبعض ، والدول بعضها لبعض ، والقارات بعضها لبعض .

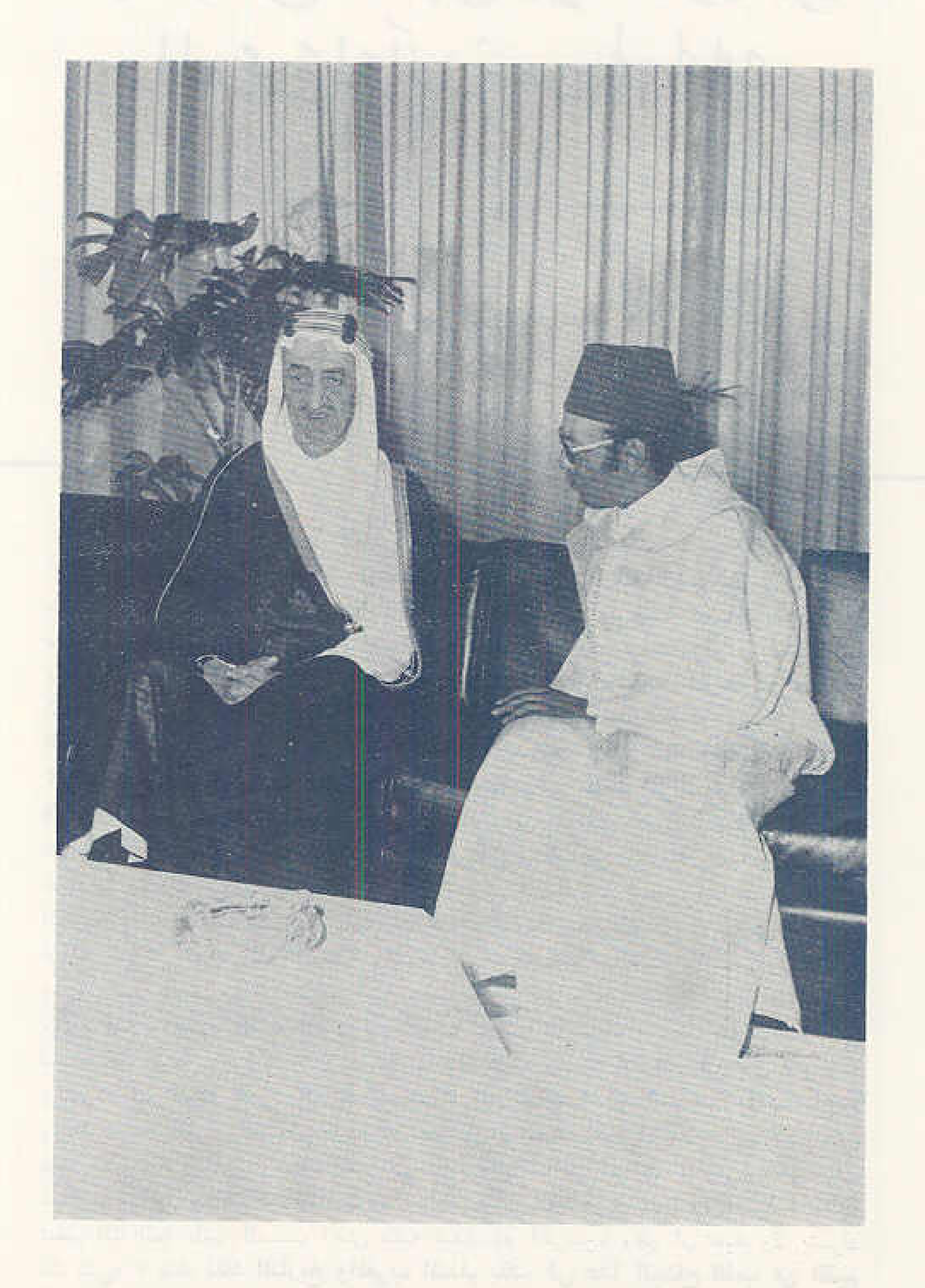
فلم تكن الدول الاسلامية ابدا في حاجة الى حسن المواطنة الى التعامل بمقاييس موحدة ، الى استعمال قاموس واحد اكثر مما هي عليه اليوم .

لذا فاننا نؤكد ونجدد دعوتنا لانعقاد مؤتمر قمة للدول الاسلامية ، حتى يمكننا على اكثر وارفع مستوى ان نخطط الخطى ، وان نرسم المخططات ، وان نعلم مانريد وما لا نريد ، ما هو ممكن الآن ، وما نتوق اليه ، حتى يمكننا ان نسير بهذا الدين حسبما يريده الله. ان الله يحب المؤمن القوي ، ولا يحب المؤمن الضعيف . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اليد العليا خير من اليد السفلى . فقوتنا ليست قوة الجبابرة ، وليست قوة طغيان ، وليست قوة استعمار ، ولكنها كانت ولا زالت قوة اشعاع وحضارة ، ويدنا يجب ان تبقى يدا عليا حتى تبقى كرامتنا مصونة ، وعزتنا موفورة ، وحتى نبقى نساير هذا الدين بما هو جدير به أن يسايره ، وهو ان يساير بالمجد وان يساير بالعزة ، وأن يساير بالرفاهية ، ولا عزة ما دمنا محتلين ، ولا تفكير في رفاهية اذا نحن لم ندافع عن حضارتنا وعن مقدساتنا ومقومات شخصياتنا . فلذا اكرر مرة اخرى دعوتي لعقد هذا المؤتمر الاسلامي ، وارجو من اخواننا عربا كانوا او غير عرب ، ممن يدينون بدين الاسلام أن يترفعوا عن كل الحزازات الشخصية ، وان يعلموا ، ان لا زال الوقت امامهم حتى يتسنى لهم ، ان يحلوا مشاكلهم الثنائية . وان لا حق لهم في نسيان واجبهم نحو الاسلام ، والحضارة الاسلامية ، وعلمائنا واطبائنا وفلاسفتنا ، ومعالمنا .

لاحق لهم ان يضيعوا فرصة بعد فرصة لعقد هذه الاجتماعات ، وذلك لاسباب واهية كأسباب شخصية ثنائية . نسأل الله التوفيق ونكران الذات .

والله سبحانه اسأل ان يلهمنا جميعا التوفيق ، وينزل في قلوبنا روح التسامح وروح النسيان ، ونكران الذات ، أن يسير بهذا البلد الامين في ظل القرآن الكريم ، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين ، وان يدخل على كل بيت بيت من شعبنا وامتنا المسرة والعز والهناء والامل . وان يدخل في قلوب كل واحد منا محبة رسول الله ، ومحبة كتاب الله ، والتعلق بمبادىء الله وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله .



صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده في جلسة خاصة مع
صاحب الجلالة الملك فيصل الاول عاهل المملكة العربية السعودية .

من كلمات صاحب الجلالة الخالدة للدعوة لتآلف شعوب المسلمين

في يوم 4 شتنبر عام 1966 القى صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده خطابا بمناسبة زيارة جلالة فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية جاء فيه :

... ان ايماننا هذا هو الذي دفع بنا كذلك الى الترحيب بدعوة تآلف شعوب المسلمين وجمع صفهم، وتوحيد كلمتهم تحقيقا لمصداق الحديث، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، **فنحن نفهمها كما تفهمها جلالتكم ، ونريدها كما تريدونها ، دعوة اسلامية تستجيب لواقع الاسلام والمسلمين ، ولم نردها ولن نريدها اخوة يتكتل فيها بعضنا ضد بعض ، ولم نتصورها في خدمة مصلحة خارجة عن مصلحة المسلمين انفسهم كما لا نريدها أن تكون اخوة متعصبة عدوانية او يستغل فيها الدين للمساومة على الرخيص من الاغراض والمصالح، وفي كلمة جامعة نريدها كما تريدونها ، قوة تعزز قوات السلم والحرية وفي خدمة اغراضها ، وان منها الدعوة لتآلف شعوب المسلمين ...** وتحديد مفهوم ما قد يكون الم بها من التباس لتسير من البداية في صف واحد ، وحتى لا يتخلف عن القافلة ركب ولا يستأثر بقيادتها صحب بدون صحب ، ان من واجبنا ان نذكر ونحن في هذا اللقاء التاريخي الذي نستبشر به ونعتز أن بلادكم كانت مهد الاشعاع الاسلامي منذ ان ارتفع صوت محمد عليه الصلاة والسلام مجلجلا بدعوة الحب والسلم والتآخي وانها منبع الحضارة الاسلامية التي عمت ربوع العالم ، ناشرة الوية الخير والرفاهية ومفجرة ينابيع النور في ظلمات العصر الوسيط ، ومن حق بلادنا التي تستقبلكم ضيفا عزيزا عليها ان نذكر لها انها تلقت رسالة الاسلام في اول فتوحاته وفتحت لها قلبها ، بل آزرتها وحافظت على تراثها من التلف والضياع ، وامتداد يد البغي والعدوان اليها ، فمنذ ان وصلت دعوة الاسلام الى بلادنا على عهد الصحابة الاولين وعطف عقبة بن نافع على ساحل المحيط الغربي منتهيا الى شاطىء آسفي وقائلا قوله المشهور : « اللهم اني لم اخرج بطرا ولا اشرا ، وانك لتعلم اننا انما نطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين، وهو ان تعبد ولا يشرك بك شيء » **منذ ذلك التاريخ والمغرب المسلم يقف في هذا الجناح للذب عن القيم الاسلامية وتعهدها ورعايتها .**

الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الاسلامي

شهدت عاصمة بلادنا يوم 22 شتنبر 1969 افتتاح اول مؤتمر قمة اسلامي ضم ممثلي الدول الاسلامية من كل انحاء العالم

وكانت حفلة افتتاح هذا المؤتمر محل اهتمام اغلب سكان العالم حيث تتبعها ، على شاشة التلفزيون بواسطة الاورفزيون ، ملايين الاشخاص فى جميع اطراف العالم ، كما حضرها المئات من مندوبي الصحف ومراسلي وكالات الانباء العالمية الذين قاموا بتزويد الراي العام العالمي بجميع اخباره بطريقة مباشرة

ووسائل الاعلام التى جهز بها المؤتمر كانت من الدقة والتنظيم بحيث تمكن جميع الصحفيين والمراسلين الاجانب من اداء مهمتهم على الوجه الاكمل ..

« وان الذين عاشوا لحظات افتتاح هذا المؤتمر شعروا بالافتخار والاعتزاز اذ تمكنوا من مشاهدة ممثلي الدول الاسلامية وهي تجتمع لاول مرة على مستوى اعلى للنظر فى شؤونها .

وقد اجتمع ملوك ورؤساء الدول او من ينوب عنهم فى الرباط وامامهم اخطر مشكل يواجهه المسلمون فى عصرهم الحاضر ، الا وهو التحدي الذى توجهه الصهيونية للاسلام والمسلمين فى مدينة القدس على الخصوص وفى فلسطين على العموم ، ولقد كانت جريمة احراق المسجد الاقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين ابرز مثال لهذا التحدي الصهيوني .

ولم يكن امام الاقطار الاسلامية الا ان تهب لمواجهة هذا التحدي وتقف صفا واحدا للقضاء على الخطر الذى يتمثل فى محاولة القضاء على كل اثر للاسلام فى فلسطين ، وهكذا استجابت حكومات الاقطار الاسلامية للدعوة الكريمة التى وجهها اليها جلالة الملك المعظم الحسن الثاني لعقد مؤتمر قمة اسلامي فى اسرع وقت ممكن .

حل اليوم المشهود يوم 22 سبتمبر 1969 الذى حدد كموعد لاجتماع ملوك ورؤساء الدول الاسلامية او من ينوب عنهم ، فاحتضنت عاصمة المملكة المغربية اول مؤتمر قمة اسلامي يعقد فى التاريخ .

وفى فندق هيلتون وبالضبط فى قاعته الكبرى نصبت الطاولة المستديرة التى تجمع حولها ممثلو الدول الاسلامية .

وفى الساعة السادسة وخمس وعشرين دقيقة من عشية امس دخل الملوك والرؤساء ورؤساء الوفود الاسلامية الممثلة فى المؤتمر الى القاعة فاهتزت بالتصفيقات الحارة لفترة طويلة واهتزت معها 700 مليون مسلم فى جميع انحاء العالم »



جلالة الامبراطور محمد رضا بهلوي شاهنشاه يلقي خطابه امام المؤتمر

جانب من القاعة التي عقد بها المؤتمر



وفي الساعة السادسة والنصف بالضبط صعد جلالة الملك المعظم الى المنصة الرسمية وسط تصفيقات جميع الحاضرين من رؤساء الوفود واعضائها ، واعضاء الحكومة والسلك الديبلوماسي والشخصيات الاسلامية وغيرها .

وقد ارتجل عاهلنا العظيم خطابا رحب فيه بالوفود واستخلص العبرة من هذا الاجتماع التاريخي .

وبعد انتهاء جلالته من القاء خطابه الكريم عاد الى مقعد رئاسة الوفد المغربي .

* * *

خطاب جلالة شاه ايران

والقى جلالة الامبراطور محمد رضا بهلوي شاهنشاه ايران خطابا امام المؤتمر شكر في بدايته جلالة الملك الحسن الثاني وجلالة الملك فيصل على الجهود التي بذلاها من اجل عقد هذا المؤتمر الذي يهدف الى خدمة قضية الاسلام والمسلمين، وعبر كذلك عن اعتزازه بالمشاركة في هذا المؤتمر الكبير الذي يعد اهم حدث في تاريخ العالم الاسلامي وقال: يجب ان لا يكون هذا المؤتمر الاول والاخير ، لان مثل هذه المؤتمرات تساعد على خلق جو من التفاهم الاخوي والاتصالات المباشرة بين القادة المسلمين.

وقال الامبراطور الايراني ايضا :

« ان فلسفة الاسلام كفيلة بأن تساعدنا على تقوية روابطنا وعلى مسايرة التقدم التقني والمادي الذى يشهده عالم اليوم »

ثم عبر جلالة الشاه عن يقينه بأن الدول الاسلامية تستطيع ان تفرض حب وتقدير العالم لها اذا ما صارت جميعها موحدة في طريق الحكمة والتعقل .

وبعد ان تمنى جلالة امبراطور ايران النجاح لهذا المؤتمر وللمؤتمرات الاسلامية الاخرى التى ستعقد في المستقبل **اقترح على المؤتمر ان يكون صاحب الجلالة الملك المعظم رئيسا لمؤتمر القمة الاول .**

* * *

واخذ الكلمة بعد ذلك جلالة الملك فيصل الاول عاهل المملكة العربية السعودية فايد اقتراح جلالة شاه ايران فأيدت جميع الوفود الاقتراح .

وقام صاحب الجلالة الملك المعظم واخذ مقعد رئاسة المؤتمر وسط عاصفة من التصفيقات الحارة وتناول الكلمة شاكرا للوفود هذه الثقة الغالية .

والقى الكلمة التالية :

اصحاب الجلالة ، اصحاب الفخامة ، اصحاب السمو ، اصحاب المعالي :

انني متأثر جدا للشرف الذى اوليتموني اياه ومن خلال شخصي المتواضع الى بلدكم وشعبكم المسلم هذا ، وسوف اعمل جهدي طيلة الجلسات على ان اسهل المامورية على الجميع ، وعلى ان اسهل النقاش والمذاكرات والمناقشات وعلى ان تكون جلساتنا جلسات ودية ، جلسات صداقة ، جلسات اخوة اكثر من ان تكون جلسات للنقاش او الخصومات او طرح المشاكل الجانبية دون المشاكل الحقيقية مرة اخرى اشكركم وبالاخص اشكر جلالة اخي شاه امبراطور ايران على الكلمات الرقيقة التى قال في حقي، كما اشكر جلالة الملك فيصل ملك المملكة السعودية، واشكركم جميعا على اقتراحكم ان اترأس هذه الجلسات وعلى الثقة التى اوليتموني اياها ، انني اسأل الله المعونة والتوفيق » .

والآن اعطي الكلمة اذا سمحتم الى نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة . .

* * *

« خطاب السيد انور السادات »

وتناول الكلمة السيد انور السادات عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي ووفد الجمهورية العربية المتحدة الذى تلا على المؤتمرين نص رسالة وجهها الرئيس جمال عبد الناصر الى المؤتمر جاء فيها :

صاحب الجلالة رئيس المؤتمر

اصحاب الجلالة والفخامة والسمو والمعالي

يشرفني **ان اتلو عليكم رسالة ارسلها اليكم الرئيس جمال عبد الناصر :**



الوفد المغربي في مؤتمر القمة الاسلامي برئاسة صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده .

« ايها الاخوة، كان بودي ان اكون معكم اليوم فى هذا المؤتمر العظيم الذى تناديتم له من اقاصي الارض انتصارا لقضية من اعدل القضايا واقدمها واكثرها قربا من الله

واذا كانت هناك ظروف صحية حالت بيني وبين مشاركتكم هذا اليوم التاريخي فاني ادعو الله من صميم القلب والصدق والامانة كلها ان يوفقكم وان يرعى عملكم وان يكون ملهما لكم وهاديا

ان جمعكم الكريم يعلم من حقائق قضية الامة العربية ونضالها ضد العنصرية الصهيونية المؤيدة من الاستعمار والمؤتمرة بأمره ما يغني عن اعادة شرحها لكم خصوصا وان هناك اخوة اعزاء لنا سوف يتولون عرض وقائعها عليكم كاملة ومفصلة .

واذا كان لي ما اضيفه فهو ان الحريق الذى اشعل عن عمد وبتدبير فى المسجد الاقصى المبارك ليس الا لمحة واحدة من صور اكبر ، حافلة بالنذر وبعلامات خطر داهم لا يستهدف الامة العربية وحدها .

ان شعوبا كثيرة من الشعوب الحرة فى عالمنا اصبحت الآن اكثر تنبها لحجم الخطر ومداه وليس يخالجنا شك فى ان الامم الاسلامية قائمة بدورها متحملة نصيبها عن وعي وتبصر وهي التى تهتدي فى طريقها بنور الاسلام ورسالته المحمدية الشريفة .

وفقكم الله الى ما فيه رضاه، والسلام عليكم ورحمة الله » .



الذي القاه مولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني أمام أعضاء المؤتمر الدولي الاسلامي المنعقد بالرباط

باسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

أصحـــاب الجلالـــة

أصحـــاب الفخامـــة

أصحـــاب السمـــو

أصحـــاب المعالـــي

حضـــرات الســـادة

قال الله تعالى فى كتابه العزيز ((لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم)) . صدق الله العظيم

اننا نعيش اليوم لحظة فريدة من نوعها ، قلما نال ان يعيشها جيل من الاجيال ، او مسؤول من المسؤولين او أمة من لاامم المسلمة ، ذلك ان الله سبحانه وتعالى بعد التفارق والتباعد ، والتنافر والتباغض ابت عنايته سبحانه وتعالى ، ورعايته الا ان تجمع صفوفنا ، وتوحد كلمتنا ، وان تجمعنا فى هـــذا البلد الذي هو بلدكـــم لنتذاكر ، ولنتعارف ، ولنتشاطر ، جميع المشاكل التي من شانها ان تحل بكل بلد مسلم .

سوف اكون من المتطفل ان قلت ان المغرب بلدكم هذا يرحب بكم .

ففي الحقيقة ان البلاد الاسلامية كلها فى مشارق الارض ومغاربها ترحب بنا جميعا ، ترحب باجتماعنـــا وبالتفاف كلمتنا .

ان حقبة من الزمن ليست بالقصيرة ولا بالسليمة مرت على بلادنا ، فاستعمرنا وانتصب على أرضنـــا الدخيل وعدو الديانة الاسلاميـــة فصار ذلك عـــارا ملصقـــا بنـــا .

وبالتالي بمعتقداتنا .

فبعدما كان الاسلام وقادته الاعـــلام ، وحكماؤه وأطباؤه وعلماؤه وفلاسفتـــه ، بعدمـــا كانـــوا روادا البشرية ، وبعدما كانوا قادة للحضارة ، اصبح يقال فينا ان الاسلام يعوق كل تقدم .

ان الاسلام لا يقف حاجزا بين من يعتقده ومـــن يعتنقه وبين كل تقدم ملموس فى الميدان الحيوي والميدان التربوي ، وفى الميدان الاقتصادي ، والثقافي والتقني .

لذا ارى لزاما علينا اولا ، وقبـــل كل شـــيء ان نعيد للاسلام مكانته ، وان نعيد لحضارتنا ما يجب لها من المقام الذي يجب ان تشغله .

وكيف نصل الى هذا يا ترى ؟

نصل اليه أولا باتحاد الصفوف وتوحيد الكلمـــة ثانيـــا .



نصل اليه بمسح العار وكل ما لطخ وجها من وجوه المسلمين بعار لحقهم من هنا وهناك .

علينا ان لا نبقى مكتوفي الايدي امام كل ما من شانه أن يلطخ ديانتنا او ان يمس مقوماتنا ، او من يجعلنا لا نهتز وقلوبنا لا تهتز لكل ما من شانه ان يجعلنا دولة متقهقرة ، متاخرة ، وقد احسسنا بهذا كله ، معشر الاخوان ، وكان شعورنا شعورا واحدا حينما المت بالمسجد الشريف وبمدينة القدس المطهرة، تلك المصيبة التي المت بها ، ولكن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه العظيم ، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، ولنعلم ان كل نقمة في طيها نعمة ، ولم يلبث ان وصلنا ذلك الخبر المفجع ، الا ورأينا وسمعنا ، وقرأنا الاحتجاجات والتنهدات والحماس .

من آسيا الى أوربا الى افريقيا .

كل ذلك يهز الارض هزا ويشعر العالم بعد ان نسينا أو تناسينا .

يشعره ان هناك قوة هائلة تمثل اكثر من نصف مليار من سكان هذا المعمور يشعرون شعورا واحدا ويدينون بدين واحد ويمسحون العار بيد واحدة وبعمل مشترك .

لذا أصحاب الجلالة ،

أصحاب الفخامة

أصحاب المعالي

لست في حاجة الى ان أؤكد لكم ما هو المنتظر منا

المنتظر منا ان لا نخيب رجاء الذي ينتظر أعمالنا.

المنتظر منا ان نعطي للعالم أن نعطيه فكرة جديدة

على تجمع المسلمين ، فكرة الفعالية ، فكرة العمل ، فكرة الواقعية ، فكرة الايجابية .

علينا ان نجعل من هذه الخطوة التي بارك الله فيها سبحانه وتعالى ، خطوة تتلوها خطوات ، ولبنة تقف على أسسها لبنات .

وأساسا يمكننا ان نبني عليه جدارا ، ذلك الجدار الذي يجمع بين جميع المسلمين ، كانوا في مشارق الارض او في مغاربها .

ان اخوانا لنا في مدينة القدس وبجوار المسجد الاقصى يقاسون ويعانون ، فعلينا ان لا ننساهم .

ان اخوانا لنا في الدين ، اخوانا لنا في الله ، شردوا ، حيث يعيشون تحت الخيام ، منذ عشرات السنين علينا ان لا ننساهم ، ولا يمكن ان يعقل ان يطرح في مؤتمر القمة ، للمنظمة الافريقية مثلا ، مشكل المشردين من روديسيا ، او يطرح في الفيتنام مشكل التقسيم او مشكل التشريد ، وان لا يطرح المشكل البشري ، ذلك المشكل الذي اهتمت به اولا وبالتالي هيئة الامم المتحدة منذ سنوات ، وأصدرت فيه قرارات وقرارات يكون من العار علينا ان لا ننكب كذلك على هذا المشكل وعلى هذه الحالة المزرية التي يعانيها اخوان لنا في الدين ، اخوان لنا في الله .

لا أريد ان أزيد على هذا الكلام لان هذا المؤتمر ليس مؤتمري ولا مؤتمر فلان او فلان ، انما هو مؤتمركم ، ولا حق لي في أن أوجه ، ولو بالتلويح عمل هذا المؤتمر الذي نريد ان يخرج منه المسلمون منتصرين متحدين وأقوياء أعزاء كرماء ، الا انني اريد باسمكم جميعا ان ارفع الى اخوين لنا لا نراهما هنا نظرا لتوعك في صحتهما ، وهما فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة ، وفخامة الرئيس جمال عبد الناصر .

وانني باسمكم لأرجو لهم الصحة والعافية حتى نراهم ، في الدورة المقبلة ان شاء الله ، يشاركوننا أعمالنا ودرتنا .

وبهذه المناسبة أوجه شكرا خاصا الى جلالة الملك فيصل الاول ملك المملكة العربية السعودية ، حامي الحرمين الشريفين الذي كان من الداعين، والذي أعاننا في المغرب ، هنا ، بالقول وبالعمل على تنظيم هذا المؤتمر وعلى تنظيم جميع جوانبه المادية والمعنوية حتى نتمكن من انجاح أعمالنا ، ومن السير قدما فيما نقوم به من عمل مجدي لمجتمعنا ، ولشعوبنا والله سبحانه وتعالى أسأل ان يلهمنا الحكمة والتبصر انه سبحانه وتعالى حكيم نرجوه سبحانه وتعالى ان يظلنا بظله ، وظله سبحانه وتعالى هو ظل « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

تلك الكلمة التي تجمع بين الشعوب كيفما كانت أجناسها والوانها ولغاتها ، حتى نخرج من عملنا هذا رافعي الرأس .

قال النبي صلى الله عليه وسلم او كما قال ، في حديثه الشريف ، ان الله سبحانه وتعالى يبعث على رأس هذه الامة كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها ، فلننتهز هذه الفرصة ، ولنكن كلنا ذلك الرجل الذي بعثه الله على رأس مائة سنة ليجدد لهذه الامة الاسلامية دينها .

والدين في الاسلام لا ينفصل عن الدنيا ، فمهما نجدد الدين الا ونجدد الدنيا مهما نحكم التفكير الا ونحكم التدابير .

والله معكم ، والسلام عليكم .

خطاب صاحب الجلالة

الاختتامي في مؤتمر القمة

... عاش الشعب المغربي أثناء المؤتمر الاسلامي الدولي العظيم لحظات خالدة شعورا منه بجلل الحدث وبالشرف الذي حظي به المغرب ، وهو يحتضن اول مؤتمر لملوك ورؤساء الدول الاسلامية .

وستبقى ذكرى هذا المؤتمر خالدة في تاريخ المغرب على الخصوص وفي تاريخ الاسلام والاقطار الاسلامية على العموم .

وقد بدأت الجلسة العامة الاختتامية لمؤتمر القمة الاسلامي في الساعة الخامسة والربع عشية يوم الخميس 13 رجب 1389 موافق 25 شتنبر 1969 ، حيث توجه صاحب الجلالة الملك المعظم الى مقعد الرئاسة بينما توجه باقي الملوك والرؤساء ورؤساء الوفود الى مقاعدهم .

وكانت القاعة مليئة بالمدعوين والضيوف ، وجلس في المقاعد اليمينية أعضاء الحكومة وكبار رجال الدولة والشخصيات المدنية والعسكرية ، بينما جلس على المقاعد اليسارية الشخصيات الاسلامية المدعوة ، وجلس وراء الجميع عشرات الصحفيين ، بينماكان الصحفيون والمصورون يقفون على جوانب القاعة ، وبمجرد ما استقر رؤساء الوفود في مقاعدهم أعلن صاحب الجلالة الملك المعظم رئيس مؤتمر القمة افتتاح الجلسة واعطى الكلمة للمقرر العام للمؤتمر لالقاء بيان المؤتمر والمقررات الاخرى .

وبعد ذلك تلا المقرر العام لائحة بعض البرقيات التي توصل بها المؤتمر من مختلف المنظمات والشخصيات الاسلامية .

واختتم جلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله أعمال المؤتمر بخطاب هام ، قال فيه حفظه الله وأيده :

الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : « الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله » .

صدق الله العظيم .

اصحاب الجلالة :
اصحاب الفخامة :
اصحاب السمو :
اصحاب المعالي :
حضرات السادة :

اسمحوا لي في بادىء ذي بدء ان اشكركم على التوصية التى وجهها المؤتمر الى شعبي ، وحكومتي ،



والى شخص اخيكم هذا ، ولم يقم فى الحقيقة الشعب المغربي بما قام به ، الا لانه يحسب ، ويحسب بكيفية دقيقة وعميقة ، الى ما نحن فى حاجة اليه معشر المسلمين ، من تضامن ، وتآخي ، وتنسيق فى خططنا، وفى مخططاتنا .

وكما قلت لكم ، يوم افتتاح المؤتمر ، ان البلد بلدكم ، والدار داركم ، والشعب المغربي شعبكم جميعا .

ولا يفوتني ، هنا بصفتي رئيسا لهذه الدورة الا ان اوجه لكم الشكر ، جماعة وفرادى على التسهيلات التى جاءت من طرفكم ، حتى تمكنت الرئاسة ان تقوم بعملها المتواضع ، وان تشارك بنصيبها القليل ، فى انجاح هذا المؤتمر .

ان مؤتمرنا هذا، قد انبثقت عنه توصيات وقرارات ، انها قرارات يجب علينا ان نفهم معناها ومدلولها ، ليست قرارات للجامعة العربية ، وليست قرارات لمنظمة كانت موجودة قبل هذا اليوم .

وانما هي قرارات انبثقت عن اجتماع كان دافعه الايمان ، وكان سببه احراق المسجد الاقصى ، فسوف يلاقي المسلمون فى طريقهم من سوف يقول لهم :

ان توصياتكم وقراراتكم ضعيفة بالنسبة لكذا او لكذا .

والحقيقة ان توصياتنا وقراراتنا مبنية على اقوم الاسس ، وعلى امتن جدار ، حيث ان اساسها وجدارها ، هو لا اله الا الله محمد رسول الله .

وحيث ان قاعدة انطلاقها ، هي الوحدة بين المسلمين ، واجتماع كلمتهم .

اننا اجتمعنا هنا ، وقد اتينا من اطراف المعمور ، من اقصى الشرق الى اقصى الغرب .

فرقت بيننا آلاف الاميال ..
فرقت بيننا بحار ..
فرقت بيننا مناطق ..
فرقت بيننا قارات ...



جلالة الملك المعظم الحسن الثاني يترأس الجلسة الختامية لمؤتمر القمة ، وقد جلس على يمينه وزير خارجية الصومال الامين العام الاداري وعن يساره وزير خارجية السينغال

لقطة من آخر جلسة لمؤتمر القمة الاسلامي



جئنا هنا ولم ننسق قبل هذا اليوم أي عمل من أعمالنا .

جئنا هنا ولم نتصل قط جماعيا بعضنا ببعض.

جئنا هنا ، والبعض منا لا يتعرف على البعض الآخر فمعجزة من الله ، اجتماعنا هذا اولا .

ومعجزة من الله ، ان يكون اجتماعنا هذا قد اتفق على اساس للعمل ، على اطار للعمل ، على خطوة لا شبهة فيها ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك .

أن مؤتمرنا هذا قد اتى بنتيجة اخرى ، وهو انه قرر من عنديته وفعليا ان لا يكون المؤتمر الاول والآخر .

لذا من جملة مقرراته ، ان وزراء خارجيتنا ، سوف يجتمعون فى شهر مارس فى السنة المقبلة ، بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية .. ارض الحرمين الشريفين ، ليتشاوروا وليتبادلوا وجهات النظر ، ولينظروا فى اعمالنا كيف سارت فى المحافل الدولية وكيف سارت بيننا .. وليمكنهم ان يتناولوا الآراء حتى يتأتى وضع امانة دائمة لمؤتمرنا هذا ، تصل دوريا بعضنا بالبعض وتجعلنا نتفق بعضنا مع بعض ، كلما حدث مشكل ، او كلما دعا داع الى التحادث والتشاور .

ان العالم كان ولا زال ، يرتقب مؤتمرنا هذا ، ويترقب النتائج التى سوف تسفر عنه .

ومن اهم النتائج التى اعدها أشرف النتائج هي اننا سوف نعطي لمدلول الاسلام ومفهوم الاسلام معناه الحقيقي .

وسوف نعطي للفلسفة الاسلامية وللديانة الاسلامية وللاخلاق الاسلامية ، مفهوما آخر .

وسوف نوحد منطقنا وقاموسنا ومفاهيمنا فى المسائل الدينية والدنيوية .

من اهم النتائج كذلك ، اننا رغم البعد والنوى، واختلاف كل بلد من بلادنا على حدة .

ورغم ضروريات الجوار ، والاقتصاد والتبادل التجاري، والتعامل الاقتصادي .

ورغم سنوات مضت من سياسة خارجية تقليدية ، جرت عليها كل بلد من بلادنا رغم هذه العراقل كلها – توصلنا الى احداث اداة عمل الا وهي مقرراتنا ، توصلنا الى اجتماع كلمتنا .

توصلنا الى تحديد اهدافنا، توصلنا الى هذا كله .

والرئاسة هنا تعيد شكرها وامتنانها لتفاهم الجميع ، فالرئاسة بدورها ومن صميم قلبها ، تشكر جميع المؤتمرين هنا ، على ما ابدوه من صبر ، واصطبار وعلى ما ابدوه من واقعية لانجاح هذا المؤتمر .

وهذا المؤتمر ، من جملة ما يريد ، لا يريد ان يكون مؤتمرا عاما. فسوف يكون مؤتمرا عاما اذا هو لم ينوه ، بالمؤتمر الاسلامي الذي عقد في هذه السنة فى البلد العزيز ماليزيا فى ابريل ، وبكوالا لامبور بين علماء الدول الاسلامية .

ذلك المؤتمر الذى دعا هو بدوره الى اجتماع مؤتمر القمة الاسلامي .

فكانت الظروف مواتية ، حيث ان جلالة الملك فيصل دعا الى ذلك المؤتمر ، وحيث ان علماءنا دعوا الى هذا المؤتمر وحيث ان الجامعة العربية دعت الى هذا المؤتمر ، واراد الله سبحانه وتعالى ، الا أن يكون اجتماع هذا المؤتمر مبنيا على شيء أساسي حساس فى قلب كل مسلم ، لا يترك الفرصة للتخلف الا لمن لم يرد به الله الخير ، الا وهو احراق المسجد الاقصى .

ولا اريد ان اطيل عليكم الكلام الا انني كمسلم اولا وكأخ لكم ثانيا اشكر الله سبحانه وتعالى على ما وصلنا اليه من نتائج وتوفيق وان مننه علي شخصيا كثيرة سبحانه وتعالى لا تحصى ولا تعد واجلها هذا المؤتمر فى بلدي هذا بين شعبي هذا .

فانني احمده سبحانه وتعالى واشكره جزيل الشكر واطلبه المزيد من نعمه ومننه كما ابتهل اليه أن يفرج كربة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها فى فلسطين وفى كل بلد يقاسي فيه المسلمون اشنع العذاب والتشنيع ارجوه سبحانه وتعالى أن يديم تأييده ورحمته على قلوبنا حتى لا تزيغ وحتى لا تخرج عن الطريق السوي .

ارجوه سبحانه وتعالى أن يغسل قلوبنا بمائه العذب الصافي من كل غل وغش وخيانة وخذلان حتى نبقى خير امة أخرجت للناس نامر بالمعروف وننهى عن المنكر ، ونؤمن بالله .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الندوة الصحفية الهامة التي عقدها صاحب الجلالة بعد انتهاء المؤتمر الإسلامي

في اعقاب مؤتمر القمة الاسلامي الذي انهى اشغاله يوم الخميس الماضي عقد صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بقصر الضيافة العامر ندوة صحفية هامة حضرها المدير العام للديوان الملكي السيد ادريس السلاوي والوزير الممثل الشخصي لصاحب الجلالة الحاج أحمد بلافريج واعضاء الحكومة والملحقون الصحفيون بالسفارات المعتمدة بالرباط .

كما حضرها اكثر من 250 صحفي يمثلون الصحافة العربية والاجنبية والوطنية وممثلي وكالات الانباء ومحطات الاذاعات والتليفزيون ، وقد استهل جلالته حفظه الله هذه الندوة ببيان هام جاء فيه :

سيداتي وسادتي

انني مسرور باللقاء معكم والتحدث اليكم ، ان من المسلم به ان حادثا كمؤتمر القمة الاسلامي هو من الاحداث التى تثير اهتمامكم وفضولكم .

وبالاضافة الى ذلك فقد توصلت بعدد من الاسئلة وعدد من طلبات الاستجوابات من جانب جرائد ومجلات وتلفزات ، وبما اننا لا نستطيع تخصيص الوقت الضروري للالتقاء بكل واحد منكم على حدة، فقد فضلت الاجتماع بكم جميعا .

منذ سنوات عديدة أثيرت فكرة مؤتمر قمة اسلامي فى عواصم عربية واسلامية لاسباب بسيطة روحية وثقافية . ومنذ ذلك الحين طرأت احداث هامة كاستقلال بعض البلدان وتكوين منظمات اقليمية اسلامية كانت أم عربية وجاءت احداث سياسية تجاوزت فى بعض الاحيان المشكل الترابي والجغرافي تتداخل مع المشاكل الثقافية . كل ذلك جعل هذا الامل وهذه الرغبة تكتسيان صبغة الاستعجال وان عددا من الدول اصبحت بالرغم عنها او عرضا الداعية لهذا الامل وهذه الرغبة اللذين عبر عنهما بحماس من طرف سكان العالم الاسلامي .

وان المغرب من جهته المتفتح لافكار القرن العشرين الواقعي تجاه المشاكل .

الواعي لفائدة الاتصالات المتعددة ، قد نادى من جهته بعقيدته وبايمانه بفعالية مؤتمر اسلامي .

ووجد نداء المغرب اصداء فى عدد من البلدان ولدى بعض المنظمات ذات الصبغة الدينية وهكذا ساعدت الاحداث واصبحت بعض الجهات التى كانت اقل تأييدا لمؤتمر قمة اسلامي هي نفس الجهات التى دعت الى عقد هذا المؤتمر .

ولكي اكون واضحا فى افكاري اقصى الوضوح ولتنوير رأيكم ارى لزاما علي ان اسطر فى كلمات ملخصة هذا المؤتمر لقد دعا صاحب الجلالة الملك فيصل فى وقت ما ودعوت انا شخصيا فى وقت آخر الى فكرة مؤتمر قمة اسلامي لا تجمع فقهاء الشريعة الاسلامية او اساتذتها ولكن القادة السياسيين الذين فى امكانهم الالتزام باسم بلدانهم على الصعيدين القومي والدولي .

وان الاحداث التى جرت مؤخرا فى الشرق الاوسط وخصوصا منها حريق المسجد الاقصى بالقدس قد اثارت موجة من السخط كما تعلمون فى العالم الاسلامي سواء فى افريقيا او آسيا .

وامام خطورة حدث كهذا اجتمعت الجامعة العربية واقترحت الجمهورية العربية المتحدة ان يطلب من المملكة العربية السعودية الدعوة الى عقد مؤتمر قمة اسلامي وفى نفس الوقت الذى قبل فيه جلالة الملك فيصل الطلب ، ابرز انه لم يكن المحرك الوحيد للفكرة ومن ثم لم يكن من اللازم الاستشارة مع المغرب فحسب ولكن وجبت دعوته لاعداد هذا المؤتمـــر .

وعدنا الى الجامعة العربية التى كلفت العاصمتين الرباط والرياض بالدعوة الى عقد مؤتمر قمة اسلامي دون ان تحدد لازمان ولا مكان ولا مراحل اعداد هذا المؤتمـر .

وبعد استشارات متعددة وبعد اجتماع اللجنة التمهيدية فى الرباط قررت هذه اللجنة توجيه الدعوة مباشرة وبدون اعداد سالف من طرف وزراء الخارجية للدول الاسلامية لعقد مؤتمر قمة فى الربـاط .

وقد يتساءل البعض لماذا هذه العجلة وهذه السرعة ؟ ولماذا لم ننتظر بداية شهر اكتوبر او نهايتـه ؟

غير ان المغرب والدول التى وجهت الدعوة اليها اصروا على ان يعقد هذا المؤتمر فى اقرب الآجال وذلك لسببين اثنين :

اولا ــ كان من المرغوب فيه ان يكون فى امكان وزراء خارجيتنا الا يتوجهوا الى الامم المتحدة الا وقد اتخذوا موقفا مشتركا لجميع الدول المسلمة .

ثانيا ــ ان احداث العالم تتداخل وتتابع بسرعة كبيرة مما جعلنا نخشى ان يحدث لا قدر الله فى عالمنا الكثير الاضطراب حدث يقلل من الاهمية النوعية التى كان يكتسيها حريق المسجد الاقصى فى نفسه .

وبعد ان اخذت كل الدول الاعضاء بهذه الحجج انعقد المؤتمر يوم 22 سبتمبر فى الرباط .

وفى الدعوة التى وجهناها كان من المقرر ان ينعقد المؤتمر بين 22 و 24 شتنبر ولكنه انهى اشغاله يوم 25 شتنبر .

وليس بسر على احد ان الحادث الباكستاني ــ الهندي الذى تمكنا بفضل الله من حله بصورة سلمية دون ان نبعد الهند من المؤتمر ولا ان يفشل المؤتمر نفسه .

هذا الحادث اذن هو الذى اطال اشغالنا بنصف يوم وجعلنا نختتمها يوم 25 شتنبر عوضا عن يوم 24

وانني أؤكد لكم ان كل تاويل آخر لهذا التاخير سيكون تاويلا من محض الخيال والاختلاق .

اما نتائج المؤتمر فقد اطلعتم عليها من خلال التوصيات والبيان النهائي المشترك .

وان ما خرج به هذا المؤتمر هو ارادة الشعوب الاسلامية بأن تتبنى مشاكل الشرق الاوسط .

ولا اقول المطالب بل اقول مشاكل واهتمامات الشرق الاوسط ، وان هذا من شانه بالتالي ان يؤدي الى ارادة هذه الشعوب ان تساعد بكل الوسائل الممكنة والتى تتلاءم مع سياسة كل بلد عضو فى المؤتمر ان تساعد البلدان العربية فى اهتماماتها ومشاكلها وهذه فى نظري نقطة هامة جدا وخصوصا اذا تذكرنا الخلافات التى كانت قائمة حتى عهد قريب وبصورة واضحة بين العالم الاسلامي من جهة والعالم العربي من جهة اخري .

وهناك نتيجة اخرى لا تقل اهمية ان لم تكن اهم .

وهي ان هذا المؤتمر فى حدود مقارنته بكرة استطاعت ان ترتطم بحائط ثم تعود أي ان صدى الارتطام لم يندثر فى صحراء .



وهكذا فان هذا المؤتمر ان كان الاول فانه لن يكون الاخير •

وبهذا قررنا ان يجتمع وزراء خارجيتنا فى مارس 1970 بمدينة جدة لدراسة اقامة امانة دائمة يكون من طبيعتها أعطاء هذا المؤتمر صبغة المنظمة وان تكون همزة وصل بل وعاملا مساعدا فى حالة وقوع احداث خطيرة لاجتماع على مستوى القمة او التنسيق بين وزراء حكومتنا سواء فى الميدان السياسي او الديني او الثقافي او الاقتصادي • هذا سيداتي وسادتي ملخص عام شامل اذ لا يمكن الدخول فى تفاصيل •

فكل فقرة وكل فصل وكل توصية تستلزم تعليقا اطول بكثير ولكن بصورة عامة ومختصرة كما قلت •

هذا هو ملخص المؤتمر

واني رهن اشارتكم للاجابة على الاسئلة التى تريدون طرحها علي مع العلم ان النص الفرنسي لهذا التصريح يعتبر النص الرسمي •

ولقد طلبت مساعدة مترجمة للاجابة على الاسئلة المطروحة باللغة الانجليزية •

ومع ثقتي فى هذه الترجمة فان النص الرسمي سيظل هو اللغة الفرنسية حتى فى حالة ترجمة تالية بالانجليزية •

اسئلة رجال الصحافة

وبعد انتهاء البيان الذى القاه صاحب الجلالة اجاب جلالته على أسئلة الصحفيين وكان السؤال الاول من مدير جريدة الرأي العام المغربية •

سؤال – صاحب الجلالة لقد اعتبر بعض المراقبين ان القرارات النهائية للمؤتمر اكتست طابع الاعتدال وان هذه القرارات ليس من شأنها ان تحول دون ارتكاب اسرائيل لاعمالها الوحشية ضد الاماكن المقدسة ، فهل يمكن القول ان المؤتمر قد اتخذ قرارات سرية لم يعلن عنها في البيان النهائي ؟



جواب – **لقد تجاوزنا مرحلة الدبلوماسية السرية منذ مدة طويلة وليست هناك أي قرارات سرية ، وفي حالة ما اذا سمحت سلطات اسرائيل لنفسها بارتكاب عمل جديد ضد المسجد الاقصى اعتقد انه في ذلك الحين سيعتبر ذلك العمل استفزازا غير مقبول وغير مسموح به من لدن الدول المشاركة في المؤتمر ، وعند ذلك سيواجه كل واحد منا فرديا او جماعيا مسؤولياته امام التاريخ وامام ستمائة مليون مسلم المنبثين في مختلف انحاء العالم .**

وكان السؤال الثاني من مدير نفس الجريدة حيث قال :

لقد اعترف عدد من الدول التي لها علاقات دبلوماسية مع اسرائيل بشرعية كفاح الشعب الفلسطيني من اجل تحريره الوطني فهلا يكون هذا الاعتراف بمثابة الغاء واقعي لاعترافها باسرائيل ؟

جواب – **ان هذه الدول التي تعترف لفلسطين والشعب الفلسطيني بحقه الشرعي في المطالبة باراضيه المغتصبة هي نفسها التي صوتت على قرارات الامم المتحدة التي تسير في نفس الاتجاه الذي ذكرته**

وكما تعلمون ان مشكل الفلسطينيين قد اثير منذ زمن طويل امام الامم المتحدة واعترفت الامم المتحدة نفسها للفلسطينيين بحقهم في استرجاع أراضيهم المغتصبة وانطلاقا من هذا الدافع فاني لا اعتقد ان مصادقة هذه الدول في الامم المتحدة على مثل هذه القرارات منذ زمن بعيد قد ادى بها الى مراجعة علاقاتها مع اسرائيل .

ووضع مدير جريدة الرأي العام المغربي سؤالا آخر كما يلي :

كل واحد يتساءل عن نتائج المحادثات التي جرت مساء امس بين جلالتكم وبين الرئيس بومدين والرئيس الموريطاني

ففي اي اطار سياسي يمكن لجلالتكم ان تضعوا هذه المقابلة وماذا يمكن ان ينتج عنها من عواقب على المطالب المغربية في موريطانيا ؟

واجاب جلالة الملك المعظم **بأن الرد على الاسئلة المتعلقة بالشؤون الداخلية سيؤخرها الى انتهاء الجواب على الاسئلة المتعلقة بمؤتمر القمة الاسلامي .**

ووضع مدير وكالة المغرب العربي للانباء السؤال التالي :

لقد قرات في الانباء الواردة من القاهرة ان السيد انور السادات الذي تراس وفد الجمهورية العربية المتحدة في مؤتمر القمة صرح بان نتائج هذا المؤتمر هي اضعف الايمان وقال بأن تصريح المؤتمر لم يشر الى مساندة منظمة التحرير الفلسطينية ولم يتعرض الى المطالبة بانسحاب الاسرائيليين من الاراضي المحتلة ، وقد صرح بذلك اثر عودته من المؤتمر ، فما هي تعليقاتكم ؟

جواب – **من النظرة الاولى يبدو لي انه من غير المعقول ان يكون رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة قد ادلى بهذه التصريحات واذا تبينت صحتها فانها لا يمكن الا ان تظهر تناقضه لاسباب عدة ، اولا لان الايمان قضية نسبية ولا يمكن لرئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة في هذه الحالة الا ان يعبر عن ايمانه هو ، والسبب الثاني هو ان قرارات المؤتمر تطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة بالقوة .. ومن اجل ذلك فان هذه التصريحات تبدو لي فعلا مدهشة ، وادهش من ذلك ان تكون صادرة عن مسؤول كانور السادات . ولا يمكن لي شخصيا الا ان آمل ان تكون اخبارا صادرة عن وكالة اخبارية ، ومن الصعب علي ان اتمكن من تاكيد صحة هذه التصريحات .**

والقى مدير جريدة الانباء سؤالا مكملا للسؤال السابق ذكر فيه ان اذاعة القاهرة حاولت امس التنقيص من اهمية هذا المؤتمر التاريخي ، فأجاب جلالة الملك المعظم قائلا:

من المؤكد ان مؤتمرا كالمؤتمر الذى عقدناه لم يكن قد تعرض فقط لاخطار من جوانب مختلفة منذ نشوئه نظرا للمصالح المتعددة التى هي معنية بالامر، بل انه حتى اثناء انعقاده وفى الفترة التى ستعقبه يتعين علينا ان ننتظر تفسيرات خاطئة وحرب الاعصاب ومجالات عقيمة .

واعتقد أن الدول المساهمة التى قدرت فى جو الجدية والواقعية ما هو فى صالح المؤتمر وما هو ضده وستعمل بالمثل العربي القائل : القافلة تسير والكلاب تنبح .

والقى مندوب الاذاعة والتلفزة الفرنسية سؤالين اثنين :

السؤال الاول : ان التصريح المتعلق بمساندة الشعب الفلسطيني فى كفاحه من اجل التحرير الوطني المصادق عليه بالاجماع من طرف الدول المساهمة في مؤتمر الرباط، يقتضي اعترافا من جميع هذه الاقطار بنشاط الفدائيين .

السؤال الثاني : هل سيبقى هذا التأييد معنويا وبالتالي سياسيا او هل سيكون ماديا وماليا؟

واجاب صاحب الجلالة قائلا :



ان الشعوب الاسلامية لها اعراف وعقيدة يعرفها العالم اجمع

وكان القصد من اجتماع رؤساء هذه الشعوب هو توثيق الروابط التى تجمعهم .

وعقد المؤتمر بصفة خاصة لاعطاء تفسير جديد وصحيح لهذه الاعراف ، ولم يكن من عادات العرب والمسلمين مساندة الاشخاص الذين يحولون اتجاه الطائرات والذين يضعون متفجرات فى السفارات .

او الذين يصرحون امام الامم المتحدة او فى مكان ءاخر انهم سيذبحون ءاخر يهودي فوق ارض فلسطين وءاخر امراة حامل وقتل جنينها .

لقد كانت هذه الوسائل تلحق اكثر الضرر بالقضية العربية والاسلامية .

وانطلاقا من هذا الامر فقد كان الاشخاص الاشد عداوة لليهود وما اكثرهم فى الولايات المتحدة يجدون انفسهم مضطرين الى البكاء على هذا الجنين وهذه المراة الحامل ويعملون لانقاذها .

وبالاضافة الى ذلك فلا يمكننا ان نتفق مع الذين يضرون بقضية بلادهم .

ولقد كانت عملية نسف خط انابيب النفط قد تسببت فى خسارة يومية للعربية السعودية تقدر ب 500 مليون .

وكان بالامكان آن ننفق هذه المبالغ في أشياء اخرى ، ان هذه الاعمال تدخل فى اطار الخيال والحماس الجامح ولكنها فى جميع الحالات لا تخدم القضية الفلسطينية ولا القضية العربية ولا الاسلامية

ونحن مع اولئك الذين يقاتلون على الجبهة وبصورة مفتوحة والذين يكافحون فى الامم المتحدة ولدى الدول لاقناعهم بقضيتهم وحقهم المشروع .

ولكن الذين يخلطون بين الارملة واليتيم وبين غاصب الارض .

والذين يجعلون اليونانيين يقفون ضدنا باختطاف طائرة من طائراتهم .

والسويسريين باختطاف طائرة من طائراتهم والامريكيين باختطاف طائرة من طائراتهم ، اقول فى حق هؤلاء :

رب احفظني من اصدقائي.

اما اعدائي فاني اتكفل بهم .

اما عن السؤال الثاني فكما قلت امس (حفلة اختتام المؤتمر) فى خطابي فان المؤتمرين قد اتوا من آفاق مختلفة ولكل منهم التزامات مختلفة على الصعيد الجغرافي وعلى الصعيد الاقتصادي وعلى الصعيد الستراتيجي وعلى صعيد المبادلات التجارية او الثقافية . ولقد اتخذوا جميعا منذ قيام المشكل الفلسطيني قبل حوالي ثلاث وعشرين سنة مواقف وسياسة تقليدية وسيكون من قبيل المستحيل ان يطلب منهم بين يوم وآخر بين 22 و 25 شتنبر لا تغيير مواقفهم فحسب بل وتغيير كل سياستهم الخارجية ، غير انهم اقتنعوا بأن عليهم تغير هذه السياسة . وان المؤتمر يضع ثقته فى كل من هؤلاء وفى ايمان كل منهم على المساعدة حسب استطاعته ووسائله الخاصة وبالكيفية التي لا تتعارض مع سياسته والقضية الفلسطينية .

ويمكن ان تتفاوت هذه المساعدة من رسالة مفتوحة او تأييد معنوي الى تسليم السلاح او اعطاء مساعدة مادية

وسأل صحفي باكستاني صاحب الجلالة : هل تقرر ارسال بعثات الى الدول الكبرى التى وجهتم لها نداء من اجل العمل على حل مشكل الشرق الاوسط ، وكيف يرى جلالته تعاون الدول الاسلامية فى الامم المتحدة ؟



جواب : لم نقرر ايفاد بعثات الى الدول الكبرى لنطلعها على وجهات نظرنا وذلك اولا لان مداولاتنا حتى وان كانت فى جلسات مغلقة فانها لم تكن سرية بل ان بعض الاذاعات والصحف فى الشرق الاوسط كانت تنشر محتوى محادثاتنا ، وثانيا نعتقد ان ارسال بعثات الى الدول الكبرى قد يكتسي صبغة مسرحية اكثر منها ايجابية نظرا لان هذه الدول تعرف اكثر منا مايجب عليها فعله وتعرف ان مقرراتنا قد طلبت منها الاعتكاف على هذا المشكل بكل عناية وعطف وجدية .

هذا فيما يتعلق بالسؤال الاول

اما فيما يتعلق بالجواب على السؤال الثاني فانه قد ورد ضمن البيان الذى قدمت به هذه الندوة وهو انه اذا كنا قد ابينا الا ان يعقد هذا المؤتمر يوم 22 شتنبر فذلك لكي يتيح لوزراء خارجيتنا الالتحاق بالامم المتحدة والقيام بنشاطهم فى اطار تم تحديده يمكنهم من العمل جميعا بصفة مشتركة .

والقى مندوب وكالة الانباء الباكستانية سؤالا حول الميادين التى يمكن ان يشملها التعاون الاقتصادي والاجتماعي فأجاب جلالته قائلا :

لقد قررنا خلق اكثر الظروف ملاءمة لاقامة تعاون اقتصادي واجتماعي وثقافي بين الدول الاسلامية ، وان انشاء كتابة دائمة يكتسي اهمية سياسية وادارية وسيكون اول عمل يرجى منه هو:

توحيد نشاطها وتسهيل اجتماعاتنا واجتماعات وزرائنا فى حالة الاقتضاء .

ولا يعني هذا ان الكتابة الدائمة هذه لن توصي بانشاء منظمات للتعاون الاقتصادي ، والثقافي والاجتماعي ، ولي فى هذا الميدان وجهة نظر خاصة وهي اننا اذا استطعنا فى الميدان الثقافي تأسيس منظمة واحدة من مجموع الدول فان تأسيس منظمة واحدة فى الميدان الاقتصادي سيكون كارثة ذلك انه اذا كان الدين والثقافة لا يمكن اعطاؤهما صبغة اقليمية فان الاقتصاد والتبادل التجاري ونوعية الانتاج كلها يجب ان تكون حتما فى اطار اقليمي وذلك لكي تعطي ثمارها .

اذن فان فى استطاعة الدول الاسلامية ان تجد فى الكتابة الدائمة اداة للعمل والتحليل نافعة وفعالة على الصعيد السياسي والاداري والاجتماعي والديني والثقافي، وعلى العكس من ذلك فان هذه الاداة لن تكون فى الميدان الاقتصادي والتجاري سوى اداة للتحليل والانعاش فى حين ستكون المنظمات الاقليمية ضرورية لقيام وسير العلاقات والاتفاقيات الاقتصادية ، والتجارية .

وتقدم رئيس تحرير وكالة المغرب العربي بسؤال جاء فيه :

نشر الفاتيكان بعض فقرات الرسالة التي بعث بها قداسة البابا الى جلالتكم شخصيا ويستفاد مما نشرته الفاتيكان بأن قداسة البابا يقترح فيها بأن تقوم الديانات الثلاث بالسهر على الاماكن المقدسة فهل فى امكانكم يا صاحب الجلالة ان تذكروا لنا شيئا فى هذا الموضوع ؟

فأجاب جلالة الملك قائلا :

لقد توصلت بالفعل من قداسة البابا برسالة تأثرت لها جدا ولم تكن قد ارسلت لي شخصيا وانما لكوني رئيسا لبلد يستقبل مؤتمر الدول الاسلامية.

وكما تعلمون فانه اذا لم يكن بين المغرب والفاتيكان علاقات دبلوماسية رسمية فقد كانت بينهما اتصالات ، واستشارات وبالاخص سنة 1967 عندما اوفدت مبعوثا حاملا لقداسة البابا رسالة بعد اعتداء سنة 1967

وان اقتراح قداسة البابا نظرا لاهمية السلطة التى صدر عنها هذا الاقتراح ونظرا لغزارة الافكار التى يحتوي عليها ليستحق ان يدرس بكل اهتمام غير انني لا ارى كيف يمكن للديانات الثلاث ان تسهر على وضع القدس مع العلم انها اقل تسلحا من الامم المتحدة نفسها فلا يمكن لها ان تضع فى عين المكان لا شرطة ولا جيشا ، كما ان قراراتها سوف لا يكون لها اي مفعول تنفيذي وانها لن تكون سوى ءامال تكتسي صبغة الفضيلة .

اما فيما يتعلق بالعرب والمسلمين فليس هناك اي التباس وذلك لانهم اكدوا على ضرورة العودة بالقدس الى وضعها السابق ليونيو 1967

واعتقد ان اتصالات بين العالم الاسلامي والديانتين الاخريين مرغوب فيها لان المسلمين من واجبهم احترام اهل الكتاب اي المسيحيين واليهود .

وان من واجبنا ان نحترمهم ونحميهم فى اراضينا او فى ميدان قوانيننا ، ان علينا ان نحترمهم ونضمن حرية تعبدهم واموالهم وشخصهم ، وهذا من اهم الاسباب التى تدعو المسلمين الى عدم رفض الحوار .

لكنني اعتقد فى هذا الميدان ان الاستشارات ستكون محدودة الى حد كبير وذلك لاننا نحن المسلمين نؤيد الرجوع بالقدس الى وضعها قبل سنة 1967

وعلى كل حال فان حوارا بين الديانات الثلاث سيكون شيئا مرغوبا فيه .

وجوابا على سؤال ءاخر حول مشاركة الهند فى المؤتمر قال جلالة الملك :



اننا فى البداية تلافينا الوقوع فى اي ابهام امتنعنا بالرغم منا عن دعوة الهند وكما تعلمون ان الهند بل حكومته ليست اسلامية كما ان اغلب سكانه ليسوا مسلمين وبعدم دعوتها قبلنا عدم دعوة الجاليات الاسلامية فى روسيا وفى الصين وقبرص ويوغوسلافيا والبانيا وبعد ذلك اغرقت الحكومة الهندية الدبلوماسية المغربية واللجنة التحضيرية للمؤتمر الرسائل والاحتجاجات لعدم استدعائها لحضور المؤتمر ولم يغير المغرب شيئا من موقفه فى انتظار وصول رؤساء الدول وبعد استشارات بينما كانت الاغلبية تؤيد دعوة الهند للمؤتمر نظرا لان بها حوالي 60 مليونا من المسلمين .

وعندما صدر البيان النهائي للمؤتمر كان من اللازم الرجوع الى الوثائق واحترام هذه الوثائق شكلا وجوهرا لان المناقشات اذا كان لها جوهر فقط فان للوثائق جوهر وشكل .

وقد تحدث البيان عن رؤساء الدول والحكومات، وممثلي البلدان الاسلامية ، وعندما اعترضتنا كلمة «الهند» لاحظنا ان الهند لا يمكن على الصعيد القانوني ولا الشكلي لا فى الجوهر ولا

فى الشكل ان تصنف من بين هذه الدول اذ كما تعلمون كلما طال التعداد كلما زاد الحصر فكان علينا اما ان نترك كلمة الهند نهائيا وبذلك نتناقض مع انفسنا او ان نترك كلمة الهند وسيكون ذلك خرقا للقواعد القانونية ، ولهذا خرجنا من المشكل بوضع عبارات مسلمي الهند والآن فان على الحكومة الهندية ان تستنتج هي نفسها ما اذا كان عليها ان تشارك فى المؤتمرات التى قد تنعقد فى المستقبل باسم مسلميها او لا تشارك . واذا ارتات ان مشاركتها ولو باسم اقلية فى بلادها قد يكون فى مصلحتها فانها ستشارك اما اذا ارتات ان بامكانها الاستغناء عن الاشتراك فى هذه المؤتمرات باسم اقليتها فان للحكومة الهندية كامل السيادة فى اتخاذ قرار بهذا الشان .

ثم قدم مندوب وكالة المغرب العربي للانباء سؤالا حول ماهية المساعدة التى تحدث عنها جلالة الملك المعظم فى خطاب الافتتاح والتى قدمتها بعض الدول المشاركة فيه فأجاب العاهل الكريم قائلا :

لو كان وزير المالية حاضرا هنا لاستطعتم من خلال نظراته الحصول على جواب سؤالكم

وعندما تحدثت عن المساندة المادية التى قدمتها بعض الدول المشاركة فيه كنت اعني عددا من الموظفين والمترجمين واعضاء السكرتارية .

ولم يكن المغرب من جهته سعيدا فقط بل ايضا فخورا لتمكنه من تنظيم هذا المؤتمر ماديا بوسائله الخاصة وبوسائله الخاصة فقط ، أي بمساهمة جميع سكان المملكة واذا كان المؤتمر قد نظم بمواردهم فانه مؤتمرهم فى الاول والاخير .

وبعد ان انتهى جلالة الملك المعظم من الجواب على الاسئلة المتعلقة بمؤتمر القمة الاسلامي تخلص الى الاجابة على السؤال المتعلق بموريطانيا فقال جلالته :

سأجيب على السؤال المتعلق بموريطانيا الذى وضع علي من قبل

انني شخصيا لم اشعر باي تعقيد او اي حرج وانا استقبل رئيس جمهورية موريطانيا وذلك بصفتي رجلا ، وبصفتي وطنيا مغربيا وليس هناك اي شخص يمكن له ان يلقنني ما هي الوطنية المغربية ولا ان يعطيني درسا فى هذا الميدان .

لقد كنت قلت فى يونيو 1960 فى استجواب مع جريدة ((لوموند))

ان المغرب من جهته يفضل ان يعرض استقلال موريطانيا على استفتاء وحق تقرير المصير وفى تلك الاثناء كان الاتحاد السوفياتي بجانبنا فى مجلس الامن وذلك بسبب قضية منغوليا الخارجية ، ولو اتبع آنذاك الموقف الذى اتخذه لكان حق تقرير المصير قد قبل من طرف مجلس الامن ، ولما كانت موريطانيا قد اصبحت مستقلة ومع الاسف فان البعض قد ادعوا بأن نواكشوط كانت هي فاس ولهم ان يعتقدوا ذلك اذا أرادوا ..

اما من جانبي ، فلكوني ابنا بارا ومواطنا مطيعا فبعد ان عرضت الاسباب الشخصية والمعقولة فى نظري لا من اجل الاعتراف ولا من اجل معارضة التسجيل فى الامم المتحدة لكي تصبح عضوا ولكن من اجل طلب حق تقرير المصير ، خضعت امام الارادة الملكية، ارادة والدي المرحوم المبجل، ولم يكن بوسعي ان اعطي المثل على طاعة الابن واحترام المواطن الا بالذهاب الى الامم المتحدة ، بوصفي نائب رئيس الحكومة ورئيس الوفد المغربي لادعم وبصورة قوية مطلبا كنت اعرف انه حتى ولو كان مشروعا بانه غير قابل للتحقيق وهذا لاسباب كثيرة ليس من المفيد عرضها هنا .

فاولا ليست لنا حدود مشتركة

وثانيا لنا الف ومائتان او الف وخمسمائة كيلومتر من الصحراء ولم يكن المغرب ابدا بلد مقاومة وحرب عصابات وحتى لو اننا اردنا تنظيم حرب عصابات فلا اتصور كيف يمكن تنظيمها عبر الفي كيلومتر من الصحراء حيث لا توجد اية شجرة يمكن الاحتماء بها

كل هذه الاسباب كانت تفرض ان نكون اول من يطلب قبول موريطانيا فى الامم المتحدة والاخذ بيدها وفتح سفارة لها وتقديم المساعدات الفنية والاطارات لها .

وافضل شخصيا ان تكون لنا معها معاهدة صداقة عوضا من ان نتكفل بادارة اقاليم الشيء الذى سيثقل كاهل ميزانيتنا ، وفى غمرة هذه الاحداث فان اعتقادي لا زال راسخا ولا استطيع ان اغير رأيي من يوم لآخر تجاه موريطانيا .

فاذا كان من الممكن ان يغير رئيس منتخب موقفه بتغير فترة الرئاسة لكونه يتوفر على كل العوامل لتغيير موقفه فان الخلافة التي أرثها عن ابي وهي اكثر من ذلك اذ انها خلافة روحية ووراثية .

اذ انها تجري في حياتي بل وحتى في روحي، فانه من الصعب علي في هذه الحالة ان اغير هذا الاتجاه اللهم الا اذا حدث حدث هام غير منتظر ، وقد حدث بالفعل هذا الحدث واستلزمته ثلاثة متطلبات :

اولا ـ الوحدة الاسلامية وموريطانيا تسمى الجمهورية الاسلامية الموريطانية .

ثانيا ـ يستجيب لاعتقادي ولم اكن اشعر انني أتناقض مع نفسي لانني اعتقد بعمق ان ذلك هو مصلحة شعبي .

ثالثا ـ العلاقات الجهوية في هذه المنطقة الغربية من افريقيا التي تربط بين المحيط الاطلسي والبحر الابيض المتوسط .

هذه في نظري هي الاسباب القديمة والحالية والجغرافية والسياسية المقبلة التي كانت تعمل لفائدة ما قمنا به من اجل موريطانيا .

اما عن مقابلة امس فاننا لم نلتق لشرب كأس من الشاي ثم اننا سنتقابل هذا المساء .

الا يقال ان الشرارة تنطلق من احتكاك حجرين

اننا سنواصل اللقاء فيما بيننا وسنصل بلا شك الى نتيجة .

سيداتي سادتي اشكركم على انتباهكم واتمنى ان يكون مقامكم في المغرب قد مر في ظروف حسنة ، ان التعليمات التي تلقاها وزيرنا في الانباء هي ان يستقبل ممثلي الصحافة المرئية والمسموعة والمكتوبة كما لو كانوا في ديارهم واكد لي انه قام بالواجب .

آمل ان يكون قد وفق، واتمنى لكم جميعا حظا سعيدا وشكرا .



اعلان مؤتمر القمة الاسلامي

ان رؤساء الدول والحكومات والممثلين لكل من المملكة الافغانية والجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية وجمهورية تشاد وجمهورية غينيا والامبراطورية الايرانية والمملكة الاردنية الهاشمية والمملكة المغربية والمملكة العربية السعودية ودولة الكويت والجمهورية اللبنانية والجمهورية العربية الليبية وماليزيا وجمهورية مالي والجمهورية السينغالية وجمهورية الصومال وجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وجمهورية السودان الديمقراطية والجمهورية التونسية والجمهورية التركية والجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية اليمنية ومسلمي الهند المجتمعين فى مؤتمر القمة الاسلامي الاول المنعقد بالرباط فى الفترة ما بين 9 و 12 رجب عام 1389 الموافق 22 الى 25 شتنبر 1969

وقد حضر ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية هذا الاجتماع بصفتهم مراقبين

الفصل الاول

ايمانا منهم بأن وحدة عقيدتهم الدينية هي عامل قوي لتقارب شعوبهم وتفاهمها .

واذا عزموا على صيانة القيم الاسلامية الروحية والاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية التى تبقى احد العوامل الجوهرية لتحقيق التقدم البشري .

وتعبيرا عن ايمانهم الراسخ بتعاليم الاسلام التى ارست قاعدة المساواة التامة فى الحقوق بين جميع البشـــر .

وتأكيدا لالتزامهم بميثاق الامم المتحدة وبالحقوق الاساسية للانسان التى ارست مبادئها واهدافها اساسا متينا للتعاون المثمر بين جميع الشعوب .

وحرصا منهم على توثيق الروابط الاخوية والروحية التى تجمع بين شعوبهم وحفاظا على حريتها وتراث حضارتها المشتركة القائمة بصورة خاصة على مبادىء العدل والتسامح ونبذ التفرقة العنصرية .

وحرصا على توفير الرفاهية وتحقيق التقدم وتأكيد الحرية فى كافة انحاء العالم .

وعزما على توحيد جهودهم لصيانة السلام والامن الدوليين لهذا كله .

يعلنون ما يلي :

ستشاور حكوماتهم بغية التعاون الوثيق والمساعدة المتبادلة فى الميادين الاقتصادية والعلمية والثقافية والروحية وحيا من تعاليم الاسلام الخالدة .

وتعلن التزامها بتسوية المشكلات التى قد تنشا فيما بينها بالوسائل السلمية بما يؤكد مساهمتها فى تدعيم السلام والامن الدوليين وفقا لاهداف ومبادىء الامم المتحدة

الفصل الثاني

ان رؤساء الدول والحكومات والممثلين بعد ان بحثوا العمل الاجرامي المتمثل فى احراق المسجد الاقصى والحالة فى الشرق الاوسط يعلنون ما يلي :

ان الحادث المؤلم الذى وقع يوم 21 غشت 1969 والذى سبب الحريق فيه اضرارا فادحة للمسجد الاقصى الشريف قد آثار اعمق القلق فى قلوب اكثر من ستمائة مليون من المسلمين فى سائر انحاء العالم .

وان الاعمال المتمثلة فى انتهاك حرمة مقام يعتبر من اقدس المقامات الدينية لدى البشرية وفى تخريب الاماكن المقدسة وخرق حرمتها ، تلك الاعمال التى وقعت تحت الاحتلال الاسرائيلي المسلح لمدينة القدس الشريف ، وهي المدينة التى تحظى باجلال جميع معتنقي ديانات الاسلام والمسيحية واليهودية ـ قد

زادت من حدة التوتر في الشرق الاوسط ، واثارت استنكار سائر شعوب العالم .

وان رؤساء الدول والحكومات وممثليهم يعلنون ان الخطر الذى يهدد المقامات الدينية الاسلامية بمدينة القدس انما هو ناتج عن احتلال القوات الاسرائيلية لهذه المدينة ، وان المحافظة على الصبغة المقدسة لهذه الاماكن ، وضمان حرية الوصول اليها والتنقل فيها تستلزم ان يسترجع القدس الشريف وضعه السابق قبل احداث يونيو 1967 والذى اكدته الف وثلاثمائة سنة من التاريخ .

وبناء على ذلك، فانهم يعلنون ان حكوماتهم وشعوبهم مصممة العزم على رفض اي حل للقضية الفلسطينية لا يكفل لمدينة القدس وضعها السابق لعدوان يونيو 1967 .

كما انهم يطالبون جميع الحكومات وبصورة خاصة حكومات فرنسا

واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية

والمملكة المتحدة

والولايات المتحدة الامريكية

ان تاخذ بعين الاعتبار تمسك المسلمين القوي بمدينة القدس وعزم حكوماتهم الاكيدة على العمل من اجل تحريرها .

وان شعوبهم وحكوماتهم لتشعر بقلق عميق من جراء استمرار الاحتلال العسكري الاسرائيلي للاراضي العربية منذ شهر يونيو 1967 ورفض اسرائيل اعارة ادنى اعتبار للنداءات الموجهة لها من مجلس الامن والجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة ، والتى تدعوها لالغاء تدابير ضم مدينة القدس الشريف .

وامام هذا الوضع الخطير فان رؤساء الدول والحكومات الاسلامية وممثليهم ليهيبون بالحاح بجميع اعضاء الاسرة الدولية وخاصة بالدول الكبرى التى تتحمل مسؤولية خاصة فى الحفاظ على السلام الدولي لكي تبذل المزيد من الجهود المشتركة والمنفردة لتحقيق الانسحاب السريع للقوات الاسرائيلية من كافة الاراضي التى احتلتها بعد حرب يونيه 1967 وذلك تمشيا مع المبدأ الذى يقضي بعدم شرعية اكتساب الاراضي عن طريق الغزو العسكري .

ونظرا لتاثرهم العميق بماساة فلسطين فانهم يقدمون مساندتهم التامة للشعب الفلسطيني لاسترجاع حقوقه المغتصبة ولمواصلة نضاله من اجل تحرير وطنه ، ويؤكدون تمسكهم بالسلم ، بشرط ان يكون قائما على العدل .

قائمة بالبرقيات التي وردت على مؤتمر القمة الاسلامي

قام الامين العام للمؤتمر والقى لائحة بالبرقيات التي وردت على المؤتمر وجاء في كلمته :

سيدي الرئيس تلقى المؤتمر الاسلامي للقمة مئات البرقيات من مختلف الهيئات الاسلامية وغير الاسلامية وكثير من الشخصيات فى مختلف انحاء العالم وكلها تعبر عن التضامن التام والتأييد والدعاء بالتوفيق والنجاح للمؤتمر . ولي الشرف بان اقرأ لكم بعض هذه البرقيات وهي :

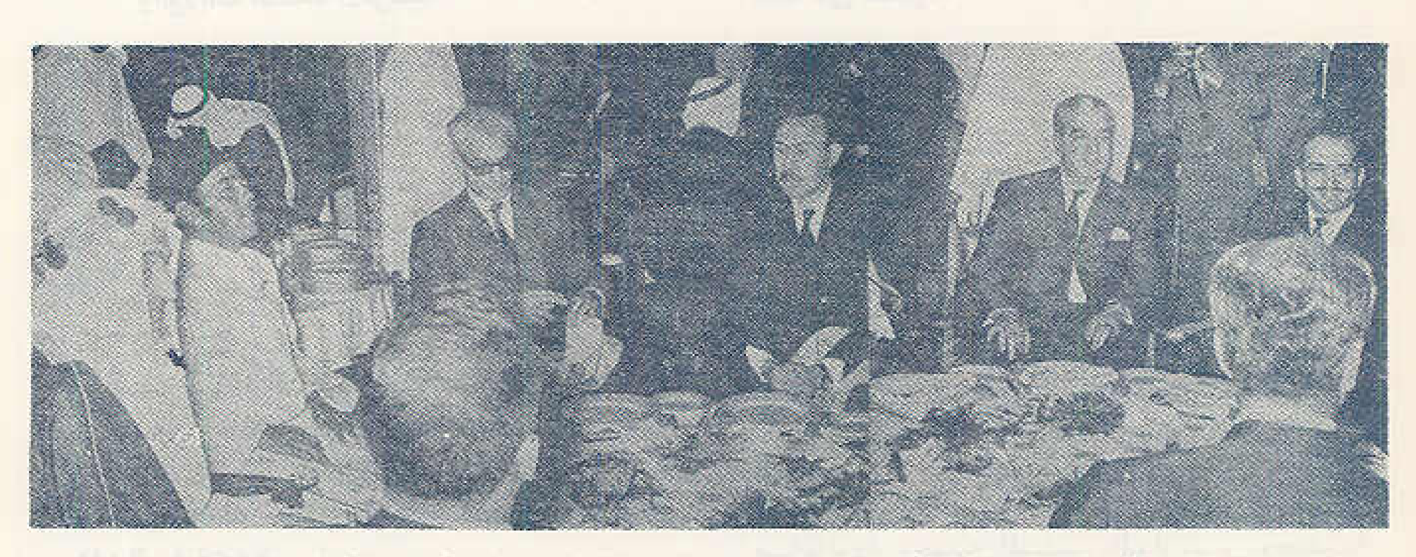
الاتحاد الاسلامي بالطوغو وجمعية مسلمي الداهومي والامين السابق للقدس والحركة الاسلامية بمانشيستر ولجنة الدفاع عن فلسطين فى كيبطان لجنوب افريقيا والدائرة الاسلامية فى جزيرة موريس والمؤتمر الشعبي المنعقد فى عمان وحفيد المرحوم الامير عبد القادر الجزائري .

كما ورد على المؤتمر عدد وافر من البرقيات الواردة من الباكستان باسم الاشخاص والجمعيات وجمعية المسلمين البلجيكيين والامام الرئيس الكاتب العام للمجلس الاسلامي بلاغوس ومجلس الشباب الاسلامي بكانو فى نيجيريا ومفتي قبرس ورئيس واعضاء المكتبة الجمعية الاسلامية بفرنسا وجمعية الاصلاح الاجتماعي بالكويت والمنظمات الاسلامية بسانغافورة وجمعية المسلمين البولونيين وجمعية العمال الجزائريين بفرنسا واتحاد العمال العرب واتحاد جمعيات الطلبة المسلمين فى بريطانيا وايرلاندة وجمعية الدراسات الاسلامية فى سيلان والجمعية الدينية الاسلامية بباريس وجمعية الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا .

قائمة للدول المشاركة في مؤتمر القمة الاسلامي

فيما يلي لائحة للدول الاسلامية المشاركة فى مؤتمر القمة الاسلامي حسب ترتيبها بالاحرف الابجدية بالانجليزية وهذا هو الترتيب الذي روعي في جلوس الوفود حول مائدة المؤتمر :

1 افغانستان	10 المملكة العربية السعودية	19 السينغال
2 الجزائر	11 الكويت	20 الصومال
3 التشاد	12 لبنان	21 جنوب اليمن الشعبية
4 غينيا	13 ليبيا	22 السودان
5 اندونيسيا	14 ماليزيا	23 تونس
6 ايران	15 مالي	24 تركيا
7 العراق	16 موريطانيا	25 الجمهورية العربية المتحدة
8 المملكة الهاشمية الاردنية	17 النيجر	26 اليمن
9 المملكة المغربية	18 الباكستان	



أقام جلالة الملك المعظم مادبة عشاء تحت الخيام بالقصر الملكي العامر تكريما لجميع الوفود الاسلامية المشاركة في مؤتمر القمة الاسلامي الاول

توصيــة

يعبر فيها ملوك ورؤساء الدول الاسلامية عن امتنانهم لصاحب الجلالة واعجابهم بتنظيم المؤتمر رغم قصر المدة .

ان رؤساء الدول والحكومات الاسلاميــة والممثلين يودون ان يعبــروا لصاحــب الجلالــة الملك الحسن الثاني عن عميق امتنانهم للضيافة الحارة والقلبية التي قوبل بهــا المشاركــون في مؤتمر القمة الاسلامي .

ويودون كذلك ان يعبروا عن فائق وخالص اعجابهم بالترتيبات الممتازة التي اتخذت فى وقت قصير من لدن حكومة المملكة المغربية تحت قيادة جلالة الملك المعظم لتنظيم مؤتمر القمة .

ويرجع جل الفضل فى نجاح هذا المؤتمــر التاريخي الى الحكومة واللباقــة التــي ادار بهــا صاحب الجلالة مداولات المؤتمر .

ان رؤساء الدول والحكومــات الاسلاميــة والممثلين يابون الا ان يقدموا لصاحــب الجلالــة وحكومته وللشعب المغربي متمنياتهم الخالصــة بالسعادة والتقدم والرفاهية .

قرار بتكوين أمانة عامة دائمة

فيما يلي نص قــرار صــدر عن الجلســة الختامية لمؤتمر القمة الاسلامي .

قرر مؤتمر القمة الاسلامي ان يتم اجتماع لوزراء خارجية الدول المشاركة بجدة فى شهر مارس 1970 وذلك :

أولا : لبحث نتائج العمل المشتــرك الــذي قامت به الدول المشاركة على الصعيد الدولي في موضوع القرارات الموجودة فى اعلان مؤتمر القمة الاسلامي بالرباط .

ثانيا : لبحث موضوع اقامة امانــة دائمــة تكون من جملة واجباتها الاتصال مع الحكومــات الممثلة فى المؤتمر والتنسيق بين اعمالها .

تصريحات لبعض رؤساء الدول بعد مغادرتهم بلاد المغرب



العقيد الهواري بومدين يقول :

ان مؤتمر القمة الاسلامى كان مفيدا وناجحـــا

ادلى العقيد الهواري بومدين رئيس مجلس الثورة والحكومة الجزائرية بتصريح لدى عودته الى الجزائر قادما من الرباط حيث تراس الوفـد الجزائري فى مؤتمر القمة الاسلامي جاء فيه :

اعتقد ان مؤتمر القمة الاسلامي الذي انعقد فى الرباط كان مفيدا اذا ما نظرنـا الى الانقسـام الذي كان يخيم على البلدان الاسلاميـــة لعـدة قرون ، واذا ما نظرنا كذلك الى المشاكل العديدة التي تواجهها بعض الجهات من العالم الاسلامي .

وقال ان النتيجة الاولى من هذا المؤتمر هي اللقاء الذي مكن المشاركين من التعاون وتبادل وجهات النظر فيما بينهم حول المشاكل التي تهم العالم الاسلامي وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار هذا الاجتماع ناجحا .

واذا اعتبرنا من جهـة أخرى المشاكـل وخطورتها والحلول الفعالة التي ستتطلبها تلـك المشاكل بدا لنا انه من غير المعقـول ان يتخـذ مثل هذا المؤتمر قرارات ليس فى امكانه اتخاذها لاختلاف وجهات نظر أعضائـه ازاء المشاكـل الخطيرة التي يجتازها حاليا العالم الاسلامي .

وأضاف الرئيس بومدين قائلا : لا حاجـة الى تأكيد وجهة نظرنا هنا من جديـد ازاء هـذه المشاكل الخطيرة .

ومضى يقول ونحـن الجزائريـن الذيـن كافحنا الاستعمار عشرات السنين فاننا نسانـد حركات التحرير سواء فى افريقيا او غيرها ونؤيد بالخصوص الحركات المكافحة ضد الاستعمار فى بعض أجزاء العالم العربـي بما فيهـا فلسطيـن والاراضي المحتلة .

أمير دولة الكويت ينوه بنتائج المؤتمر

صرح الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت لدى عودته الى بلاده قادما من المغرب بعد ان اشترك فى مؤتمر القمة الاسلامي، ان مؤتمر الرباط قد نجح في مهمته وانه كان فى مستوى مسؤولياته .

واضاف يقول اننا نعتبر ان المؤتمر الاسلامي قد حقق نجاحا ، وان القرارات التي صادق عليها تؤكد من جديد تعلق المسلمين بالبقاع المقدسة ورغبتهم الاكيدة فى تحريرها وكذا تاييدهم لنضال الشعب الفلسطيني من اجل استرجاع حقوقه المسلوبة .

وبعد ان اوضح ان مؤتمر القمة الاسلامي بالرباط قد فتح صفحة جديدة فى العلاقات بين الدول الاسلامية وجه نداء للتضامن الاسلامي من اجل اقرار السلام ومن جهة اخرى فقد نوهت صحيفة الراي العام الكويتية بنتائج مؤتمر الرباط



وقالت ان التوصيات والقرارات المتخذة خلال المؤتمر الاسلامي الدولي تستحق كل تقدير واعتبار ، وانتقدت الصحيفة بعض الجهات وخاصة منها المشككة والمتشابهة التي كانت تشك في نجاح هذا اللقاء الاسلامي العظيم .

تصريح لرئيس الوفد التركى لدى مؤتمر القمة الاسلامى

ادلى السيد احسان صبري وزير خارجية تركيا ورئيس وفد بلاده فى مؤتمر القمة الاسلامي لدى وصوله الى الرباط بتصريح لرجال الصحافة جاء فيه ما يلي :

اود قبل كل شيء أن اعرب عن بالغ سروري بوجودي بأرض المغرب للمرة الثانية خلال عدة اشهر وبجو المودة والاخوة الحارة التي تطبع علاقاتنا .

وكما تعلمون فان هذه العلاقات عرفت تطورا كبيرا وخصوصا بعد الزيارة التي قام بها صاحب الجلالة الحسن الثاني الى تركيا في السنة الماضية .

لقد قدمت هذه المرة الى المغرب لتمثيل تركيا فى مؤتمر القمة الاسلامي ، واعتقد انى لست بحاجة لان اشير الى أهمية هذا المؤتمر والاسى الذي تحسه تركيا امام الظروف التي استدعت عقد المؤتمر .

ان موقف الوفد التركي فى المؤتمر ستمليه حتما السياسة البناءة لتركيا التي تهدف الى اقامة استقرار بالشرق الاوسط بضمان المصالح والحقوق الشرعية للدول العربية .

ان بلاده المخلصة لصداقاتها والمقدرة لمسؤولياتها فى المجتمع الدولي مهتمة بالوضع الخطير بالمنطقة التي توجد بها .

واريد ان اقول فى الختام : ان الوفد التركي على أتم الاستعداد للتعاون مع باقي الدول المشتركة فى المؤتمر حتى يصل الى نتائج ايجابية

تصريح حول مؤتمر القمة الاسلامي للسيد عبد الخالق حسونة

غادر مطار الدار البيضاء السيد عبد الخالق حسونة الامين العام لجامعة الدول العربية في طريق عودته الى بلاده بعدما حضر اعمال مؤتمر القمة الاسلامي الاول بالرباط ، وقد ادلى عند مغادرته المغرب بتصريح حول مؤتمر القمة الاسلامي الاول قال فيه :

سعدت بالحضور الى المغرب تلبية للدعوة الكريمة التي وجهها الى حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، وكان من حظي الوافر ان اتابع اعمال المؤتمر الاول الذي عقد فى الرباط والذي تعلقت به آمال كثيرة فى كل انحاء العالم من المسلمين وتطلعت اليه انظار كثيرة من غير المسلمين .

واحمد الله على ان ما خرج به المؤتمر على عالمنا الاسلامي جعله يؤمن بما نزل عليه الدين الاسلامي من آيات بينات وجعله يزداد يقينا بربه وايمانا بأمته ، وكانت قرارات المؤتمر فاتحة عهد جديد ارجو ان يكون موفقا بتحقيق كل ما يرجوه المسلمون وان يكون سندا قويا لقضية العرب الاولى وهي قضية فلسطين وان يجعل لها من كفاح أهل فلسطين ومن مناصرة الامة العربية لها ومن تدعيم المسلمين فى كافة انحاء العالم لهذه القضية وخاصة بعد انتهاك حرمة المقدسات فى القدس واحتلال الاراضي العربية وخاصة بيت المقدس وما اقدمت عليه اسرائيل باحراقها هذا المقام المقدس ، ارجو ان يكون من وراء ذلك ما تتحقق به امنيتنا جميعا من تحرير الارض العربية وتحرير بيت المقدس واعادة الحالة الى ما كانت عليه واعادة حق فلسطين الى اهلها الشرعيين .



وقد ادلى القاضي عبد الرحمن الارياني رئيس المجلس الجمهوري بالج. ع. اليمنية بتصريح قال فيه :

ان مؤتمر القمة الاسلامي الذي جمع ملوك ورؤساء وممثلي دول العالم الاسلامي لاول مرة فى التاريخ قد كانت له نتائج طيبة ، ونحن نعتبر ان مجرد اللقاء التاريخي لملوك ورؤساء العالم الاسلامي يعتبر نصرا فى حد ذاته ، ونحن نسجل اعجابنا الكبير بجلالة الملك الحسن الثاني الذي ادار جلسات المؤتمر بحنكة وبراعة ولباقة كانت العامل الاول فى نجاح هذا المؤتمر ، وقال : ان مؤتمر العالم الاسلامي مؤتمر هام ، وكما سمعتم قراراته واعلاناته هو الخطوة الاولى لتجمع اسلامي فى المستقبل ، وبهذه المناسبة يسرنا ان نسجل شكرنا وتقديرنا للعاهل المغربي العظيم الملك الحسن الثاني على الجهود التي بذلها في سبيل انجاح هذا المؤتمر وعلى الاكرام والحفاوة البالغة التي غمر بها كل الوفود التي تجمعت بالمملكة المغربية ، كما نشكر الشعب المغربي الشقيق على كرمه وعلى ما لمسنا من ابنائه من اكرام وحفاوة .

رسالة ملك افغانستان الى مؤتمــر القمة الاسلامــى



تلا رئيس وزراء افغانستان السيــد نـور أحمد اعتمادي على مؤتمر القمة رسالة من ملـك افغانستان الى هذا المؤتمر التاريخي جاء فيها:

اخواني الاعزاء رؤساء دول وحكومات وممثلي البلدان الاسلامية في الرباط .

باسمي وباسم الامة الافغانية اعبر عن اصدق متمنياتي بنجاح اول اجتماع للبلدان الاسلامية على مستوى القمة . ان الامة الاسلامية الافغانية التي قبلت منذ اكثر من الف سنة كل تضحية في خدمة الديانة الاسلامية الحنيفة ، تعتقد ان من واجبها ان تساهم في الدفاع عن حقوق الشعوب المسلمة .

وامل ان يتمكن الوفد الافغاني من خدمة المؤتمر في الاهداف السامية النبيلة الموكولة اليه . وادعو الله العلي القدير ان يعينكم ويعين جميع البلدان الاسلامية والانسانية جمعاء على الوصول الى ما تصبو اليه .

رسالة شيخ الجامع الازهر الى مــؤتمــر القمـــة

وجه فضيلة الامام الاكبر الشيخ محمد شيخ الجامع الازهر بيانا الى مؤتمر القمة الاسلامي المنعقد بالرباط طالب فيه اعضاء المؤتمر بجمع الامر وتوحيد الكلمة بين العرب والمسلمين جميعا من اجل تطهير الاراضي من فساد الاستعمار .

صحيفة باكستانية تنوه بنجاح مؤتمر القمة الاسلامى

قالت صحيفة مورنينغ ستار التي تصدر في كراتشي في مقال افتتاحي :

« ان مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد في الرباط يبشر بعمل مدروس بالنسبة الى الشرق الاوسط .

ومضت الصحيفة تقول ان كون بيان الرباط مجرد تأكيد لقرار مجلس الامن والموقف الذي يتخذه ممثلوا الدول الاسلامية في الامم المتحدة لا يقلل من اهمية الالتزام الذي اعلن الان باسم الاســـلام .

عمدة مدينة القدس السيد روحى الخطيب يوجه برقية الى مؤتمر القمة الاسلامى

وجه أمس السيد روحي الخطيب عمدة مدينة القدس الذي نفاه الاسرائيليون خطابا الى مؤتمر القمة الاسلامي يهيب به ان ينقذ القدس من الاحتلال الاسرائيلي .

واضاف السيد الخطيب ان السلطات الاسرائيلية تتمادى في اجراءاتها التعسفية لجعل مدينة القدس عاصمة لها ، ووضع العالم امام الامر الواقع .

تهنئة من التجمع الاسلامى بفرنسا

تلقى صاحب الجلالة الملك المعظم برقية تهنئة من التجمع الاسلامي بفرنسا جاء فيها :

ان مسلمي الجزائر المستوطنين بفرنسا يحيون مؤتمر القمة الاسلامي المنعقد بالرباط ويؤكدون لجلالتكم مودتهم الحارة ويلتمسون ابلاغ تحياتهم الخالصة الى ملوك ورؤساء الوفود الاسلامية الملتفة حول جلالتكم .

برقيات شكر وتقدير من أصحاب الجلالة والفخامة موجهة الى رئيس المؤتمر الاسلامي الدولي مولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وأيده

جلالة العاهل المعظم يتلقى برقية من جلالة الملك فيصل

تلقى صاحب الجلالة الملك المعظم برقية من جلالة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية يقول فيها :

فى اللحظة التي أغادر فيها المملكة المغربية، البلد العربي الاصيل المضياف ، أبعث لجلالة الاخ بأحر تحياتي القلبية وتمنياتي الودية الخالصة لشخصكم ، والتقدم والازدهار لشعب المملكة المغربية النبيل ، وانني لمقدر جهود جلالتكم على العمل الجبار الذي قمتم به لانجاح مؤتمر القمة الاسلامي الاول ، كما أقدر ما قامت به مختلف الاجهزة من تأمين الراحة والامن لكل فرد من أفراد الوفود الممثلة فى المؤتمر ، وليثق جلالة الاخ بأن هذا الاجتماع التاريخي وما تمخض عنه من قرارات حكيمة سيكون اللبنة الاولى فى صرح التعاون الاسلامي فى مختلف الميادين ، وسيكون بحول الله وقوته ، نقطة التحول فى علاقات الدول الاسلامية مع بعضها ومع جميع دول العالم ، وستبقى ذكرى هذا المؤتمر ماثلة أمام عيني ،



وشخص جلالتكم لا يغيب عن نظري لما قدمتموه من خدمات للعالم الاسلامي .

وأرجو الله ان يكون من نتائج هذا الاجتماع ما يعود بالخير على الدول والشعوب الاسلامية وعلى العالم أجمع ، وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه لخدمة دينه واعلاء كلمته متمنيا لجلالة الاخ الصحة والتوفيق ، والله يحفظكم .

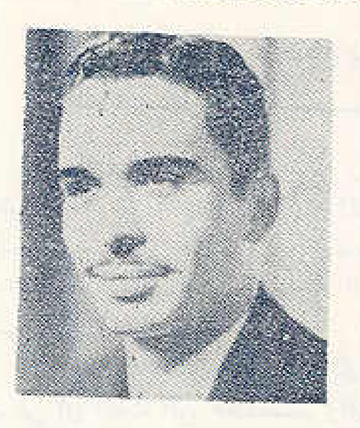
برقية شكر وتقدير الى صاحب الجلالة من جلالة الملك حسين بن طلال

بعث صاحب الجلالة الملك حسين بن طلال ملك المملكة الاردنية الهاشمية بالبرقية الاتية الى صاحب الجلالة الملك المعظم هذا نصها :

في الساعة التي أغادر فيها ربوع المملكة الزاهرة يسعدني أن أبعث الى جلالتكم باسمي وباسم وفد المملكة الاردنية الهاشمية بخالص الشكر والتقدير للحفاوة البالغة ، والضيافة الكريمة التي لقيناها من جلالتكم طيلة اقامتنا في بلدكم العربي .

ويطيب لي كذلك ان أبعث بتهاني القلبية لجلالتكم على النتائج الطيبة التي اسفرت عنها جهودكم الشخصية في تحقيق عقد اول مؤتمر للدول الاسلامية في التاريخ وضمان نجاحه ، وبلوغ مرامه ، وسوف تظل جهود حكومتكم في الاعداد الدائم للمؤتمر العتيد ومشاعر شعبكم البطل التي كنت وسائر المجتمعين المسها في كل خطوة وكل نتائجه موضع التقدير والاعتزاز منا اجمعين .

أسال الله العلي القدير أن يحفظ جلالتكم ويوفق شعبكم العربي المسلم ليحقق بقيادتكم



الحكيمة الحميدة أسباب الرفعة والتقدم والازدهار ، كما أسأله جل وعلا أن يأخذ بيدنا جميعا في العالم العربي والاسلامي لنصرة قضيتنا واسترداد حقوقنا واعلاء كلمة الله .

ان ما بذلتموه يا صاحب الجلالة من مجهود كبير لعقد هذا المؤتمر التاريخي وادارته كانت له نتائجه المثمرة لما حصلت عليه من نجاح ادخلت الإطمئنان في نفوس الملايين من المسلمين التي كانت تتوجه الى هذا المؤتمر بقلوب ملؤها الامل والرجاء في توحيد كلمة المسلمين ولم شملهم .

وفقنا الله جميعا لما فيه خير أمتنا وديننا وحقق ما نصبو اليه من آمال .

شاه ايران يشكر صاحب الجلالة الملك المعظم

كما بعث جلالة الامبراطور محمد رضا بهلوي شاه ايران ببرقية شكر الى جلالة الملك المعظم الحسن الثاني هذا نصها :

« في الوقت الذى اغادر فيه المغرب اود ان اشكر جلالتكم خالص الشكر على الاستقبال الاخوي الذي أبيتم الا ان تخصصوه لي ، كما أتمنى مخلصا ان تساهم النتائج المحصل عليها في مؤتمر القمة الاسلامي الاول بصورة فعالة في تمتين علاقات الصداقة والتفاهم بين البلدان الاسلامية وبالتالي في تدعيم السلام العالمي والامن الدولي من طرف حكومة جلالتكم ، واننا ننتهز



هذه الفرصة لنجدد لجلالتكم عبارات مشاعرنا الاخوية ، كما نتمنى لجلالتكم السعادة والوفيق»

الرئيس الهواري بومدين يشكر العاهـــل الكـريـــم

بعث العقيد الهواري بومدين رئيس الثورة والحكومة الجزائرية لدى مغادرته المغرب عائدا الى الجزائر بعد ان حضر مؤتمر القمة الاسلامي برقية شكر الى صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني هذا نصها :

« في الوقت الذي اغادر فيه ارض المغرب يطيب لي ان ابعث الى جلالتكم والى الشعب المغربي الشقيق بأحر تشكراتنا على الاستقبال الاخوي الحار الذي خصص لنا .

واننا نأمل في ان يكون مؤتمر القمة الاسلامي الذي يشكل حدثا هاما بادرة طيبة على مستقبل العالم الاسلامي حيث ان هذا المؤتمر قد اتاح لقادة وفود البلدان الاسلامية اجراء اتصالات اخوية مثمرة وان يعود بالخير والفائدة على قضية تحرير فلسطين العادلة والبلدان العربية والاسلاميـــة .

وقد اجرينا خلال فترة المؤتمر اتصالات مثمرة اخرى وخاصة مع جلالتكم ستكون لها ولا ريب نتائج مفيدة على بناء المغرب العربي ونجاح القضايا العادلة في افريقيا والعالم .

واني اذ اجدد لجلالتكم أحر تشكراتنا على حرارة الاستقبال الذي خصص لنا خلال تلك الايام التاريخية العظيمة ، اتمنى لجلالتكم دوام الصحة والسعادة وللشعب المغربي الشقيق التقدم والازدهار » .

سمو أمير دولة الكويت الشيخ صباح السالم الصباح يشيد بجهود صاحب الجلالة

وتلقى جلالة العاهل برقية من سمو أمير دولة الكويت الشيخ الصباح السالم الصباح يقول فيهـــا :

يسرنا ان نعرب لجلالتكم ولشعبكم الشقيق عن امتناننا وتقديرنا العميق للاستقبال الرائع والضيافة الكريمة التي قوبلنا بها أثناء وجودنا في بلدكم الجميـــل لحضـــور مؤتمر القمـــة الاسلامي الاول .

برقية تقدير وامتنان من الرئيس الباكستـــانـــي



وبعث الجنرال محمد يحيى خان رئيس الجمهورية الباكستانية برقية الى جلالة الملك المعظم يقول فيها :

يسعدني في الوقت الذي أغادر فيه عاصمتكم الجميلة ان أرفع الى جلالتكم والى حكومتكم تشكراتي الخالصـــة عن الحفاوة الكبرى التي لقيتها ولقيها اعضاء وفدي أثناء مقامه ببلدكم السعيـــــد .

ويرجع الفضل الاكبر في نجاح مؤتمر القمة الاسلامي في الدور الذي قامت به جلالتكم كرجل دولة ، وابتهل الى الله جلت قدرته ان يحفظكم ويطيل عمركم للسير ببلادكم في طريق التقدم والازدهـــــار .

ندعو الله بالنجاح لمؤتمر القمة
برقية عاهل ماليزيا الى صاحب الجلالة

تلقى صاحب الجلالة الملك المعظم برقيـة جلالة عاهل ماليزيا الملك اسماعيل نصـر الدين شاه هذا نصهـا :

يا صاحب الجلالة .. نحن سعداء جدا ان نرفع لجلالتكم أخلص تحياتنا الاخوية وان نشكر لجلالتكم الدعوة اللطيفة الكريمة التي وجهتموها لبلادنا للاسهام في مؤتمر القمة الاسلامي المنعقد في الرباط من 22 الى 24 سبتمبر بشأن المسجد الاقصى ومدينة القدس الشريف .

ان هذا المؤتمر طبيعي ومناسب وخاصـة بعد العدوان الاجرامي الذي تعرض له المسجد الاقصى في الشهر المنصرم ، ذلك العدوان الذي كان له في نفوسنا أبلغ الشعور والذي نقف ضده موقفا شديدا وندعو الى تكريس الجهود الاسلامية والعالمية للعمل على عدم تكرار مثل هذه الجريمة

وبهذه الروح وهذا الشعور من الاستيـاء والقلق بعثنا رئيس وزرائنا الامير طانكـو عبـد الرحمن للاشتراك في مؤتمر القمـة الاسلامـي ،



ونحن لنسجل بارتياح الشعور العام التلقائـي ورد الفعل الذي ابـداه مواطنونا ضـد احـراق المسجد الاقصى وان مواطنينا يؤدون صلواتهم من أجل المسلمين في جميع مساجد بلادنا ويجمعون التبرعات لهذا الهدف الاسلامي النبيل .

يا صاحب الجلالة .. ان هذا المشكـل المعروض على مؤتمر القمة الاسلامـي في الرباط هو أمر له أكبر الاثر في قلوبنا جميعا في ماليزيا ، ونحن ندعو الله عز وجل ان يتمكن هذا المؤتمر من تحقيق النجاح الكامل في مناقشاته واهدافـه بروح الوحدة والاخاء الاسلاميين وحرمة بقاعنـا المقدسـة .

برقية شكر من السيد أنور السـادات الـى جلالـة الملـك

يبعث السيد أنور السادات عضو اللجنـة التنفيذية العليا للحزب الاشتراكي العربي ورئيس وفد الج. ع. م. في مؤتمـر القمـة الاسلامـي ببرقية الى جلالة الملك الحسن الثاني هذا نصها:

يسعدني وانا اغادر الرباط اليوم وقلوبنـا عامرة بمشاعر الاخوة بعد انتهاء أعمال مؤتمـر القمة الاسلامي الاول ان أبعث الى جلالتكم باسمي وباسم الج. ع. م. بخالص شكري على مالاقيناه من حفاوة وترحيب ، متمنيا لجلالتكم وللشعب المغربي كل عز ورفاهية وتوفيق .

وبرقية شكر من الرئيس اليمنـى

وبعث القاضي عبد الرحمان الارياني رئيس المجلس الجمهوري للجمهورية العربيـة اليمنيـة برقية الى جلالة الملك هذا نصها :

يسرني والوفد المرافق لي ونحن نغـادر الاراضي المغربية ان نعبر لكم عن المشاعر العميقة التي تفعم نفوسنا بروح الايمـان وروح الاخـوة الاسلامية ، كما نعبر لجلالتكم شخصيا عن شكرنا وتقديرنا لما قوبلنا به من حفاوة وتكريم من قبل جلالتكم والشعب المغربي الشقيق ، واننا ننتهز هذه الفرصة لنؤكد لجلالتكم اعجابنا الكبير لمـا بذلتموه من جهود مشكورة كانت العامـل الاول لنجاح مؤتمر القمة الاسلامي الذي نعتبره الخطوة الاولى نحو تضامـن اسلامـي شامل ، ونبعـث لجلالتكم بتحياتنا القلبية ، ومتمنياتنـا الطيبـة راجيا لجلالتكم موفور الصحة والقوة وللشعـب المغربي مزيدا من التقديم والازدهار .

تسمية بعض المساجد

بأسماء الدول المشاركة في المؤتمر

أصدرت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية البلاغ التالي :
بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي بالرباط وتخليدا لهذا الحدث التاريخي العظيم ،

فقد قرر حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني أيده الله ان يطلق اسم جميع الدول الاسلامية المشاركة في المؤتمر على مساجد مبثوثة في جميع انحاء المملكة بحيث صار كل مسجد من هذه المساجد يحمل اسم دولة من هذه الدول ، وذلك تمتينا لروابط الاخوة الاسلامية التي تجمع بين هذه الاقطار الشقيقة والمملكة المغربية .

وهذه قائمة بأسماء المساجد التي أمر صاحب الجلالة نصره الله باطلاق أسماء الدول الاسلامية عليها :

الرقم	الدولة	المسجد
1	المملكة العربية السعودية	مسجد الحي المحمدي بالدار البيضاء
2	الباكستان	مسجد حي سيدي عثمان بالدار البيضاء
3	الجزائر	مسجد حي سيدي البرنوصي بالدار البيضاء
4	الافغان	مسجد الحي الحسني بالدار البيضاء
5	ايران	مسجد حمرية بمكناس
6	الجمهورية العربية المتحدة	مسجد بني امحمد مكناس
7	الاردن	مسجد المحمدي بالمرس بمكناس
8	تركيا	مسجد كيليز بمراكش
9	تونس	مسجد السنة بفاس
10	ماليزيا	مسجد بنصالح بمراكش
11	موريطانيا	مسجد المدينة الجديدة بتازا
12	النيجر	مسجد ايفران
13	لبنان	مسجد الكبير بأكدير
14	جمهورية اليمن	المسجد الجديد بمدينة الخميسات
15	الصومال	المسجد الاعظم بورزازات
16	اتشاد	مسجد الحسن الثاني بالعرائش
17	السينيغال	مسجد بأكدير
18	غينيا	المسجد الجديد بالحسيمة
19	مالي	مسجد العالية بالمحمدية
20	السودان	مسجد تبريكت بسلا
21	الكويت	مسجد الانوار بمدينة العرائش
22	ليبيا	مسجد الحسن الثاني بمدينة وجدة
23	اندونيسيا	مسجد بمدينة القنيطرة
24	اليمن الجنوبية	مسجد بالسعيدية

من جوانب سيرة الرسول

لماذا ندرس سيرة العظماء والأبطال؟

للأستاذ محمد الطنجي

لكل عظيم او نابغ اثر في المجتمع الانساني الذي يعيش فيه سواء كان نبوغه وعظمته في العلم المادي او الديني او اللدني من عند الله او بوحي منه دون تعلم من البشر ذلك ان الرقي الفكري والعلمي والاجتماعي يتكون ويتركب متسلسلا في اطوار التاريخ الانساني والحضاري كسلسلة متماسكة الحلقات لكل طور حلقة من هذه السلسلة مطبوعة بطابع ذلك الطور الا ان هذه الاطوار يلقح بعضها بعضا وتتدرج في سلم الرقي كلما امتد بها الزمان بحيث يكون المتقدم منها اساسا للمتاخر ما دامت سائرة في سلم الارتقاء ، الا في عهد التدهور والانحطاط حيث تنحل عزائم العاملين في ميدان الترقي ويستبد بالامر الولاة الجاهلون فيشتغلون بسفاسف الامور دون الاهتمام بمعاليها وتنساق الامة في تيار المترفين الوبيء هناك تنعكس القضية وتاخذ الحضارات والعلوم في الانصراف عن الامة التي لا تقدر قدر العلم ولا مكانة الاخلاق في حياة الامة وعظمتها .

وقد يبتديء تأثير العظيم او النابغ في بيته او قرابته ثم يعم ذلك التاثير وينتشر كما ينتشر ضوء الفجر بعد الغلس حتى يعم الفضاء بنوره الوهاج، ولذلك كانت دراسة تاريخ العظماء والابطال مما يعطي لدارسها احسن قدوة ويلقي الاضواء على احداث الزمان وعبره فيتجنب الانسان كل كبوة ، فاللبيب المحظوظ من بني الانسان من استطاع ان يضع برنامجا عمليا يكفل له النجاح في حياته البيتية وحصل على ذلك النجاح ، واوفر منه حظا من تعدى نجاحه الى قرابته او قبيلته او امته حيث يكون موضع اعجاب وثناء وتقدير ، فيرتفع له من حسن صنيعه الذكر الجميل ، ويتبوأ في المجتمع المقام الجليل ، ويكون عائب خطته ومنتقص مكانته طعمة الافواه ومسخرة الناس ، خصوصا اذا كان العائب والمنتقص فاشلا في الحياة ، عاجزا عن التدبير، انما توجهه لا يأتي بخير. ذلك ان النجاح في الحياة كثيرا ما يتطلب خبرة وكفاءة وقدرة على تنفيذ الخطة التي رسمها الشخص لحياته ، وليس كل برنامج نظري يستطاع تنفيذه ، وليس كل برنامج نفذ ووقع تطبيقه من البرامج النظرية حالفه التوفيق والنجاح ، وحصلت للفرد او الجماعة الغاية المطلوبة منه ، واذا كان الفوز والنجاح في الحياة يتمتع صاحبه بتقدير يناسب مجهوده ومسعاه ، فان الافضل والاحق بالدراسة والعناية من اتى ببرنامج عملي لاسعاد البشرية ، وادعى ان هذا البرنامج يحمل عناصر البقاء والاستقرار والسعادة للمتمسكين به ، والخلود على الدهر ، واستطاع بدون مالية ولا عتاد حربي ولا مدد ظاهر ان يجمع حول مبادئه جماعة استطاعت ان تومن بها وان تنشر دعوته وتؤدي رسالته حتى اصبح المومنون بها على توالي الزمان يعدون بمآت الملايين من البشر ، فصدق الواقع كل ما قاله ووعد به ؛ واثبت الزمان صدقه في انه رسول من رب العالمين الى الناس اجمعين برسالة من عند الله فيها هداية وسعادة ورحمة

للبشرية فحصل كل ما وعد به ودل الواقع على انه رسول الله حقا وصدقا ايده الله بقوة خارقة فوق قدرة البشر ، لاننا نرى الحكومات والدول الكبرى تعجز عن تحقيق مشاريع دون هذه الثورة الاجتماعية الكبرى التى حصلت فى العالم بعزيمة فرد واحد يزن فى رسالته ومرماه وفضائل نفسه فى الواقع امما باسرها ، انه رسول الله محمد عليه السلام وان كتابه القرءان الذى يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين .

ومما جاء فى هذا القرءان قول الله تعالى لنبيه « هو الذى ايدك بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم ، لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم » . ومما يشير الى قيمة وثقل وزنه المعنوي فى الوجود ما جاء فى حديث شق الصدر حيث حكى الرسول ان احد الملكين اللذين غسلا قلبه الشريف قال لصاحبه زنه بعشرة من امته ، فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ، فقال دعه عنك فو الله لو وزنته بأمته لوزنها ، وهذه لطيفة ذات مغزى عظيم فى قيمة الرسول الذى ارسله الله رحمة للعالمين ، واياك ان تفهم من هذا الميزان ما يفهمه المتولون لوزن الاشياء من تقدير ثقل الاجسام فقيمة الوزن معنوية والوازنان من الملأ الاعلى .

واذا اردنا ان نفهم قيمة هذا الدين ، فلابد ان نجرده مما الصق به على مر السنين ، فقد مر على وجود هذا الدين هاديا للبشرية اربعة عشر قرنا بين اهله المومنين الذين حصل منهم بعض الغلو فى شأنه ، وبين اعداء الاسلام الذين جندوا طاقاتهم لمحاربته علانية ، وكيده سريا ، وافتراء احاديث وتقولها على الرسول حتى يشككوا المومنين فى دينهم حتى وقع تزلزل فى قلوب بعض المنتسبين للاسلام ، وتكونت فرق مختلفة فى شعوبه ، فوقعت مناظرات ومجادلات سواء فيما يتعلق بالعقائد او الاحكام او مذاهب اخرى وقد تصدى من يدافع عن الاسلام وعن احاديث الرسول من حفاظ السنة للذب عن الدين ، وتخليص سنة الرسول من تقولات المفترين حتى استبان الحق وافتضح النفاق واهل الشقاق وظهر امر الله وهم كارهون كما نفى اهل السنة والجماعة ما الصق بأصول الدين وعقائده واحكام معاملاته وهم الذين تحملوا امانة علومه فادوها احسن اداء فكانوا من الذين قال الرسول فى حقهم: يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

ولكن من المعلوم ان الشبه تتجدد حسب تطورات الزمان وتنوع المعلومات فى البشر فتحصل المقارنات بين ما ثبت فى الدين وما وقع اكتشافه وما برز للوجود من التطورات الاجتماعية التى اثرت فى عقلية الانسان وعقيدته وسلوكه ، ولذلك ينبغي فى هذا العصر اعادة النظر فى عرض دين الاسلام على الاجيال الصاعدة بما يناسب ويقنع عقلية اهل العصر الحاضر حتى يتبين للجيل الصاعد نصاعة الاسلام وكفاءة جوهره للسير بأهله نحو الكمال ويعرف علو مقامه فى الوجود وما اداه لاهله بصفة خاصة وللانسانية بصفة عامة فى تاريخه المليء بالمفاخر والمكرمات فاذا امن الشباب من جديد بأحقية دين الاسلام وصلاح مبادئه للحياة المدنية الفاضلة امكن ان تتغير الحياة الاجتماعية من هذا الانحلال فى الاخلاق والعقيدة الى المثل العليا التي تحيى بها الامم فيضيف له هذا الجيل الجديد، بقوة ايمانهم المتجدد، مجدا طريفا الى مجده التليد فان فى رصيد الاسلام الروحي فى قلوب الشعوب الاسلامية ما يساعد كل المصلحين على اصلاح الاوضاع ورفع المستوى الاجتماعي بكل ابداع .

وكل امة ترى من الواجب عليها ان تدرس آثار عظمائها وتحيي ذكراهم فى المستوى الذى يليق بهم وبما ادوه لامتهم سواء فى الميدان العلمي او الديني او الاجتماعي وما تاريخ الامم فى الحقيقة الا تاريخ عظمائها وابطالها .

اما اثر رسول الاسلام فى الامم التى اعتنقته او التى تاثرت به بسبب احتكاكها واتصالها بأهله او الامم التى عارضت الاسلام وعملت بمقتضى ارشاداته فى واقع تاريخها فتجل تلك الآثار للاسلام فى جميع من ذكر عن العد والحصر .

فالتاريخ الحقيقي لهذا الشعب المغربي انما ابتدأ باعتناقه للاسلام فتكونت فيه الحضارات والدول فهو مدين لدين الحق بسياجه وكيانه وشخصيته ، وبالخصوص هو مدين لرسول الله سيدنا محمد بن عبد الله مطلع هذا النور على الشعب المغربي النبيل .

ومما لا يليق بعقول الشباب المغربي المتنور ان يقبل على دراسة عظماء أوربا ويعرض عن دراسة من وحد امته ، وطهر عقيدتها واصلح اخلاق هذه الامة، وهيأ لها سبيل العظمة والمجد بين الامم ، وجعلها دولة ذات سلطان وكيان .

وسوف لا نبني هذه الدراسات على الخوارق وما لا يصح من الاخبار لان عظمة من نفخ في الامة الاسلامية بأسرها هذه الروح غني بحقيقة سيرته وعظمة روحه، وخلقه العظيم ، عن كل تلعين ، انه رسول الله وكفى ، غني بحقيقة رسالته وتعليم ربه اياه ما لم يكن يعلم على المظاهر الفارغة والآراء الزائفة ، والله يتولى الصالحين ، وموعدنا الحديث المقبل بحول الله .

الرباط — محمد الطنجي



المسلمون والقرآن

للأستاذ أبي بكر القادري

كان نزول القرآن على سيد البشر محمد عليه السلام ، المعجزة الكبرى التى تحدى بها العرب والعجم .

ذلك ان القرآن الكريم باعتباره كلام رب ذي العزة ، اوتي من البلاغة والبيان ، ما عجز عن الاتيان بسورة مثله فصحاء العرب ، سواء اوائل صدر الاسلام ، عندما اتى رسول الله بدعوته ، او بعد ذلك بقرون وازمان ، الى زماننا هذا ، والى ان يرث الله الارض ومن عليها .

ودون ان ندخل فى الاسباب التى جعلت من القرآن معجزة خالدة ، الامر الذى قتله بحثا علماء البلاغة وغيرهم ، فان الواقع الذى اكدته الايام ومرور القرون والازمان ، ان القرآن بقي معجزة وبقي تحديه قائما ، سواء فى العصور الاسلامية الاولى ، او فى هذه العصور التى نحياها الآن .

والواقع ان المسلم ياخذه الاعتزاز والاطمئنان لهذا الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . والواقع انه نور نزل من السماء ، لتستضيء به البشرية ، وتسير على هديه وتعاليمه ان ارادت ان تسلك الى النجاح سبيلا (تركت فيكم ما ان اتبعتموه لن تضلوا ، كتاب الله) او كما قال عليه السلام .

لقد كان نزول القرآن على سيد الانام ثورة ثقافية ، ما عرف العالم مثلها ، ثورة ثقافية جعلت اعدى اعداء الاسلام يتسللون فى الليالي الظلماء لينصتوا لهذا الكلام الذى ليس بشعر ولا بنثر ، ثم يرجعون يعضون بنان الندم ، متعاقدين ومتحالفين على مقاومته والطعن فيه وعدم السماح بالانصات اليه ، ولكنهم يجدون انفسهم مدفوعة مرات ومرات للتملي بالاستماع والانصات اليه ؛ رغم ما قاله زعيمهم وافصح فصائحهم من ان هذا : (الا سحر يوثر ان هذا الا قول البشر) .

لقد انزل الله العظيم، القرآن الكريم ليكون لهذه الامة الاسلامية نورا تهتدى به فى ظلماتها ، ولتسير على نهجه فى سلوكها ومعاملاتها وجميع تصرفاتها ، ولتبنى على أساسه مجتمعها وافرادها ودولتها ، حتى يكون المجتمع الاسلامي مجتمعا قرآنيا ، يسير فى نهجه حسب تعاليم القرآن ، ويربي افراده ومختلف طبقات امته وفق ما امر القرءان .

نزل القرءان الكريم على قلب سيد الانام ، والعالم يسير فى بحر من الضلالات والاوهام ، تاخذ الحيرة بتلابيب قادته ، ويسير الهوى والشيطان كثيرا من زعمائه وقادته ، اتخذ الكثير من هؤلاء أصناما يعبدونها من دون الله ، واختلطت عليهم الامور فصاروا يتقربون الى اللات والعزى ومناة ، يتلهون بعبادتها من دون الله ، وقالوا ما تعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى .

ولكن العلي القدير ، لا يرتضي لعباده ان يتخذوا لهم الاها غيره (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاه ويوتوا الزكاه) فكانت الايات القرءانية تتلى وتتابع ، داعية الى عبادة الله والايمان به وحده لا شريك له ، حاثة العباد ان يرموا بعبادة الاصنام والاوثان ، وان يقبلوا بعبادتهم مخلصين للملك العلام .

وهكذا كان المقصد الاول لتعاليم القرءان هو تطهير العقيدة من دنس الشرك ، والايمان بالله الواحد الاوحد ايمانا لا يشوبه ادنى شك ، ولا يخالطه ادنى ريب (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه) .

وتوالت الآيات القرءانية تكر على الشرك والمشركين ، وتدعو الى الايمان الذي يحيي القلوب ، ويدفع بالمؤمنين الى طريق الرشد والسعادة والاطمئنان ، فاصبح المستمعون اليه يتأثرون لتوجيهاته، ويتخوفون من تقريعاته وانذاراته ، وهكذا لم تمض الا بضع سنوات ، حتى استطاع الرسول الاعظم ، ان يلم حوله نخبة صادقة من المؤمنين الاولين الذين كانوا النواة الاولى لتأسيس المجتمع القرآني السليم ، ذلك المجتمع الذى كان ضمن افراده الخلفاء الراشدون ، والصحابة المبشرون ، والمؤمنون الصادقون ، الذين امتلأت نفوسهم ايمانا ويقينا ، فحملوا الامانة التى عرضت عليهم بصدق ويقين ، وادوها بعزم وتصميم ، وهكذا لم يمض على البعثة النبوية بضع عقود من السنين حتى كانت تعاليم الاسلام تضيء انوارها مشارق الارض ومغاربها ، واصبحت كلمة (الله اكبر) تشق الفضاء فى عنان السماء ، شرقا وغربا .

وما كان ذلك الا لان الرعيل الاول من المؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فبلغوا رسالة القرءان ، بعد ان ساروا على نهجها ، ودافعوا عن راية القرءان بعد ان كانوا من جنودها ، وتخلقوا باخلاق القرءان ، لانهم كانوا من حماته وصانوا المجتمع القرءاني من كيد الكائدين ، وزيغ الزائفين، واعتزوا بعقيدة القرءان لانهم ءامنوا بأنها سبب عزهم واخراجهم من الضلال الى الهدى .

لقد اعتبر المسلمون الاولون القرءان هو المشكاة التى يستضيئون بنورها ، والهدي الذى يهتدون به للحياة القويمة (ان هذا القرءان يهدي للتي هي اقوم) فتخلقوا باخلاقه ، وسنوا تشريعاتهم حسب تخطيطاته ، وطبقوا تعاليمهم فى مختلف شؤونهم ، سواء منها السياسية والاجتماعية او الاقتصادية طبق ارشاداته فكان القرءان هو المنار الذي به يهتدون ، وكانت حياتهم تسير وفق ما يدعو اليه، ووفق ما نزل من اجله .

لم يكن سلفنا الصالح يعتبر القرءان نزل على محمد عليه الصلاة والسلام ليتبرك به المسلمون ويتلونه دون ان يعملوا على تطبيق ما تدعو اليه آياته من هدي ، وما تحض عليه من طاعة ، وما تأمر به من اعمال ، تظهر فى تصرفاتهم وسلوكهم ، ولم يكونوا يعتبرون مرجعا آخر يجب الرجوع اليه والسير حسب المنهاج الذى دعا اليه غير هذا الكتاب العظيم الذى نزل به الرب الكريم .

فكانت عبادتهم حسب تعاليم القرءان ، وكانت معاملاتهم وتصرفاتهم مستمدة من هدي القرءان وكانت تلاوتهم للقرءان تضفي عليهم حلة خاصة تجعلهم يفكرون بأنهم ان لم يسيروا في سلوكهم على نهج القرءان ، فان تلك التلاوة لا تجديهم نفعا لانهم لم يكونوا يريدون ان يكونوا مثل الحمر تحمل اسفارا ، وانما يريدون ان يكونوا من (المؤمنين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) كانوا يقرأون قول ربهم عزت قدرته (ولله العزة ولرسوله وللمومنين) فيعملون جميع الوسائل ليكونوا اعزة فى هذه الحياة لان الدين لا يعتز الا بعزهم ، كانوا يتلون قول الله تعالى (وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم) .

فكانوا يدخلون التشريعات القرءانية فى مختلف مجالات حياتهم العملية . كانوا يقراون قول ذي العزة والجلال : (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) فكانوا يتخذون من الاسباب والوسائل ما اصبحوا به اعزة فى الارض . كانوا ينصتون لقول ربهم (وكذلك جعلناكم امة وسطا، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) . فكانوا يشعرون ان رسالتهم تفرض عليهم ان يكونوا فى طليعة الامم الداعية الى الخير والحق والهدى والعدالة بين الناس ، لا يستمدون تعاليمهم من مذاهب مستحدثة ، ولا يستوردون مبادئهم من شرق او غرب ، لانهم هم الامة الوسط الذين سيكونون شهداء على الناس، ويوضحون لهم تعاليمهم القرآنية التى بها من اليسر والمرونة ما جعلها صالحة

فى كل الازمان والامكنة ، لانها تعاليم خالدة خلود الحق الذي نزلت من عنده .

كان المسلمون وكانوا .. ولا نحتاج ان نزيد فى التعداد لانهم كانوا يعيشون القرءان وللقرءان ، ولا يتصورون ان يعيشوا بمعزل عن هذا الكتاب الذي كان سبب عزهم وخلودهم ولكن المسلمين اليوم يختلفون عن مسلمي الامس ، فلقد اصبح المسلمون اليوم غائبين عن قرءانهم ، مبتعدين عن هدي تعاليمه ، معتزين به ولكن بالكلام والادعاء ، مفتخرين به ولكن بالاقوال دون الافعال .

لقد ابعدوا القرءان عن تشريعاتهم رغم أدعائهم بأنها اسمى التشريعات ، فصاروا يتحاكمون الى احكام وضعية ماانزل الله بها من سلطان، غير باحثين ولا متقيدين بالاسس التى نزلت من السماء ، والتى راعت مصالح العباد فى كل زمان ومكان .

لقد ابعدوا القرءان عن اخلاقهم ، فصارت لهم مقاييس خلقية جديدة لا تستمد انوارها من القرءان، وانما تتبع اخلاقا غريبة دخيلة تصادم فى كثير من الاحوال ، الاخلاق التى دعا اليها القرءان .

لقد نظموا حياتهم على اساس يختلف تمام الاختلاف عن الاسس التى خطها القرءان فى الحياة، فأصبحوا يتبعون سنن غيرهم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه معهم ، كما تنبأ بذلك رسول الله عليه السلام .

لقد اعتزت طائفة منهم بتعاليم ومذاهب اجنبية دخيلة ليست متوافقة مع تعاليم القرءان فحسب ، ولكنها مصادمة لها ومحاربة لاسسها محاربة منكرة ومع ذلك يدعون انهم ينتسبون للاسلام . لقد تسلطت الشهوة على انفسهم فأصبحوا مستعمرين لافكار اجنبية دخيلة ، متأثرين بثقافة استعمارية حقودة ، فتفرقت كلمتهم ، وتعددت نزعاتهم ، وكثر التطاحن بين صفوفهم والتنازع بين فئاتهم فضعفوا بعد قوة ، وذلوا بعد عزة ، وسلط عليهم شرارهم ، فصار الخيار منهم يدعون فلا يستجاب لهم .

لقد كثر عددهم ولكنهم اصبحوا غثاء كغثاء السيل وتداعت عليهم الامم من جميع الجهات ، واتحدت عليهم الكلمة من جميع الاجناس ، وتكالبت ضدهم صهيونية ماكرة ، وصليبية حاقدة ، وشيوعية كافرة ، وراسمالية مستعمرة ، فما انتبهوا وما ارتدعوا ، وما ارعووا وما رجعوا .

هاجمتهم الصهيونية فى عقر دارهم ، واستولت على اراضيهم وترابهم ، وتجرات على مقدساتهم واماكن عبادتهم ، وهم مع ذلك لا زالوا تائهين حائرين ، مبتعدين عن الطريق السوي الذى يرجعون به عزهم والذى كان سبب قوتهم وفرض سلطانهم .

لقد نسوا الله فأنساهم انفسهم .

لقد اعرضوا عن القرءان وجعلوه وراء ظهرهم منسيا فاصبحت معيشتهم ضنكا ، وفرحهم حزنا ، ووحدتهم تفرقة ، وعزهم ذلا وما ذلك الا لابتعادهم عن هدى القرءان ، وعدم تمسكهم بتعاليم القرءان .

وبعد فاذا ما اراد المسلمون ان يبدلوا ذلهم عزا وانهزامهم نصرا ، وبؤسهم سعادة ، وتفرقتهم وحدة ، وضعفهم قوة ، فليرجعوا الى القرءان منه يغترفون ، وعلى هدى تعاليمه يسيرون ، وليقفوا فى وجه هذه الموجات المادية الطاغية ، التى اتت على الاخضر واليابس فى شعوبهم ، وليجعلوا دائما امامهم ان الله ما جعلهم خير امة اخرجت للناس ، الا ليكونوا فى طليعة الامم التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليبتعد رؤساؤهم وزعماؤهم عن انانيتهم وعبادة شهواتهم ، وليعتقدوا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وانه سبحانه لا ينصر الا من ينصره ، ولا يؤيد الا من يخدمه ، وان العاقبة للمتقين ، وان لا عدوان الا على الظالمين .

(ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا ، ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار) . صدق الله العظيم .

سلا — ابو بكر القادري



الإستعمار الثقافي بين التبشير والإستشراق

للأستاذ انور الجندي

ان ابسط تصوير للاستشراق واعمقه هو انه **استخدام العلم فى خدمة السياسة** ــ ولقد يتحدث الكتاب ببساطة عن الدور الذي حققه الاستشراق في التراث العربي والاسلامي ، ونحن نقول أن مصدر اهتمام المستشرقين بالشرق والاسلام ووضع الدراسات المختلفة عنه انما يرجع الى ان العالم الاسلامي واقع فى قبضة استعمارهم ، فهم يدرسون تاريخه وأدبه ليدرسوا نفسية هذه الامم ليكيفوا موقفهم منه ويعرفوا من اي جهة يستطيعون اخضاعه وما هي جوانب الضعف فيه للانتفاع بها وما هي جوانب القوة للقضاء عليها ، وذلك بقصد ان يبقى نفوذهم ويستمر ، وهم فى كل ما كتبوه قد عمدوا الى وضع الاسلام واللغة العربية والثقافة والتاريخ في قفص الاتهام وحملونا على ان نقف موقف الدفاع ورد السهام .

ومن أجل هذا الهدف يركز الاستشراق على جوانب معينة فهم يركزون مثلا على التصوف الفلسفي واعلامه واذاعة آرائهم وآثارهم وذلك غرض خبيث ولا شك ، فقد وصل الفكر الاسلامي الى تصفية مثل هذه الموجات التي مرت بالعالم الاسلامي نتيجة اتصاله بالفكر اليوناني والفارسي والهندي ، ولكن للاسلام مفهومه الاصيل فى التصوف ، فمحاولة الاستشراق فى بعث لون معين واحد هو اللون المشبوه المتصل بالاتحاد والحلول ووحدة الوجود مما لا يقره الاسلام أصلا ، انما يكشف عن الغرض الخبيث .

ويبدو هذا الاتجاه من الاستشراق فى الاهتمام بشخصيات بعينها فى تاريخ الاسلام والادب العربي : كالاهتمام بالحلاج فى التصوف وابي نواس فى الادب . وقد اهتم لويس ماسينيون بدراسة موسعة للحلاج واهتم بلاشير بدراسة المتنبي .

وفى نفس الوقت تساق التهم واعمال الانتقاص الى الشخصيات الضخمة التي اضافت الى الفكر الاسلامي اضافات هامة ولها مكانتها الاصيل : كالحملة الموجهة الى ابن خلدون والمتنبي والغزالي .

وقد اصدر اولياء الاستشراق والتبشير من الكاتبين باللغة العربية دراسات في هذا الصدد جروا فيها وراء اهداف الاستعمار ، والغريب ان هناك ثلاث رسائل معروفة : فلسفة ابن خلدون الاجتماعية لطه حسين ، «ومع المتنبي» لطه حسين ايضا ، والاخلاق عند الغزالي لزكي مبارك .

وهي فى مجموعها ترديد للاتهامات والشبهات التي اثارها المستشرقون والمبشرون .

وهناك محاولة دائمة لتصوير الفكر الاسلامي بانه واجه الاضطهاد وحيل بينه وبين الحرية وأن هناك « أبطال » استشهدوا فى هذا الصدد ، وتلك محاولة باطلة لا اساس لها فان الفكر الاسلامي ظل حرا قادرا على التعبير ، ما لم يصطدم كتابه بالخيانة ، او الاتهام بموالاة اعداء المسلمين .

وهم يقدمون دائما فى هـذا السبيـل : اسمـاء الحلاج والسهروردي ، ومن الحق ان يقال ان الحلاج ظل متمتعا بحريته فى ان يقول ما يشاء الى اليوم الذي يثبت فيه ان بينه وبين رئيس القرامطـة « اتفـاق سري » على قلب الدولة ، عندئـذ قتـل لخيانتـه لا لحرية فكره ، وكذلك الامر بالنسبـة للسهروردي فليست هناك فى الحق قضية اضطهاد لحرية الفكر كما حاول الذين كتبوا عن الحلاج وغيره ان يشوهوا الحقيقة بل ان هناك محاولات تغرية دائمة الى تدمير اعلام الاسلام واحياء خصومه والمشوهين من أسماء . امثال بشار وابن الراوندي وابى نـواس والزنـج والقرامطـة .

وقد ركز الاستشراق على الافكار الدخيلة على الاسلام ومن ذلك اهتمامه بفكـرة وحـدة الوجـود والحلول والاتحاد ـ وفكرة وحدة الوجـود معناهـا تاليه المخلوقات واعتبار الكون هو الله ـ وهذا هو سر اهتمام المستشرقين والمبشرين بابن عربي والحلاج .

اما مفهوم الاسلام فهو ان الموجود اثنان : واجب الوجود وممكن الوجود ، واجب الوجود هو ما نفهم الواحد الفرد الصمـد ، وممكـن الوجـود هو هـذه الكائنات كلها التي ندركها بحواسنا الخمس مباشرة .

اما أصحاب مذهب وحدة الوجود فيقولـون : ان كلاهما واحد ، ومعنى هذا ان الكون هو الله ـ وقد أنكر الاسلام عقيدة الاتحاد : اى حلـول الخالـق فى المخلوق واستغراق المخلوق فى الخالـق وهـو ـ أي الاسلام ـ يميز طبيعة كل منهما ، ولهذا انكر الاسلام فكرة الحلـول .

ولا يتقبل الاسلام « وحدة الوجود » لان فيهـا انتقالا من عقيدتـه الاصيلـة (لا اله الا الله) الـى ما يقوله الصوفية (لا موجود فى الحقيقة الا الله) وسياق كل منهما ينتهي الى نتائـج مختلفـة أشد الاختـلاف لنتائج الاخرى ، والتصوف فى مفهوم الاسلام يبدأ من القرءان والسنة وينتهي اليهما .

وهكذا فان فلسفة وحـدة الوجـود والحلـول والاتحاد هي مفاهيم غير اصيلة فى الفكـر الاسلامـي ومستمدة من فلسفات اخرى وثنية ومجوسيـة ، وهذا هو ما يعجب المبشرين والمستشرقيـن فى الصوفيـة وهو الذي يدعوهم الى الاهتمام بها .

وقد كان للمستشرقين جولات جريئة يهاجمون فيها الاسلام واللغة العربيـة فى مؤتمراتهـم : وكانـوا يجدون من امثال عبد العزيز جاويش واحمـد زكـي باشا وغيرهم قوي عاتية تردهم وتكشف شبهاتهـم

ولا نزال نذكر ما وقع في مؤتمر المستشرقين بالجزائر عام 1905 حين نهض مسيو فولار وتحـدث عن اللغة العربية الفصحى ، وهون من شأنها واعلـى شأن اللغة الدارجـة .

وقال : « انه لا يرى أن لغة القرءان هي افصح لغات العرب او اللغة العربية المحضة الناصعة التـي تتخذ قاعدة من بين اللغات العربية » .

وقال : « اذا اردنا ان نطلب اللغة الانصع فصاحة والاصح اصلا وتركيبا فعلينا أن نرجـع بالبحـث الى العصور التي سبقت ظهور الاسلام » .

وقال : أن القرءان « مديج على طراز خاص من النثـــر » .

وقد رد عليه العلامة عبد العزيز جاويش باللغة الانجليزية ودحض شبهه والقى بيانا مطولا عن اللغـة العربية والقرءان . وقال : « أين لكم وأنتم الاغراب عن اللغة العربية ان تحكموا على الفاسـد والفصيـح والافصح ، فان صحة الحكم فى اللغة تستوجب وجود ملكة اللغة راسخة فى الحس عريقة فى النفس وهو مـا لا يوتى بالكسب الا بعد انقضاء السنين الطويلة » .

وقد اصطدم المفكرون المسلمـون بالتبشيـر والاستشراق وقاومته عندما رشح أحدهـم وهـو فنيسنك رئيس دائرة المعارف الاسلامية ليكون عضوا فى المجتمع اللغوي فى مصـر وهاجم هـذا الاجـراء الدكتور حسين الهراوي وقدم صورة لاراء فنسنـك في رسول الله وكشف عن اتجاهه واتجاه زملائه في النيـل من الاســلام .

وقال انه اذا « اراد أن ينال من الاسلام اقرا فانه يفرض فرضا ، ثم يبحث عن الآيات التي قد تناسـب مع هذا الراي الذي فرضه ، فاذا وجد آيـة تدحض رايه حذفها حذفا وأنكرها انكارا حتى يخرج بالنتيجة التي تزرع الشك فى فؤاد من يطلع على اقواله من غير تمحيص ، وقال ان هذه هي طريقة المبشريـن التـي يتبعونها عند بحثهم فى الاسلام نفسه او فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، او عندما يريدون ان يستقصـوا مسالة فى القرءان وهذه الطريقـة لم يبتـدع عنهـا « فنسك » بل هي طريقة قديمة فى اقـدم ما ورد في كتب المستشرقين ، والغرض منها ظاهر جلـي وهـو تزويد جماعة المبشريـن والمستعمريـن بحجـج شبه

منطقية يزعزعون بها عقائد المسلمين ويقللون من تمسكهم بدينهم ، وهي احدى الطرق التي وضعها رواد الاستعمار من زمن قديم ، وكانت احدى وسائلهم مع تقوية اللغات العامية حتى لا يتفاهم بها المسلمون ولا يفهمون لغة قرآنهم ، وفى تقرير لجنة العمل المغربي يقول المستشرق سيكارد : ان الاسلام فى روحه الخاصة قوة مخالفة لاحتياجاتنا ورغائبنا ونزعاتنا ، فمن مصلحتنا التقليل منه بين الشعوب الخاضعة لسلطاننا .

وقد نقل التقرير فقرة من كتاب برنيو الذي يدرس لفريق من طلبة أوربا للغة العربية حيث يقول : « أتريد يا صاح ان تتعلم الكلام مع الاهالي الذين حولك . . . الى ان يقول : لا نظن اني سأعلمك لغة القرآن ، هذه اللغة قد ماتت ولا يتكلم بها احد فهي « لاتينية العرب » ، وهي اللغة المستعملة فى جنة محمد وسأحبب اليك دراستها فى المستقبل اذا اردت ان تتذوق حلاوة الاجتماع بالحور العين . ويقول الدكتور الهراوي : ويتمثل لك نتيجة عمل المستشرقين جليا فى كل كتاب علمي او عمراني او اجتماعي يكتب شيئا من الشرق وعن الاسلام ، فانك ما تكاد تقرا اي هذه الكتب حتى الافرنجية منها حتى ترى اجماعا على الجهل بالاسلام او اجماعا على الطعن فى النبي الكريم .

وقد انتج ذلك ان بعض المتعلمين من المسلمين الذين لم يلموا الماما كافيا بدينهم اخذوا يتبعون خطا المستشرقين ويقتفون اثرهم بالطعن فى نفس دينهم واخترعوا لنا اسما غريبا لهذه الحالة هو : « حرية الفكر » والتجديد فى الادب العربي ومباحث فى الشعر الجاهلي الى غير ذلك من التفنن فى انواع الجهالة المشعوذة بلباس سطحي من العلم لا تكاد تلمسه حتى يتمزق ويهتك سر لابسه ، انه قليل الثقة عالة في معلوماته عن دينه لجماعة المستشرقين .

وضرب الدكتور الهراوي مثلا بما ورد فى دائرة المعارف الاسلامية فى مادتي « ابراهيم » و « كعبة » من شبهات ومغالطات .

* * *

ودائرة المعارف الاسلامية هي فى ذاتها عمل من أعمال التبشير والاستشراق لوضع الشبهات المختلفة التي توصل اليها خصوم الاسلام فى ثوب له مظهر علمي ، ولذلك فان مراجعة مواد هذه الموسوعة يحتاج من الباحثين المسلمين الى حذر شديد .

وقد عرض كثير من الباحثين لاخطاء دائرة المعارف المتعمدة ـ واشار العلامة فريد وجدي الى سيطرة البدع الدخيلة على الاسلام على مواد هذه الدائرة باستفاضة مثيرة ، فقد امعن مؤلفو الدائرة فى تسجيلها وشرحها كأنها حقائق مقررة .

وقد اعتمد المبشرون فى ذلك متعمدين على كتب ليست علمية قاصدين التمويه بادخال الاساطير والبدع الى حقائق الشريعة كانها كلها مواد الاسلام وقيمه .

ومن اهم الكتب المشبوهة التي اعتمدت عليها دائرة المعارف الاسلامية كتاب « شمائل المصريين المحدثين وعاداتهم » الذي كتبه (ادوارد وليم لين) عام 1825 عن المصريين وقد كان كاتبه من الخصوم القاصدين الى تشويه الحقائق ، ثم جاء مبشرو دائرة المعارف فنقلوا عنه خرافاته وكأنها حقائق مقررة .

وكتاب (شمائل المصريين المحدثين وعاداتهم) يدرس الآن فى بعض المعاهد والجامعات فى العالم العربي ، الفه المستشرق المبشر (ادوارد وليم لين) الذي قدم مصر 1825 بهدف واضح هو جمع عدد من الشبهات والصور المثيرة لصياغتها على نحو يوحي بانها اخلاق المصريين وتحقيقا لهذه الغاية الماكرة فقد اخفى حقيقته وسمى نفسه (منصور افندي) وتزيا بزي الاتراك وادعى الاسلام ليتمكن من محادثة المسلمين فى اسرار معتقداتهم (كما يقول) وجعل يغشى المساجد وحفلات الذكر وموالد الاولياء ويستمع الى احاديث المعجزات والخوارق حتى يتسنى له ان يكتب مؤلفه الذي اهتمت به دوائر الاستشراق في أوربا وتناقلته وترجمته الى اللغات المختلفة فى الشرق والغرب واصبح بتوجيه الاستعمار والتبشير ونفوذهما مرجعا شعبيا لمن يدرس العادات والتقاليد كما أصبح احد المراجع الهامة التي اعتمد عليها مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية الذين كانوا ينقلون عنه هذه الخرافات على انها حقائق .

وكذلك فعل التبشير والتغريب بكتابي الاغاني والف ليلة اذ جعلهما من المصادر العلمية التي يعتمد عليها .

ولا شك ان من اخطر اعمال التبشير والاستشراق هو وضع موسوعات كاملة أمام الباحثين العرب والمسلمين تمكنهم من ان يجدوا فيها ما يريدون البحث عنه فى سرعة وسعة ، فيلجاون اليها دون ان يكلفوا انفسهم مؤنة البحث عما يتضمنه من حقائق او

إباطيل ، وذلك اعتمادا على طبيعة بعض المؤلفين والباحثين والعلماء من الثقة بالكلمة المطبوعة ومن الاعتماد على شهرة الاسماء التي وضعت على صدر هذه الابحاث ، ومن هذه المراجع دائرة المعارف الاسلامية والمنجد ، والموسوعة العربية وبركلمان وغيرها ، ونظرا لتقصير المفكرين المسلمين فى وضع مثل هذه الموسوعات فان دائرة المعارف الاسلامية هذه تجد مكانها لدى الباحثين الذين قد لا يتنبهون الى بعض التعليقات القصيره والهوامش التي وضعها بعض ذوي الغيرة للكشف عن الشبهات المدسوسة في تلك النصوص .

والهدف الاكبر من مثل هذه الاعمال القاصدة الى تشويه الحقائق،هو خلق شعور بالنقص واحساس بالازدراء ، من شأنه ان يسيطر على نفوس المسلمين والعرب .

ويصدق فى هذا قول الدكتور عرفان عبد الحميد من ان هدف الاستشراق هو خلق جيل يتنكر لتراث هذه الامة ليصير الى حيرة واضطراب فكري فيسهل عند ذلك غزو المجتمع الاسلامي بالفكر والمبادىء والمفاهيم والتصورات الغربية .

وقد اشار مالك بن نبي الى انه فى كل قضية او مسالة او معضلة تواجه المسلمين فان الاستعمار والتبشير والاستشراق والتغريب قادر على طرح اجابات مستمدة من محاولته المستمرة لتغيير مجرى التفكير الاسلامي .

ولقد يغري هذا الاهتمام الذي يوليه المستشرقون للتراث العربي الاسلامي الى انصافهم وقد يغيب عن بال هؤلاء ان مصدر اهتمام المستشرقين بالاسلام والشرق انما ينصب اساسا على دراسة نفسية هذه الامة للتعامل معها بما يحقق لهم هدفهم فى اذلالها أو تغيير مجرى فكرها بحيث تصبح مستسلمة خاضعة لهم .

وقد اجمعت كتابات المستشرقين على انهم لم يتخلصوا بعد من تعصبهم وان علمهم لم يتحرر من الهوى ، وقد سجل « لويس برنادر » « وجب » هذا المعنى حيث اشار برنارد ان ظاهرة التعصب الديني ظاهرة فى مؤلفاتهم واشار « جب »الى ان ظاهرة الاحكام المسبقة على الاسلام لا تزال تحكم هذه الاعمال بالرغم من محاولات التحرر منها ، ولا شك ان زعم المستشرقين بان ابحاثهم قد اخذت شكل الموضوعية والتجرد من الاهواء والاخذ بأسباب البحث العلمي ، هذا الزعم لا يثبت ان امام الصور المشوهة والعبارات الحاقدة الدفينة التي تظهر هنا وهناك من وراء الوعي وبالرغم من محاولة اخفائها .

وآراء المستشرقين فى مجملها منحرفة عن الحق والانصاف وهي منصبة على القرءان والرسول والاسلام ، فالقرآن عندهم صورة من الكتب الاخرى وله لغة فى مكة تختلف عن لغة المدينة والاسلام صورة مستقلة من الديانتين اليهودية والمسيحية ــ والرسول كان رهبا رومانيا غضب على البابوية وخرج عليها . الى غير ذلك من الاوهام .

وما تزال كتابات ورسوم دانتي وفرجيل وفولتير وديدرو وهي من اوائل الكتابات المتعصبة ، ما تزال تؤثر فى كتابات من تبعهم من امثال لامنس ومرجليوت ولويس شنجو وسنوك وفنسنك . وقد انتقلت آراؤهم الى طه حسين وعلي عبد الرزاق ومحمود عزمي وسلامة موسى .

القاهرة : انور الجندي



الدين منبع العلم

للأستاذ عثمان بن خضراء

جاء في اخبار السيرة النبوية ان النضر وعقبة اقبلا على رؤوس قريش في حي من احياء مكة صائحين :

يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد .. فقد اخبرنا احبار اليهود ان نسأله عن شيء امرونا به .. فان اخبركم عنه فهو نبي .. وان لم يفعل ، فالرجل متقول ، فانظروا فيه رأيكم ..!

فلما جاء محمد عليه السلام تقدم اليه النضر سائلا : يا محمد ، اخبرنا عن الروح ما هي ؟ ففكر النبي لحظة ثم قال : «اخبركم بما سألتم عنه غدا » وتركهم وانصرف مطرقا وسار في سبيله مفكرا .

وجاء الغد .. وتعاقبت الايام .. والنبي ساجد عند غار حراء يتأمل ويفكر ، حتى ارجف اهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدا .. واليوم خمس عشرة ليلة قد اصبحنا منها ولم يخبرنا بشيء !

واشتد البلاء على النبي .. فصاح مستغيثا بربه : اي رب .. ! اليك اشكو بلائي ، اي رب .. ابعث لي وحيك ! لقد سألوني عن الروح ولا اعلم بما اجيب .. اي رب انسيتني ؟ اللهم اني لفي بلاء ..

وعند ذلك هبط عليه جبريل عليه السلام بالآية الكريمة : « وما نتنزل الا بامر ربك، له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيا » « ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله، واذكر ربك اذا نسيت ، وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا » . « ... ويسالونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا .. »

اننا نجد دائما في هذا الحادث سمة من سمات العظمة في النبي .. فهو قد فكر في المسألة تفكيرا صادقا خلال تلك الايام الطويلة .. وقلبها على وجوهها، ولم يهتد فيها بنفسه الى جواب .. فهو لم يكن بالذي يبيح لنفسه الكذب على الناس ، فيخترع لهم جوابا بارعا يسيرا ينطلي على عقولهم الساذجة .. وحاول في الغار حل المسألة ، فلما هاله اعجازها استنجد بربه .. فسمع منه ذلك القول الحكيم .

على ان موضع الدهشة عند العلماء والمفكرين هو ان محمدا في عصره وبيئته قد رأى ببصيرته المسألة في اعجازها بنفس العين التي يراها بها علماء العصر الحديث ..

ان الباحثين لم يندهشوا « لجوته » يوم قال عن الروح قولا مماثلا في قصته « فوست » ، « فجوته » قد مارس علوم النبات والتاريخ الطبيعي .. ودرس من قوانينها ما وضعه امام هذا الاعجاز وجها لوجه .

ان مسألة ما ، لا يمكن ان تبدو امرا معجزا للطاقة البشرية حقا الا امام رجل علم ، غاص بكل ما اعطى للانسان من ملكات مفكرة في اعماق الابحاث

النظرية والعملية معا .. وحتى رجل العلم المغلق فى ابحاثه ، المخدوع بالنتائج الاولى البراقة لاكتشافاته ، قلما يبصر بعد المرمى ، او يفطن الى استحالة المطلب حتى يخطو فى تاملاته العليا خطوات .. فلقد حبس نفر من العلماء انفسهم فى معاملهم منذ اكثر من خمسين سنة ، واضعين نصب اعينهم هذه المسالة : هل فى مقدور العلم يوما ان يخلق صناعيا مادة لها كل خصائص المادة الحية .. اي القدرة على النمو والتمثل ..؟

ولقد جراهم على هذا المطمع اعتقادهم : ان الحياة فى جوهرها ليست سوى تفاعل القوى الكيمائية الطبيعية .. فهي اذن قابلة ان تصنع فى المعامل صنعا ..!! ولو انهم ما اجترؤوا بعد على ان يتصوروا امكان الوصول دفعة واحدة الى صنع « خلية » فالخلية فى نظرهم جهاز قد بلغ فى تخصصه ودقته اسمى المراتب، وما هي الا نتيجة تطور استلزم الملايين من الاعوام ، ومع ذلك فقد انكب العلماء يبحثون فما استطاع احد منهم سوى « رفايل دبيوا » .. و « بتلربيرك » و « هيريرا المكسيكي » .. و « ستيفان ليدوك » ان ياتوا الا بكائنات منحطة .. فيها شبه حياة استنبطوها من الاملاح ونظائرها ..

وعلى الرغم من ذلك يقول لنا البيولوجي «جان روستان» هذا القول الممزوج بالتفاؤل : « اذا توصل العلم يوما ؟ الى خلق الحياة فان هذا سيتم حتما بوسائل اخرى ، وبالرجوع الى طريقة الكيمياء العضوية التى لا تقهر .. وان النجاح الذى بلغته حتى الآن فى هذا المجال ما عاد محل جدال ، فهي اليوم قادرة على ان تخلق «صناعيا» عددا كبيرا من هواء النشاط الحيوي مثل القلوات وحتى الهرمونات .. الخ .

اما علماء الطبيعة ــ الفيزيقا ــ فمنهم من يتجه وجهة اخرى ويضع المسالة على اساس آخر مثل « شرودنجر » الذى يبحث فى اصول الحياة ، وهل هي تقوم على اسس القوانين الفيزيقية ؟ دون ان يتفاءل او يتشاءم .

اما الباحثون الذين يتابعون العلماء فى ابحاثهم، ويلقون العنت الشديد فى مطالعة آثارهم، ويتحاملون متجلدين على تفهم كتبهم .. فانهم يتساءلون متشائمين :

« لنسلم جدلا ان هؤلاء العلماء قد نجحوا فى خلق خلية حية .. فما قيمة هذه الحياة الظاهرية اذا لم تكن منطوية على تلك الخصال الكاملة العاقلة التى تبين بعد نموها شخصية النوع حيوانا كان او انسانا ؟

تلك هي الروح .. انها ليست مجرد حياة بيولوجية عمياء صماء تنمو داخل معمل ! «الي .. انما المقصود بالروح ذلك الشيء الزائد الخفي على مجرد الحياة البيولوجية ، فهل فى مقدور العلم ان يخلق لنا يوما خلية نملة مثلا ، فيها روح النملة بما فطرت عليه من سليقة الادخار والكد والنظام ؟! لايظن احد ان العلم يستطيع ان يخلق ذلك ولا اقل من ذلك !

ويبدو للعلماء والباحثين ان العلم قد عرف اخيرا حدوده وفطن الى قصوره وءامن بوجود شيء خلق تحليلاته ومركباته شيء خفي لا يسميه الروح ولكنه فى حقيقة الامر ذلك الروح الذى اشار اليه الدين .

ولنصغ الى العلامة « ا. م جود » وهو يتحدث عن التحليل العلمي للانسان قال : « لو ان علماء الطبيعة والكيمياء ووظائف الاعضاء والتحليل النفسي والاقتصاد والاحصاء .. الخ . اجتمعوا ليقرروا الحقيقة من الانسان بعد الفحص ، والتحليل العميق كل فى دائرته المختصة به لما استطاعوا ان يخرجوا بحقيقة الانسان .. لان كل هذه التفاصيل المتفرقة عن الانسان لو جمعت لما كونت الانسان .. فالانسان ليس هو مجموعة الدقائق التى يتكون منها تركيبه المادي والحيوي والنفساني .. انه اكثر من هذه المجموعة .. انه شخصية .. هذه الشخصية شيء يفلت دائما من غربال العلم ووسائله .. هي شيء لا تحسه الا اذا كنت لهذا الانسان صديقا .. والصداقة والحب من الاشياء التى لا يمكن ان يحسها العلم ..

ويمضي « جود » بعدئذ يحدثنا عن نتائج التحليل العلمي لنكتة فكاهية بلهجة لا تخلو من السخرية فيقول :

« ان السير « ارثر دلجتون » حاول ان يبحث فى طبيعة «النكتة» وقد راى انها قابلة للتحليل شأنها فى ذلك شأن اي مركب كيمائي .. فشرح جوفها وفك اجزاءها وقرر ما ينبغي ان تكون عليه النموذج الكامل لنكتة فكاهية .. وكان المنطق يقضي بعدئذ انْنضحك للنكتة ولكنا لم نضحك لشيء فيهاتبخر بعد التحليل ، ولو حاولنا عندئذ ان نضم اجزاء نموذجية لنكتة مثالية حللها العلم وقررها لما ظفرنا مع ذلك بالضحك !»

والضحك الذى ينسبه « جود » الى النكتــة يسميه العلم « الروح » .

ولقد بدأ العلم يعترف فى صراحة بعجزه عن الوصول الى روح الوجود بل ان من العلماء من اعترف صراحة ان « الدين هو خير طريق يوصل الى هـذه الغاية »

قال العالم « شروونجر » :

« ان بصيرتنا الدينية لها من القوة والمتانــة والضمان ما لبصيرتنا العلمية »

ويقول « انشتين » :

« بصيرتنا الدينية هى المنبـع وهـي الموجـه لبصيرتنا العلمية » .

هذا الاعتراف هو ولا شك كسب للدين .. فما كان احد فيما مضى أي منذ قرن من الزمن يتصور العلماء يقولون عن الدين مثل هذا القول !

ذلك كان حقا مسلك الفلاسفــة والعلمــاء فــى الاسلام .. ولكن العلم لم يقف فى وجه الدين تلك الوقفة المسرفة فى التحدي والغرور الا فى القــرن التاسع عشر .. ولمتابعة سير العلم وصل العلماء الى حقيقة تقول بوجوب تثبيت اقدامهم فى الدين.

فما من شيء يرينا دائما قدرة الله الا عجزنا البشري !

الحقيقة انه لا ينكر احد فضل العلم فيما وصل اليه الانســان من ثقافــة واتســاع مـدارك وتفهـم لغوامض الحياة وكنهها وتنظيم لعيشه واموره .. وما اصابه من تقدم فى شتى مناحي الحياة من صناعة وتجارة واجتماع وما الى ذلـك ..ومـا كـان مـن اختراعات رهيبة عظيمة الفائدة فى خدمة الانسان..

ولكن مع هذا كله .. فان الواقع يثبت ويؤكد ان العلم مهما بلغ شأنه وعلا قدره فانه يستوي فى نظر كثير من العلماء مع الجهالة ولا يعتد به ما لم يقم على اساس ثابت من الدين الذى هو نبـراس حـى يضيء الطريق لانتاج اخطر الوسائل واقومها لبلـوغ الغايات وادراك المآرب ومواجهة الحياة .

سلا : عثمان بن خضراء





حينما كنت طالبا في كلية شبلي بمدينة اعظم كره (Shibli College Azamgarh) منذ تسع سنوات تقريبا وقعت يدي على بعض الكتب التي تتعلق بقواعد الاسلام فاقبلت على دراستها بكل رغبة واجتهاد ، وأول كتاب قرائه هو « الدين الحق » المترجم باللغة الهندية (1) لفضيلة الشيخ « ابي الاعلى المودودي » حفظه الله وبدأ هذا الكتاب بقول الله عز وجل « ان الدين عند الله الاسلام » وكنت جاهلا بمعاني القرآن الكريم ، ومع ذلك فقد اثرت ترجمة الآية الكريمة في نفسي تأثيرا شديدا ، لاني كنت اعتقد اعتقادا جازما انني ما ورثته عن آبائي هو الحق، والعداوة الاسلامية كانت راسخة في قلوبنا نتيجة الاتهامات الكاذبة الشائعة التي اتهم بها ملوك المسلمين من المؤرخين الهنديين ، الذين كنا ندرس كتبهم في المدارس الحكومية . ويزعم هؤلاء المؤرخون ان المسلمين قد حكموا البلاد بالظلم والعدوان . وهذا يتركز في اذهان الطلاب الهندكيين لاجل ذلك يجد الطالب نفسه مضطرا لمعاداة الاسلام والمسلمين ، وازدادت تلك العداوة حتى عادى الناس بعضهم بعضا . وكنت ممن يكن للمسلمين فجعلت ابحث في الكتب الاسلامية عن الاسلام ليلا ونهارا لعلي استطيع بذلك الطعن فيه ، ولكن الامر قد انعكس حينما اثرت هذه الكتب في نفسي تأثيرا جميلا ، الجأني الى ترك قراءة الكتب الدراسية التي كنت ادرسها في ذلك الوقت .

ومن المعلوم ان الدين الهندكي كان منذ آلاف السنين ، هو المصدر الوحيد للحضارة الهندية ، وأساس قوانينها ، لذلك كنت في اضطراب وقلق من وبدك دهرم . (2) وقد قضيت بضع سنين في هذه العصبية الجاهلية . والمؤرخون الهندكيون يكنون للمسلمين عداوة شديدة في صدورهم ، ويكشفون عنها الحجب في كتبهم التاريخية ، احيانا يطعنون في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الطاهرة بقولهم انه كان راغبا في حياة الدنيا ولذاتها ، وهذا الجهل المركب تركز في عقول الشباب الهندكيين .

ومهما يكن فان العداوة الاسلامية كانت من تراث آبائنا فاذا نظرت الى احوال المسلمين لم أجد فيها ما يرغبني ، فانهم متخلفون من الوجهة الاقتصادية ، ومن الوجهة الخلقية ، لذلك كان معظم الناس يقولون ان الانسان اليوم في اشد الحاجة الى الهدى والرشاد فمن يهديه اليهما بعد ان ضل ضلالا بعيدا .
وبالجملة فان جميع الاسباب لمعاداة الاسلام والمسلمين كانت متوفرة لدى الطالب الهندكي لانه بسبب معلوماته القليلة الضيقة لا يستطيع أن يبحث مباحث

---

1) وهي أقرب اللغات الى اللغة السنكرتية التي اصبحت لغة رسمية للحكومة الهندية .
2) هذا يشمل أربعة كتب : 1 ـ رك ويد ، 2 شام ويد ، 3 ياجور ويد ، 4 ـ اثار ويد .

توصله الى دين الحق، ويكشف عنه ظلمات اللبس وسحب الجهل اذ ليس من المعقول ان تعتبر هذه المعلومات الضئيلة كافية لحل مشاكل الحياة الانسانية، فوجدت نفسي مضطرا للرجوع الى « ويدك دهرم »، ليطمئن قلبي واسير على الطريق القويم ، لكن ما وجدت فيه اساطير الاولين ، من عباده النار ، والبحر والاشجار ، والاحجار ، وغيرها ، من الجمادات والبهائم التي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ، فكيف بغيرها ؟

واحيانا يعلل خلق الكون بصورة شنيعة قبيحة فيها رائحة منتنة ينفر منها الانسان اللبيب وهاءنذا اسوق اليك ايها القارىء الكريم بعضها :

يقول تاراجند (Tara Chaud) الفيلسوف الهندكي في (Influence of Islam on Indian Culture)

فكرة ويد : ان الاضحية (اي ذبح الحيوان) آية لصلاح العالم وهي وسيلة القوة للخالق لانه اذا تعب من الخلق وذهبت قوته ، فالملائكة يستردون هذه القوة بالاضحية ، فينزل بها المطر وتطلع بها الشمس ويأتي بها الطوفان لان هذه هي السبب الوحيد الذي تتم به ارادة الخالق . (ص 30)

وشنو : هو الاله الثالث في اعتقادهم، وهوخالق السماوات والارض وما بينهما وهو على كل شيء حفيظ ، له اعين في جميع الجهات ، وله وجه في جميع الجهات ، له ايد وأرجل كثيرة ، وهو وحده لا شريك له . (راك ويد . 1 — 81 — 2 —4) وهو ذات واحدة يسمى « برم برش » (افضل الناس) له آلاف الرؤس وآلاف الاعين ، وآلاف الارجل ، وهو محيط بجميع العالم ، ومنفصل عنه ، وكل ما كان ويكون فهو صادر منه ، وهو مالك الحياة الابدية ، ولا يعاقب على اي عمل يعمله لان اعماله كلها خير .

فكرة ويدانت : يقول المفكر الهندوسي الكبير ويكانند (Viveekanand) في كتابه : « خرج هذا العالم من العدم الى الوجود ، بارادة الخالق المادة ، والروح ، والخالق لكل منهما أزلي قديم لا يجري عليه زمان ، ولا يأتي عليه فناء ، تدوم الحياة كما يدوم الخالق ، وكذلك تدوم الفطرة ولكنها تتغير بتغير الزمن . اما الخالق فهو موجود في كل زمان ومكان ، عالم بكل شيء ، له صورة حسية ، ولن يستطيع احد ان يصل الى رفقته ، اذا ادعى احد لنفسه انه الله فقد كفر . (ص 63 — 61) (Hinduism)

فكرة منو السمرتي : ان هذا الكتاب هو المأخذ الاساسي لقانون الهنادك ، دونك « الباب الاول » الذي يبحث فيه في الخلق : ان هذه الدنيا كانت غامضة لا توجد لها علاقة ولا وسيلة يتوسل اليها ، ثم ظهر « برميشور » (اله الآلهة) بمادة التكوين وأراد ان يخلق خلقا من ذاته ، فخلق الماء ، والقى فيه النطفة، وصارت هذه النطفة بيضة وخرج منها « برهما » (الخالق) وكسر البيضة نصفين ، فخلق من احدهما الجنة ، ومن الثاني الارض والسماء وما بينهما ، ومن عضده « جهتري » ومن فخذه « ويش » ومن رجله « شدر » فما دام « برهما » مستيقظا فالدنيا باقية ، واذا اخذه النوم تقوم القيامة . (من الباب الاول الى الخامس ثم العاشر)

فكرة بران : يعد « بران » عند الهندكيين من الكتب المقدسة أسفاره أكثر من ان تحصى ولكن كلها تنسب الى « ويد وياس » فاختلف أصحاب « بران » في خلق العالم وجاؤوا بالقصص الماجنة البذيئة ، ودونك بعضها :

يقول اصحاب « بران » « ديوري بهكوت » الخالق لهذا العالم هو امراة من شري بور اسمها « شري » وهي التي خلقت الآلهة الثلاثة المعروفين لديهم « برهما » (خالق الحياة) و « شنو » (الرازق) و « مهيش » (خالق الارواح) لما ارادت هذه المراة ان تخلق العالم وضعت احدى يديها على الاخرى فاذا ببرهما خرج منها ، وامرته ان يتزوجها فأبى لانه اعتقد انه ولدها ، فغضبت المراة غضبا شديدا ، فاحرقته ، ثم اعادت عملها ، فخرج منها « وشنو » فأمرته ان يتزوجها ايضا . ثم اعادت العمل فخرج « مهيش » فامرته ان يتزوجها ، فامتنع الا بشرط وهو ان تغير صورتها ، وتأتي بصورة غيرها ، ففعلت ما طلب منها، ثم طلب « مهيش » ان تحي أخويه الذين احرقتهما ، فأحيتهما . ثم طلب ان تخلق امرأتين ليتزوج كل واحد منهم بواحدة ففعلت ، وتزوج كل واحد منهم بواحدة . فهؤلاء الآلهة الثلاثة هم الذين خلقوا العالم ويدبرونه . (شيارتهير كاش الباب 11)

وفي هذه الكتب المقدسة عندهم افعال ينسبونها الى الخالق لا يرضى احد من الناس ان تنسب اليه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فكان مثلي بعد دراسة « ويدك دهرم » كمثل رجل فر من المطر خوفا من البلل ووقف تحت الميزاب او كما قال الشاعر العربي :

المستجير بعمرو عند كربته
كالمستجير من الرمضاء بالنار

وبعد ذلك انشرح صدري للخروج من دين آبائي وطرح العقيدة الجاهلية، والدخول في الاسلام وسجدت له القائل : « ان الدين عند الله الاسلام » .

الامور التي حملتني على الدخول في الاسلام :

1) ان الدين ليس دينا موروثا عن الاباء بل هو دين لكل من يفتح له صدره .

2) ليس في الاسلام فوارق جنسية ولا عصبيات جاهلية ، فقد قال تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم » (سورة الحجرات)

3) ان الاخوة الاسلامية مقدمة على جميع علاقات النسب والوطن ، كما بين الله تعالى في قوله « قل ان كان آباؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين » (سورة التوبة) .

4) ان المسلم الحديث العهد بالاسلام يصبح كواحد من عشيرة المسلم المولود في الاسلام ، قال تعالى « انما المؤمنون اخوة » وان العالم الاسلامي يعتبر له وطنا حقيقيا ، مصداقا لقوله تعالى « يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون » .

5) الاسلام قانون لجميع شؤون الحياةالانسانية. وهو يقدم أحسن حل في المشاكل الفردية والاجتماعية. وقد أخطأ الذين يحصرون الاسلام في المساجد والزوايا والاربطة .

هذه الامور المهمة الثابتة التي ادركت حقيقتها قبل تسع سنوات في أيام الجاهلية ؛ وعندئذ كنت على دين آبائي فاهتديت بحمد الله بتركه ، فاتجهت الى الاسلام كل التوجه وهو حق لا يرتاب فيه عاقل ، « فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام » .

ولما دخلت في الاسلام اصبت بمصائب شتى « سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون » وفقا لقوله تعالى « احسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين»

المرحلة الاولى : أن والدي حرمني من التعليم العالي واخرجني من مدينة « اعظم كره » وبعثني الى « كلكتا » (Calcutta) حيث صرت غريبا لا اجد فيها احدا من المسلمين اعرفه ، ويعرفني لكن الله يسر لي في غربتي من ارشدني واعانني ما كنت في حاجة اليه من الكتب ، ولولا ذلك لكان اسلامي في خطر عظيم .

والحقيقة ان هذه المرحلة كانت علي أشد مما يتصور . وبعد الوصول الى « كلكتا » مباشرة بحثت عن مركز الجماعة الاسلامية، فوجدته وحصلت على بعض الكتب الهندية المترجمة . وبدات أطالعها . فاحمد الله واشكره الذي يسر لي الامور الى هذا الحد وايضا اشكر المخلصين الذين ساعدوني كل المساعده في لحظات خطيرة « ان الله لا يضيع أجر المحسنين » .

المرحلة الثانية : هذه المرحلة كانت مرحلة البحث والمناظرة مع النساك الهندكيين ، مع صغر سني ، وقلة عملي ، وبعدي عن المسلمين ، وكلما أفكر في البحث والمناظرة التي جرت بيني وبين النساك الهندكيين ، تعجبت ! كيف انتصرت عليهم . وقد كانت القوى الكافرة متألبة على اسلامي على اختلاف مسالكها ومذاهبها .

لا أذكر من اسئلتهم الا سؤالا واحدا وهو قولهم « لماذا تختار دين الاسلام مع ان المسلمين اليوم في شدة وضيق وتفرق وفقر وبعد عن الاخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة » ؟ فاجبتهم قائلا « ما اخترت الاسلام الا بعد مطالعة قواعد الاسلام لا بدراسة احوال المسلمين اليوم ، وان كنتم في ريب منه فاعرضوا علي ما اشكل عليكم من امور الاسلام وعقيدته . ولكن جهودهم ذهبت ادراج الرياح ، فبهتوا ، وسكتوا . وانقلبوا خائبين ، يلومون انفسهم كما هي عادة المعاندين عند المجادلة . فصدق عليهم قول الله عز وجل «فبهت الذى كفر والله لا يهدي القوم الظالمين» فما كنت أرجع الى بيتي الا وقلبي مطمئن بالايمان ، واستمر هذا البحث والنقد خمسة عشر يوما متواليا.

المرحلة الثالثة : ثم جاءت مرحلة الاذى والتعذيب التي كنت انتظرها بفارغ الصبر ، فمن اذاهم انهم حبسوا الماء والطعام عني ، وانقضوا علي بالضرب بالعصا والنعال ، فاستمروا بجهودهم شهرين متتابعين وبعد ما قنطوا من رجوعي الى دينهم تآمروا على قتلي، ولولا ان الله سبحانه انجاني منهم بلطفه الخفي ، لقتلوني شر قتلة . فيسر الله لي طريقة الهجرة وهاجرت الى مكان هادىء ، تاركا والدي والرفقاء ، والاصدقاء وكثيرا من العشيرة الاقربين ، لاحافظ على ديني ، وايماني ، كل المحافظة ، كما هاجر أبونا ابراهيم عليه السلام قائلا : « اني مهاجر الى ربي سيهدين انه هو الحكيم العليم » .

المرحلة الرابعة : فلما خرجت من وطني مهاجرا الى ربي ووصلت على 400 كيلو متر غربا الى بلدة « بدايون » (Badanec) أردت ان أقرا القرآن الكريم واتعلم لغة اردو ، فعينت مدرسا للغة الهندية ، والانجليزية ، والتاريخ ، والرياضيات ، فى مدرسة اسلامية صغيرة ، وفى اوقات الفراغ كنت أتعلم القرآن الكريم ، ولكن الهندكيين علموا بذلك بعد سنين ، ولم يرضوا بهذه الحياة فجاءت المؤامرات الاخرى ، فوجدت نفسي مضطرا الى الخروج من هذه الناحية الى ناحية اخرى بعيدة عنها وهى « مدراس» (Madras) فى جنوب الهند تبعد عنها « بدايون » بالفي ميل .

ولما وصلت الى « مدراس » التحقت بمدرسة دينية معروفة ، تسمى « بجامعة دار السلام » وهي محاطة بالجبال ، والاشجار ذات بهجة ومنظر ممتع تسر الناظرين ، ثم اصبحت طالبا رسميا فى تلك المدرسة ، وهذه المدرسة تهتم بالتعليم ، والتربية ، متمسكة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فبذلك حفظني الله من التعصب للمذاهب ، واتباع الاهواء والفرق المبتدعة ، والطوائف الخرافية .

فطفقت أتعلم اللغة العربية : وآدابها ، وعلومها ، والعلوم الدينية من تفسير ، وحديث ، وفقه ، وتعلمت شيئا من المنطق ، والفلسفة ، واستمرت دراستي ست سنين ، ثم بعد التخرج فى المدرسة قدمت طلبي للالتحاق «بالجامعةالاسلامية» الى صاحبالفضيلة الشيخ « عبد العزيز بن عبد الله بن باز » حفظه الله نائب رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة كي انهل العلوم الشرعية من مناهلها الصافية ، فقبل الشيخ طلبي بكل اخلاص ومودة ، فسافرت من بلاد الهند الى « مدينة الرسول » صلى الله عليه وسلم سائلا الله تعالى ان يجعلني من المحافظين المخلصين له وللدين، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

واخيرا ارجو الله ان يثبتني بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ، وفى الاخرة ، ويختم لي بالايمان . وصلى الله على نبيه محمد المصطفى وسلم تسليما كثيرا

المدينة المنورة : محمد ضياء الرحمن الاعظمي



المدنية الحق، ودرجة الأمانة فى الإسلام

للأستاذ : محمد عبد الكبير البكري

ان كلمة المدنية ترددها الالسنة كثيرا فى هذا العصر الذى يصفه بعضهم بعصر المدنية فما هي المدنية فى نظر الاسلام ؟

كلمة المدنية يراد بها الترقي فى الادب والاخلاق الانسانية ترقيا تسعد به البشرية وينتشر به الخير والتعاون بين الافراد والجماعات والامم .

واذا امعن الانسان النظر بانصاف وحسن تفكير بعد دراسة المجتمعات وجد انه لا مدنية الا المدنية الاسلامية ذلك ان دين الاسلام هو دين يريد من الانسان ان يكون عضوا صالحا فى المجتمع الانساني ومدنيا راقيا يعمل لصالح الانسانية .

يطلب الدين من الانسان ان يدخل فيه من بابه الذى هو الاعتراف بالوحدانية المستلزم لمراقبة الله فى السر والعلانية، وان يسير فى طريقه الذى رسمه لمن اعتنقه، وان يرتقي فيه من درجة الى درجة ، الى ان يصير امينا . وهذه اعلى مرتبة يستطيع الانسان الوصول اليها .

يريد الاسلام من المسلم ان يكون قويا حسا ومعنى وان يكون طاهرا ظاهرا وباطنا ولذلك نجده يسعى دائما فى تزكية النفس وتطهيرها ويدعو الى الاستعداد للدفع والنفع .

فالمومن القوي يحبه الله محبة زائدة قال عليه الصلاة والسلام : (المومن القوي احب الى الله من المومن الضعيف وفى كل خير) . ومن القوة ان يقوم المومن او يحاول ان يقوم بكل ما يوجهه اليه ويامره به الشرع الحنيف سواء كان لينا او شديدا . ولا يرتقي الى درجة الامانة الا أولو العزم من المومنين .

ومن الضعف ان ياتي الانسان باللين ويترك الشديد من الدين . روي عن سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال : (جاء رجل من العالية الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اخبرني بأشد شيء فى هذا الدين والينه . فقال عليه السلام : الين شيء فى هذا الدين شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، واشده يا اخا العالية الامانة، الا لا ايمان من لا امانة له ولا صلاة له ولا زكاة له) .

والطريق الذي رسمه الاسلام هو طريق المدنية الحق ، ولا يعتبر المسلم مسلما ولا المومن مومنا الا اذا التزم السير فيها ممتثلا الاوامر مجتنبا النواهي معتقدا انه نهج السعادتين .

فالمومن الحق هو الذى يعرج فى سلم الحضارة الاسلامية يسعد هو فى نفسه ويسعد به المجتمع وقمة المدنية والحضارة هي ان يصير الانسان امينا .

فالامين يتحكم فى النفس الامارة ويخضعها للقوانين السماوية فيتنزه ويستكبر عن المخالفات والمعاصي بجميع انواعها واذا ما هفا هفوة لا يلبث ان يرجع ويسترجع فيزداد برجوعه واسترجاعه

ارتفاعا ورقيا وايمانا لانه يدرس خطاه ويعرف الطريق الذى انخدع به لهواه فأطاعه فلا ينخدع مرة ثانية لان « المومن لا يلدغ من جحر مرتين » كما قال عليه الصلاة والسلام .

درجة الامانة يلتزم صاحبها بامتثال الاوامر واجتناب النواهي وهذا ما عرف به العلماء «التقوى» واذا كان من المتقين صار من المحبوبين عند الله تعالى لقوله (ان الله يحب المتقين) لانهم ينفعون ولا يضرون وهؤلاء هم المتمدنون ويفهم من قوله صلى الله عليه وسلم : (الا لا ايمان لمن لا امانة له) ان الامين يوصف بالايمان الحق المنفى عمن لا امانة له .

والامناء على انفسهم وعلى دينهم يراقبون ربهم فى الحركات والسكنات وفى الفعل والترك «واذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المومنون حقا، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

قال الامام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : وقوله : « اولئك هم المومنون حقا » اي المتصفون بهذه الصفات هم المومنون حق الايمان . وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا ابو كريب حدثنا بن الحباب حدثنا ابو لهيعة عن خالد بن يزيد السكسكي عن سعيد بن ابي هلال عن محمد بن ابي الجهم عن الحارث بن مالك الانصاري انه مر برسول الله (ص) فقال له : « كيف اصبحت يا حارث ؟» قال : اصبحت مومنا حقا. قال : « انظر ما تقول. ان لكل شيء حقيقة فما حقيقة ايمانك ؟ » فقال : عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمأت نهاري وكأني انظر الى عرش ربي بارزا، وكأني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني انظر الى اهل النار يتضاعفون فيها . فقال : « يا حارث عرفت الزم » ثلاثا . ا هـ

واذا قلت سابقا بأن الامانة هي اعلى درجات الايمان فلا ادل على ذلك من ان المسلم المومن الامين يتجرد من كل حظ نفساني ليعامل اخاه معاملة يمليها عليه الدين الحنيف ولنضرب لذلك مثلا : المومن مأمور بالعدل قال تعالى : « ان الله يامر بالعدل » وعند الخصام والشنآن مع القدرة على الانتقام فان النفس توحي الى الانسان بالخروج عما رسمه الحق والشرع فيقف القرآن منبها للمسلم مذكرا له بالامانة قائلا : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى » .

فالامانة يعم الامن لان بها يصير الانسان آمنا ومامونا ومن ثمرات المدنية والرقي والحضارة ان يسود الامن والاطمئنان وعن الامن والاطمئنان يبحث الانسان فلا غش مع الامانة ، فتصفو المعاملة ، ويطمئن المتعاملون . ولا خيانة مع الامانة ، فيطمئن الناس على اموالهم . والمومن الامين لا يقع فى اعراض الناس فيطمئنون من جانبه على اعراضهم وهكذا .

فالامين متمدن ومتحضر لانه تغلب ببلوغه هذه الدرجة على النفس والشيطان والهوى وهذه الثلاث هي التى تجعل الانسان عبدا الدينار فيصير عدو اللانسانية لانه يستعمل جميع الاساليب ويسلك جميع الطرق للوصول الى معبوده وكلما قرب منه شخص فكر فيما يمكن له اخذه منه ، وهنا يرتفع الامن لارتفاع الامانة ، وبمجرد ما يشعر ذلك الشخص المسكين بانه مهدد من طرف هذا الانتهازي الذى لا ضمير له ولا امانة كلما شعر بذلك يصيح (واغوثاه !) ويدرك ان لا مدنية ولا حضارة مع وجود هذا النوع من البشر .

ان هدف الدين الاسلامي هو ان يصل بالانسان الى درجة يتشبه فيها بالملائكة ويبتعد كل الابتعاد عن الحيوانية « فأبو حيان » لما يتكلم عن الانسان يقول عنه : الاحسان منه زلة ، والجميل منه فلتة ، والعدل منه غريب ، والعفة فيه عرض ضعيف) . ويصح لنا ان نقول : ان ما قاله ابو حيان هو صواب من جهة لان هذا هو الاصل ولا يخرج عنه الا من هذب نفسه وجعل منها نفسا قوية قادرة على اقتحام العقبات الخيرية وارتقى بها الى المنزلة العليا التى يريدها لها الاسلام قال تعالى : « والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

وقال تعالى « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين «الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» فلهم اجر غير ممنون ».

الايمان الصحيح يجعل من الانسان انسانا متمدنا لا يفكر الا فى الخير ولا يعمل الا الخير ولا يسعى الا فى الخير فيصير بذلك مفتاحا من مفاتيح الخير قال النبي عليه الصلاة والسلام ان من الناس

مفاتيح للخير مغاليق للشر وان من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبي لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر وويل لمن جعله الله مغلاقا للخير مفتاحا للشر .

* * *

فالمدنية الصحيحة والحضارة الحقيقية هي التي يلمس خيرها ويسعد به الفرد والجماعة ويكون باطنها كظاهرها وهذا لا يوجد الا في الحضارة الروحية السماوية الربانية فدين يوصي المستمسك به بالوفاء بالعهد مع خصمه وبالحكم بالعدل على عدوه هو الدين الذي يحق له ان يسمى بدين الانسانية هو الدين الذي يجدر به ان يوصف بدين المدنية ، كيف لا وهو دين الرحمة ونبيه نبي الرحمة .

ان الحضارة المموهة والتي هي في حقيقتها حضارة مادية ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب لا تعتبر حضارة في الارض ولا في السماء وانما هي وحشية وقساوة البست ثياب الزينة حتى يغتر بها الناس وبا ما اكثر المغترين الذين يتخدعون بهذه الحضارة المزيفة التي تفسد عقولهم وتاكل اجسامهم وتنزل بهم الى اسفل سافلين فيبعدون عن العمل الصالح ويزين لهم الشيطان اعمالهم فيصدهم عن السبيل سبيل الاستقامة الذي فيه السعادة الابدية .

ان الامانة كانت فراشا واساسا للدين .

فقد تمكنت هذه الصفة من النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حتى عرف عند قومه بالامين فكان ذلك تمهيدا للرسالة المحمدية وسببا في تصديق الرسول في كل ما جاء به .

يؤكد هذا أن ابا سفيان بن حرب لما سافر الى الشام ساله ملكها هرقل عن اوصاف هذا الرجل الذي يدعي النبوة ليتحقق من امانته وكان الصدق من جملة ما سال عنه فقال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال ؟ .. فأجابه ابو سفيان : ان لا . فقال الملك : ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله .

فالامين لا يكون الا صدوقا ، والامة الراقية المتمدنة في نظر الاسلام هي الامة التي صار اهلها او غالب اهلها امناء ذوي ضمائر تراقبهم وترعاهم فارتاحوا واستراحوا وعم الامن والاستقرار اوطانهم .

وهذا النبي الامين يذكر في بعض الاحاديث ان المومن لا يسمى مومنا ولا يكون مومنا في الملأ الاعلى الا اذا كان امينا فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح انه قال : (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من يارسول الله؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه) .

فأمن الجار من بوائق جاره دليل على ان الايمان قد تمكن منه تمكنا تاما وانه صار ذا ضمير ديني يأتمر بأوامر الله ، وينتهي بنواهيه ، وكانت النتيجة انه اطمان وطمان جاره . وهذه هي النتيجة التي يهدف اليها الاسلام من دعايته .

وهذا الحديث كالذي قبله (الا لا ايمان لمن لا أمانة له) يجعلان الامانة شرطا في صحة الايمان ويؤكد النبي الصادق المصدق نفي الايمان عن غير الامين بالقسم (والله لا يؤمن) فكأن الرسول عليه السلام يقول لا يصح ان يوصف بكلمة (مومن) على الحقيقة الا من كان امينا . او كانه يقول من لم يصل الى هذه الدرجة لا يكون كامل الايمان والمعنى انه لا يستوي من وصل الى درجة الامانة فيطمئن قلب جاره لامنه بوائقه ، ومن لم يصل الى هذه الدرجة .

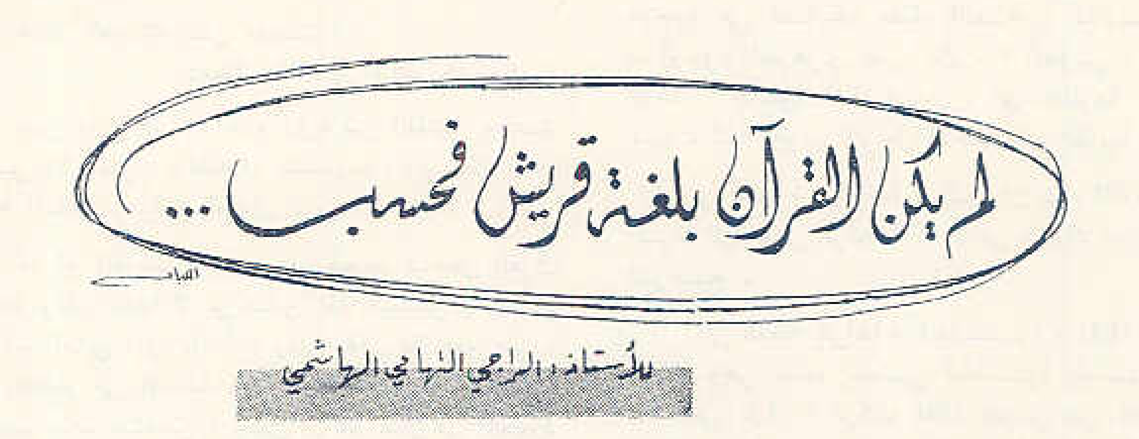
وهذا كقوله تعالى في حق الذين انفقوا اموالهم قبل الفتح والذين انفقوا بعده :

(لايستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل، اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى) .

والنبي عليه السلام يحرض المومنين بهذا الحديث وبأمثاله على الاجتهاد في تزكية النفس والترقي بها الى الدرجات العلى لتسعد وتسعد بها البشرية ويعتز بها الاسلام لانه لا اسلام مع الخوف .

فثمرة الايمان الصحيح الامانة وثمرة الامانة الامن ، وثمرة الامن الاطمئنان والاستقرار ، وتلك هي السعادة التي تنشدها الامم ، تلك هي المدينة الحق.

الرباط ـ محمد عبد الكبير البكري



« 18 »

وصلنا فى بحثنا هذا ، الذى طال سنوات عديدة الى قبائل سميتها منذ زمان قبائل مغمورة ، لانها لم تحظ بالشرف الذى حظيت به القبائل الاخرى ، فلم تشارك فى القرآن الكريم الا بالفاظ قلائل جدا لا يفوق عددها فى كثير من الاحيان الثلاثة .

واول قبيلة من هذه القبائل المغمورة هي :

اولا : جذام وهي قبيلة من اليمن يجعل الجغرافيون موقعها جبال حسمى ، واعتقد انهم انتقلوا من مكان ما فى وقت مبكر جدا الى اليمن ، اذا نحن صدقنا الشاعر الكميت الذى يقول فى حقهم :

نعاء جذاما غير موت ولا قتل
ولكن فراقا للدعائم والاصل

ولكن ما هو هذا الاصل ؟ واين يوجد ؟ اقر انني عاجز عن الاجابة .

واحب ان انبه الى ان قبيلة جذام التى نحن بصدد الحديث عنها هي غير قبيلة جذيمة التى يقول النسابون انها من عبد القيس .

وجدت ان قبيلة جذام شاركت فى القرآن الكريم بلفظتين فقط :

اولها الفعل « علا » فى قوله تعالى : « وقضينا الى بني اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا » (1) . ومعناها بلغة قبيلة جذام (2) لتقهرون ، غير ان الامام جلال الدين السيوطي الشافعي يجعل هذه المفردة من قبيلة لخم (3) ويفسرها بما فسرها الامام ابو القاسم ، ولم اعبا بما ذهب اليه ، علما مني انه اخذ من ابي القاسم جل ما اورده فى النوع السابع والثلاثين الذى خصصه لما وقع فى القرآن بغير لغة الحجاز (4) .

ومما يعزز ما ذهبت اليه من ان هذه المفردة من غير لغة قريش ، متبعا فى ذلك العالمين المحققين

(1) الآية 4 من سورة الاسراء .
(2) لهذا ذهب الامام ابو القاسم بن سلام فى رسالته التى ضمنها ما ورد فى القرآن الكريم من لغات قبائل العرب والمطبوع فى ذيل تفسير القرآن العظيم للامامين جلال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي .
(3) الاتقان فى علوم القرآن الجزء الاول صفحة 136 .
(4) المصدر السابق صفحة 134 .

المذكورين اعلاه ، ما اورده العلامة اسماعيل بن حماد الجوهري في تعليقه على بيت رؤبة :

لما علا كعبك بي عليت
دفعك داداني وقد جريت

حين قال (5) : « جمع رؤبة بين اللغتين ونقصد باللغتين علا وعلي ، ولكنه لم ينسبهما ، ولو فعل لكفانا مشقة البحث ومرارة الجدال .

اما ابو القاسم الحسين بن محمد فيجعل الفرق بين علا وعلي ناتجا لا عن تباين لغة قبيلتين وانما عن اختلاف المعاني قال (6) : « وعلي يعلى علا فهو علي ، فعلا بالمفتح في الامكنة والاجسام اكثر . قال : « عاليهم ثياب سندس » وقيل ان علا يقال في المحمود والمذموم ، وعلي لا يقال الا في المحمود » .

ولا شك ان قراءة ابن مسعود المتوفى سنة 33 (7) والتي توافق كما هو معلوم قراءة ابي ابن كعب (8) المتوفى سنة 29 هي مستنبطة من هذه اللهجة ، لانهما يقرآن عليا بكسر العين واللام معا مع ياء مشددة .

ثانيا : كلمة «جاس» في قوله تعالى : «فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا » . نسب العلامة ابو القاسم بن سلام (9) هذه المفردة الى قبيلة جذام . وتبعه في ذلك العلامة جلال الدين السيوطي الشافعي (10) اما معناها حسب العالمين الجليلين فهو « تخللوا » . وهو موافق تماما لما هو موجود في تصانيف علماء اللغة . فكلهم قالوا ما اوجزه الجوهري حين قال : « الجوس » : مصدر قولك : جاسوا خلال الديار ، أي تخللوها فطلبوا ما فيها ، كما يجوس الرجل الاخبار اي يطلبها (11) ».

ولا شك ان الفائدة ستتم، ان شاء الله، ان نحن اشرنا الى بعض قراءاتها ، اذ في ذلك مزيد من التوضيح .

كان طلحة يقراها « فحاسوا » (12) بالحاء المهملة وهي تماما بمعنى فجاسوا بجيم . قال الاصمعي (13) « تركت فلانا يحوس بني فلان ، اي يتخللهم ويطلب فيهم . وانه لحواس عواس ، اي طلاب بالليل » .

(14) ونقول في الذئب انه يتحوس الغنم اي يتخللها ويفرقها . وفي الحديث ان عمر رضي الله عنه قال لرجل : « بل تحوسك فتنة » . قال العدبس الاعرابي الكناني : أي تخالط قلبك وتحثك على ركوبها (15) .

ومنهم من قراها « فجوسوا (16) » .

وارى ان اغرب قراءة قرئت بها هذه المفردة هي قراءة ابن مسعود الذى يقرا « فجاسوا خلال الديار » بـ « فقلعوا آثار الديار ».

---

(5) الصحاح الجزء السادس صفحة 2435
(6) المفردات في غريب القرءان صفحة 345 .
(7) Materials for the history of the text of the Quran من تاليف العلامة Arthur Jeffery صفحة 54 .
(8) نفس المصدر صفحة 141 .
(9) رسالة بذيل تفسير الجلالين صفحة 243
(10) الاتقان في علوم القرءان صفحة 136 من الجزء الاول .
(11) الصحاح الجزء الثاني صفحة 912 .
(12) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل . صفحة 506 من الجزء الثاني
(13) الصحاح الجزء الثاني صفحة 917 .
(14) المصدر السابق نفس الصفحة .
(15) يشير ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري في كتابه املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرءان صفحة 88 من الجزء الثاني الى هذه المفردة فيقول : «فجاسوا» بالجيم ، ويقرا بالحاء والمعنى واحد.
(16) الكشاف الجزء الثاني صفحة 507 .

2 ـ قبيلة بني حنيفة :

يقول بعض المهتمين بالانساب انه حي وهم قوم مسيلمة الكذاب (18) وقيل هم حي من ربيعة (19).

لقد شاركت هذه القبيلة فى القرآن الكريم بلفظتين وزعتا فيه على الشكل الآتي :

اولاهما : « العقود » فى قوله تعالى : يا ايها الذين ءامنوا اوفوا بالعقود ، احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم، ان الله يحكم ما يريد (20) ومعناها بلغة بني حنيفة العهود (21) .

ومفرد العقود عقد فهو اذن « مصدر استعمل اسما فجمع (22) » . ويكاد يقع الاجماع بين المفسرين فى ان العقود معناها هي العهود . وممن نقل عنه هذا المعنى ابن عباس ومجاهد (23) ، ولكن علي بن ابي طلحة يحكي عن ابن عباس ان العقود فى هذه الاية ما احل الله وما حرم وما فرض وما حد فى القرءان كله . ويرى الضحاك ان العقود ما احل الله وما حرم وما اخذ الله من الميثاق على من اقر بالايمان بالنبي والكتاب ان يوفوا بما اخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام ، اما زيد بن اسلم فيرى العقود ستة :

1) عهد الله
2) عقد الحلف
3) عقد الشركة
4) عقد البيع
5) عقد النكاح
6) عقد اليمين

بينما لا يرى محمد بن كعب فيها الا خمسة منها حلف الجاهلية وشركة المفاوضة (24) . ويرى الامام محمود بن عمر الزمخشري انها عقود الله فيقول (25): « والظاهر انها عقود الله عليهم فى دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه » . والى هذا المعنى ذهب الزجاج ايضا حين قال (26) : « خاطب الله المؤمنين بالوفاء التي عقدها الله تعالى عليهم » .

وبمعنى لغة بني حنيفة استعملها الحطيئة حين قال :

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم
شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
قوم هم الانف والاذناب غيرهم
ومن يساوي بانف الناقة الذنبا

والذى يمضي نص المعاهدة يسمى عندهم عقيد ، قال ابو خداش الهذلي :

كم من عقيد وجار حل عندهم
ومن مجار بعهد الله قد قتلوا

ولقد وردت فى القرءان الكريم بالمعنى الذى ذكرنا فى اماكن مختلفة بصيغ متباينة كما فى قوله تعالى : « ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون ، والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ،

---

17) Arthur Jeffery صفحة 54 .
(18) هو طلحة بن خويلد بن نوفل بن نفلة الاسدي الفقعسي كان يعد بألف فارس ثم تنبأ ثم اسلم وحسن اسلامه بلوغ الادب الجزء الثالث صفحة 274) .
(19) لسان العرب الجزء التاسع صفحة 404 الطبعة الاولى ببولاق فى سنة 1301 .
(20) سورة المائدة الآية الاولى .
(21) نسبها الى لغة بني حنيفة الامام ابو القاسم بن سلام ، ذيل الجلالين ، صفحة 99 من الجزء الاول وتبعه فى ذلك الامام جلال الدين السيوطي فى الاتقان صفحة 136 من الجزء الاول .
(22) المفردات فى غريب القرءان صفحة 341 .
(23) تفسير القرءان العظيم لابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي صفحة 3 من الجزء الثاني .
(24) اعتمدت فيما سبق على ما اورده ابن كثير فى صفحة والجزء المذكورين اعلاه .
(25) الكشاف الجزء الاول صفحة 466 من طبعة القاهرة 1953 . واحب ان اثير الانتباه هنا الى ان نسخة الكشاف التى كنت اعتمدها فيما سبق هي نسخة الطبعة الاولى والتي كنت استعرتها من خزانة رابطة علماء سوس ، فلما عدت الى الشمال تمكنت من استعمال كتبي التى كنت تركتها فى البهاليل لاستحالة نقلها الى سوس. وبما ان التبويب مختلف بين الطبعتين المستعملتين فى هذا البحث فرجائي ان يعتبر ما ذكرالقاريء الكريم حتى لا يختلط الامر .
(26) ابن منظور الجزء الرابع صفحة 289 .

ان الله كان على كل شيء شهيدا (27) » . وفي قوله تعالى : « لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ، ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان .. الى آخر الآية وهي لعلكم تشكرون (28) » . وفي آيات اخرى غير ذلك (29) .

ثانيهما : لفظة : « تحبرون (30) » . في قوله تعالى : (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون (31) » . وفي قوله تعالى : « فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون (32) » . ومعناها بلغة بني حنيفة ، في نظر العلامة ابي القاسم بن سلام « تنعمون » . ولم يتبعه في ذلك الامام السيوطي في اتقانه ، خلافا لعادته ، فيجعلها من لهجة قبيلة بني حنيفة ، بل سكت عنها واورد مكانها كلمتين اخريين هما الجناح والرهب (33) اللتين سنتعرض لهما بعد قليل .

واما تحبرون التي نحن بصدد الحديث عنها هنا فمعناها في لغة بني حنيفة « تنعمون » .

وان بعدها عن لغة قريش وغرابتها هما اللذان حمل الناس ، من قديم ، على الاختلاف في معناها ، واظن ان من المفيد جدا ان نورد هنا بعض معانيها ذاكرين الائمة العظام الذين فسروها ، فتباينوا في تفسيرها ، وان هذا ليدل دلالة واضحة على ان في القرءان الفاظا من غير لغة قريش .

ويحسن ، قبل ان نتعرض لذلك ، ان نبين مادة الفعل . جاء في لسان العرب : « حبر حبرا ورجل يحبور من الحبور ... مأخوذ من الحبرة وهي النعمة وحبره يحبره بالضم حبرا وحبرة فهو محبور (34) » . ذهب مجاهد (35) الى ان معناها « يكرمون (36) » . ورأى قتادة ان معناها ينعمون ، وقال ابن كيسان انها تدل على « يحلون (37) » وقال ابو بكر بن عياش التيجان على رؤوسهم ، وذهب وكيع الى انها السماع في الجنة (38) ويرى هذا الراي ايضا يحيى بن ابي كثير (39) واعتقد ان هذين الرجلين الاخيرين اخذا هذا عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرويه اسحاق في مسنده من رواية مجاهد : «ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة : فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار ، فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا » .

كما اختلف مفسرو القرءان الكريم في معنى هذه المفردة اختلف اللغويون ، ولقد احتفظ لنا بهذا الخلاف العلامة ابو الفضل جمال الدين بن مكرم (40) فأورد نظر الليث الذي يشرح يحبرون بيتنعمون ويكرمون كما فسرها مجاهد وقتادة ، كما اتي بنظر الزجاج الذي وافق ما ذهب اليه وكيع ويحيى بن ابي كثير . وحفظ لنا اخيرا نظر الازهري الذي يرى انها « النعمة التامة » .

تطوان ـ الراجي التهامي الهاشمي

---

(27) النساء ، الآية 33
(28) المائدة ، الآية 89 .
(29) آيتي البقرة 235 و 237 .
(30) الامام ابو القاسم بن سلام . صفحة 180 من الجزء الثاني لذيل تفسير الجلالين .
(31) الزخرف ، الآية 70 .
(32) الروم ، الآية 15 .
(33) الاتقان في علوم القرءان . صفحة 136 من الجزء الاول .
(34) لابن منظور ، لسان العرب الجزء الخامس . صفحة 230
(35) الكشاف الجزء الثالث . صفحة 271 .
(36) من الواجب ان الاحظ ان الامام الزمخشري يخالف العلامة ابي الفداء اسماعيل في المعنى الذي ذهب اليه مجاهد في قضية تحبرون فاذا كان الاول يروي عنه « يكرمون » كما اشرنا اليه فان الثاني ينقل عنه «ينعمون» انظر ذلك في الجزء الثالث من تفسير ابن كثير صفحة 428 .
(37) الكشاف الجزء الثالث صفحة 271 .
(38) نفس المصدر اعلاه وفي نفس الصفحة .
(39) تفسير ابن كثير الجزء الثالث صفحة 428 .
(40) لسان العرب صفحة 230 من الجزء الخامس.

أبحاث ودراسات



بين الجامعات الاسلامية



للدكتورة بنت الشاطىء

شاركت فى مؤتمر فاس ، وفود الجامعات الاسلامية من عشرين قطرا ، تلبية لدعوة مخلصة وجيهة « جامعة القرويين » الى دور العلم الاسلامية ، رجاء ان يلتئم شملها فى رابطة جامعة عن ادراك واضح للدور المنوط بهذه الجامعات فى هذه المرحلة الدقيقة الحرجة من صراع الوجود والمصير .. وعن وعي مرهف لحاجتنا الى التآزر والتعاون على حمل هذه الامانة الصعبة فى مواجهة التحديات المفروضة على دور العلم الاسلامية فى دوامة العصر ومعترك المذاهب والقيم ...

وفى وهج الحماس لهذا اللقاء ، تماحت الفواصل بين اعضاء الوفود من الاساتذة العلماء ، فاذا نحن هناك اخوة زملاء ...

قد تتباعد اقطارنا وتتناءى ديارنا ، وتختلف ازياؤنا وصورنا ، وتتفاوت شخصياتنا ومناهجنا .

لكنا فى رحاب العقيدة نرتفع على كل هذه الفواصل ، فلسنا سوى اهل وعشيرة .

بل قد تختلف المذاهب السياسية والاوضاع الاجتماعية لبلادنا ، ثم يكون لنا من صوفية العلم وتجرده وحياده ، ما يتسامى بنا فوق فوارق الاوضاع وعصبيات المذاهب والاحزاب .

وشهدتنا ابهاء جامعة القرويين ، نلتقي بغير اقنعة ولا حواجز ولا عقد : فأخذ « الدكتور عبد العليم الهندي » مدير جامعة عليكرة ، مكانه الى جانب مولانا « ابى الاعلى المودودي » الامام الباكستاني وجلس الدكتور محمد المحمدي الايراني ، عميد كلية الالهيات والدراسات الاسلامية بطهران مع الدكتور جميل سعيد العراقي من جامعة بغداد ، واطمأن المكان بالسيد تقي الدين الحكيم عميد كلية اصول الدين بالنجف الاشرف، جوار الدكتور عمر ملا حواش من كلية الامام الاعظم ، ابى حنيفة ، بالاعظمية .

والفيت المسافات النائية التي قطعها السيد احمد دومكاوو الونتو ، والدكتور عبد الجليل حسن ، من

الفلبين وماليزيا في اقصى المشرق ، والشيخ ابراهيم نياس ، والدكتور حميدو الكالي والسيد بابا محمود حاسي ، من السينغال ونيجيريا وتمبكتو في قلب القارة الافريقيـــــة ..

وانضم الدكتور الصابوني الدمشقي ، والدكتور عبد العزيز الخياط الاردني ، الى الشيخ بدور المتولى عبد الباسط والدكتور محمد نايل والدكتـور زكـي شبانة من جامعة الازهر ، والشيخ الفاضل بن عاشور عميد الزيتونة بتونس والسيد عبد المجيـد شريف من الجزائر وعلماء القرويين من المغرب ...

وكان التاريخ يستعيـد بهـذا اللقاء المشهـود ، ذكريات المجالس العلمية التي بين المشارقة والمغاربة في رحاب الدولة الاسلامية الكبرى .

وما ارتاب احد منا في جدوى الدعوة الى اتحـاد الجامعات الاسلامية ، بل كان المريب حقا ان يتاخـر تاسيس هذا الاتحاد ، بعد ان عرف عالمنا المعاصـر اتحادا للجامعات الافريقية يقـوم على وحـدة القـارة واتحادا للجامعات العربيـة تفرضـه روابط قوميـة ، واتحادا للجامعات الفرنسية وطنا او لغة ، يتداعـى بوحدة ثقافية .

وعرف عصرنا كذلك ، اتحادا على نطاق اوسـع واعم ، في المنظمة الثقافية للامم المتحدة (اليونسكـو) وانها لتدعو الى التقارب الثقافي بين امم متباعدة شتى، وتحاول ان تصل بينها بروابط للتفاهم والتعارف ، متحدية حواجز منيعة وعصبية من التفرقة العنصرية، والصراع المذهبي ، ومتجاهلة ما بيـن بعضها وبعض ، من ثارات واحقاد ...

افلا يكون الذي بين الجامعـات الاسلاميـة مـن اواصر القربى ، عقيدة ومزاجا وتراثا اولى واقدر على ان يؤلف بينها ، ناسخا ما عساه يكون هناك من فوارق طارئة وخصومات محدثة وحواجز من رواسـب ليـل التخلف ومكايد الاستعمار ! ؟

كلا ، ما ارتاب احد في جدوى هذا اللقاء الـذي اذابت حرارته ما بيننا من فوارق .

ثم كشف الحوار الحر بين اعضاء المؤتمـر ، في الجلسات العامة واللجان وفي دور الضيافة ومحافـل السمر : عن طيب نوايانا وبعد آمالنا ، كمـا كشف عـن بؤس واقعنا وقصور وسائلنا ...

اتسعت آمالنا ، فرجونا ، مخلصين لهذا المؤتمر التاسيسي ان يوضح معالم الطريق امام اتحاد للجامعات الاسلامية ينسق برامجها ويعادل بين شهاداتها ويتبادل الراي والخبرة والزيارة والمشورة .

وتواصينا بان يكون هناك مركز اسلامي للبحـث والدراسات وسجل احصائي لدور العلم الاسلاميـة ، ومكتبة جامعة لما نشر او ينشر عن دراسات في الاسلام للمتخصصين من شرق وغرب ومجلة للبحوث العالية يكتبها اساتذة الدراسات الاسلامية بلغاتهم القومية مع تعريف موجز باللغة العربية .

وامتدت آفاق طموحنا ، فرنونا الى ان تتعـاون الجامعات فيما بينها على رعايـة دور العلم الاسلامـي ومؤسـساته ، حتى لا تخذلها الظروف المادية او غيـر المادية ، وعلى رعاية المغتربين من طلاب الجامعـات الاسلامية ، بالمنح السخية رسمية وغير رسمية .

واخذ المغرب ثواب المبادرة الى حمل هذا العبء كله ، استجابة لقرار المؤتمر ريثما تعود وفود الجامعات الى اقطارها فتحمل كل جامعة نصيبها من هذا العبء، على قدر طاقتها ...

وفي مواجهة ذلك كله ، تبـدو الظـروف صعبـة والوسائل قاصرة :

فمثل هذه التوصيات حين توضع موضع التنفيذ، تحتاج الى رصيد مالي سخي ومضمون وقد تستطيع كل جامعة ان تدبر ، بطريقة او باخرى ، مبلغ الاشتراك السنوي وقد حدد بالف جنيه ، لكن حصيلة هذا المبلغ، على فرض توفرها ان سدت النفقات العاجلة فليسـت بحيث تبقي شيئا لمركز البحوث والمكتبة والمجلة فضلا عن المعونة المالية لدور العلم الفقيرة ، ورعاية الطـلاب الوافدين .

ترى هل يتحقق امل المؤتمر في انشاء صندوق لمواجهة هذه الاعباء ، تموله تبرعات الدول والشعوب ، واغنياء المسلمين ؟

ذلك ما لا يملك احد ان يقطع فيه الان بيقين ..

وهناك معاهد للتعليم الاسلامـي في بـلاد لا تؤمن بجدوى هذا التعليم .

كما ان هناك ظروفا مادية قاسية ، تحـول دون ازدهاره في كثير من البلاد التي تؤمن بجدواه ..

وفي القطر الاسلامي الواحد قد تختلف ظروف معاهده الدينية لتعدد المذاهب ، فيكون منها معاهد رسمية تنفق عليها الدولة ، واخرى غير رسمية .

وقبل هذا كله ، هناك هذه يتولى امرها طوائف مذهبية .. الفجوة الرهيبة الفاصلة بين الجيل الواحد من ابناء الامة الاسلامية ، فريق منهم يتلقى علومه في فيجامعات ومعاهد تصله بلغة الامة وعقيدتها وحضارتها وتاريخها ، وآخرون يتابعون الدراسات العالية في الجامعات الحديثة بمعزل عن هذا كله ، فهم فيما بينهم غرباء ...

واقول مع هذا كله ، ان لقاءنا في مؤتمر فاس ، كان مجديا فيما رسخ من ادراك لحاجتنا الى التآزر والتعاون وما ارهف من طموحنا الى آمال كبار ، بقدر ما كان مجديا فيما كشف عن بؤس الواقع وقسوة المصاعب وضراوة التحديات ...

اذ لا يمكن ان ينجح المسعى ، دون وعي لهذا الواقع واستيعاب لابعاد الموقف الصعب لدور العلم الاسلامية في عصرنا الحديث ..

ولم تبلغ بنا السذاجة ، ان تصورنا امكان تلبية المؤتمر في هذه الدورة التاسيسية ، لامال طموحنا البعيد ، لكن الذي تصورناه انه يخطو بنا الخطوة الاولى على الطريق الطويل ، بهذا الوعي المدرك لدور الجامعات القيادي ، المؤمن بأن وجودنا كان وسيظل ابدا معركة فكرية ، تناضل فيها الامة عن ذاتها ضد عوامل المسخ والتشويه ، وذرائع الغزو والاهدار ...

وليست محنتنا بلعنة اسرائيل ، سوى شاهد جديد يضاف الى الشواهد التاريخية على مكان الفكر في موازين القوى ...

لقد سهرت العصابة الف عام واكثر تخايل الوجدان اليهودي بحلم التسلل الى ارض الميعاد ، وتخطط لاغتصاب فلسطين والائتمار ببيت المقدس بتعبئة فكرية ، تولتها الاجيال من احبارهم ورؤسائهم ، كي يحموا ولاء اليهودي ، في اي مكان واي زمان ، لعنصريته واحلام اسلافه وميراث ماضيه .

والى حائط المبكى ، ظلت الاجيال منهم على امتداد الزمان والمكان ، تتجه بنفسها المعقدة ووجدانها المسموم ، قبل ان تتم لليهود السيطرة على زمام القيادة السياسية والاقتصادية في الدول الاستعمارية ، وتسخرها لتنفيذ مآربها الشيطانية ومخططها المشؤوم .

وانهزامنا ، نحن العرب والمسلمين ، فيما مضى من جولات معركتنا ضد اعداء البشر ، دون ان نخوض معها حربا عسكرية بمدلولها الصحيح لما اعوزنا من رؤية واضحة لابعادها المترامية ، وفهم واع لمنطق التاريخ وحتمية السنن الثابتة ...

ولما تسلل الينا من تيارات الغزو الفكري الذي تسيطر عليه الصهيونية العالمية بكل خبثها ومكرها ..

فتصدع وجودنا المعنوي بتفرق كلمتنا وتمزق شملنا وانتثار قوانا ، وشغلنا بتوافه القضايا وسطحي الظواهر ، عن نذر الخطر الذي ما فتئت منذ مئات السنين ترهص بالكارثة ، ولم نلمح وميض النار من خلل الرماد حتى اشتعل حريقا في الحرم المقدس .

القاهرة : د. بنت الشاطيء

تقويم اللسانين

للدكتور تقي الدين الهلالي

شاع في هذا الزمن قولهم تأكدت من الشيء وانا متأكد منه ، وهو خطأ ..

قال في اللسان (أكد العهد والعقد لغة في وكده وقيل هو بدل والتأكيد لغة في التوكيد) .

قال صاحب القاموس (أكد الحنطة داسها واكده تأكيدا وكده والاكيد الوثيق)

وقال صاحب المنجد (أكد ووكد العهد او السرج شده واوثقه ، تأكد وتوكد توثق واشتد الاكيد المحكم الوثيق ، وقال ايضا أكد ووكد الشيء قرره ، تأكد وتوكد تقرر الاكيد الثابت) اه .

وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى في سورة النحل : (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها رقم 91 (بعد توكيدها) بعد توثيقها بذكر الله تعالى ، ومنه اكد بقلب الواو همزة اه .

وقال الاشموني في شرح الالفية التوكيد هو في الاصل مصدر وسمي به التابع المخصوص ، ويقال اكد تأكيدا ووكد توكيدا ، وهو بالواو اكثر .

شرح ما تقدم

قول صاحب اللسان أكد العهد والعقد لغة في وكده ، نفهم منه ان التوكيد اصله بالواو والتأكيد بالهمزة لغة فيه ، وقال بعضهم ليس هو لغة وانما ابدلت الواو همزة يقال أكدت العهد واليمين ووكدتهما توكيدا وتأكيدا فهما موكدان ومؤكدان ، وقول صاحب القاموس اكد الحنطة داسها اي درسها ليتميز حبها من تبنها ، والحنطة هي البر بالضم ، وتسمى القمح ، فالحنطة مأكودة . واكده تأكيدا أكد العهد او اليمين يؤكد تأكيدا ووكده كذلك فهو موكد ومؤكد ووكده بالتخفيف ثلاثيا واكده فهو موكود واكيد وفعيل هنا بمعنى مفعول والتوكيد التوثيق .

وقول صاحب المنجد أكد ووكد العهد او السرج شده وأوثقه ، نفهم منه ان توكيد العهد واليمين توثيق معنوي وتوكيد السرج توكيد حسي ، وتأكد العهد او السرج مطاوع اكد وعليه تقول أكدت العهد والخبر والسرج مثلا ، فتأكد اى توثق وصار محكما ، والعجب من صاحب اللسان وصاحب القاموس اذ اهملا فعل المطاوعة وهو تأكد ومن دواعي الاسف انه لا يوجد عندي الان من كتب اللغة الا الثلاثة المذكورة ، وسائر كلامه واضح .

وقوله تعالى : (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) دليل على ان التوكيد بالواو واضح من التأكيد بالهمزة سواء أقلنا قلب الواو همزة ام قلنا انها بدل منه ، واطلاق التوكيد في كتب النحو على التابع مجاز من باب اطلاق المصدر وارادة اسم الفاعل لان التابع مؤكد بكسر الكاف للمتبوع ، فاذا قلنا جاء زيد نفسه ، او عينه لدفع احتمال ان يكون المراد جاء كتابه او رسوله

فان النفس والعين ، مؤكدتان لمجيء زيد حقيقة لا مجازا ، وكلام الاشموني واضح . نفهم من ذلك كله ان العهد واليمين والخبر وما اشبه ذلك يتاكد او لا يتاكد ، اما المتكلم فلا يؤكد ولا يتاكد فلا يقال اكدت فلانا فتاكد حتى يستطيع هو ان يقول انا متؤكد ، بقي ان يقال اذا كان قول الكاتب او المتكلم انا متاكد من ذلك الامر خطا فما هو الصواب علمنا يرحمك الله فالجواب انه يجب ان يقول انا مستيقن هذا الخبر او انا مستيقن لهذا الخبر ، قال تعالى في سورة النمل رقم 14 (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ، وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كانت عاقبة المفسدين 13 ، 14) . فالضمير في استيقنتها يعود على الآيات المبصرة اي البينة المذكورة قبل هذا ، وقال تعالى في سورة الجاثية حكاية عن الكافرين المكذبين بالبعث : (واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين) 32 . قال صاحب اللسان : (اليقين العلم وازاحة الشك وتحقيق الامر ، وقد ايقن يوقن ايقانا ، فهو موقن ، ويقن ييقن يقنا فهو يقن ، واليقين نقيض الشك والعلم نقيض الجهل تقول علمته يقينا ، وفي التنزيل وانه لحق اليقين ، اضاف الحق الى اليقين وليس هو من اضافة الشيء الى نفسه ، لان الحق هو غير اليقين انما هو خالصه واصحه فجرى مجرى اضافة البعض الى الكل ، وقوله تعالى : (واعبد ربك حتى ياتيك اليقين) اى حتى ياتيك الموت ، كما قال عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وقال ما دمت حيا وان لم تكن عبادة لغير حي لان معناه اعبد ربك ابدا واعبده الى الممات ، واذا امر بذلك فقد امر بالاقامة على العبادة .

ويقنت الامر بالكسر ابن سيده يقن الامر يقنا ويقنا وايقنه وايقن به وتيقنه واستيقنه واستيقن به وتيقنت بالامر واستيقنت به كله بمعنى واحد ، وانا على يقين منه وانما صارت الياء واوا في قولك موقن للضمة قبلها ، واذا صغرته رددته الى الاصل وقلت مييقن وربما عبروا بالظن عن اليقين وباليقين عن الظن، قال ابو سدرة الاسدي ، ويقال الهجيوي .

تحسب هواس وايقن انني
بها مفتد من واحد لا اغامره

يقول تشمم الاسد ناقتي يظن انني افتدي بها منه واستحمي نفسي فاتركها له ولا اقتحم المهالك بمقاتلته وانما سمي الاسد هواسا لانه يهوس الفريسة اى يدقها . اه

ومما شاع في هذا الزمن استعمالهم قولهم عاش احداثها . اى احداث الايام او احداث الحرب وهذا استعمال غير صحيح لان الاحداث ليست ظرف مكان ولا زمان حتى تنصب بتقدير (في) يقال عاش مائة سنة فمائة منصوب على انه ظرف زمان ، قال الحريري في ملحة الاعراب :

الظرف منصوب على اضمار في
فاعتبر الظرف بذاك واكتف
تقول صام خالد اياما
وغاب ظهرا واقام عاما

فهذه ظروف زمان منصوبة بتقدير في ، وتقول في ظرف مكان جلست امام زيد او خلفه وجلست تحت الشجرة وفوق السطح فهذه ظروف مكان منصوبة بتقدير (في) اما الاحداث فليست ظرف زمان ولا مكان ، فلا يصح ان تكون منصوبة باضمار حرف الجر ولا يصح ان تكون مفعول به لعاش لانه فعل لازم . لا يقال اذا كانت الاحداث مضافة الى الايام يجوز ان تقوم مقامها فتكتسب الظرفية باضافتها اليها كما وقع في مائة سنة والف سنة ، كما قال تعالى في سورة العنكبوت الآية 14 : (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما) ، وتقول اقمت في البلد سبعة ايام فانت ترى ان العدد لما اضيف الى الظرف اكتسب الظرفية منه ، فلماذا لا تكتسب الاحداث الظرفية اذا اضيفت الى ظرف كقولهم عاش احداث تلك الايام لانا نقول ان هناك فرقا شاسعا بين اضافة العدد الى الظرف المعدود وبين اضافة غيره اليه ، لان مائة هي السنون نفسها وليست اجنبية عنها وكذلك الالف والسبعة بخلاف الاحداث فانها مغايرة للايام بل هي مظروفة والايام ظرفها ، فان الاحداث واقعة في الايام فلا يصح ان تقوم مقامها ، اما قولهم عاش احداث تلك الحرب فهو ابعد من الظرفية ، وانما جاء هذا الاستعمال الفاسد من اقتباس المترجمين معاني الالفاظ الاعجمية واستعمالها في اللغة العربية ظنا منهم انما جاز في لغة يجوز في لغة اخرى وهذا في غاية الفساد ، فان المترجم لو ترجم كلاما عجميا بكلام عربي بدون مراعاة ، لطبيعة كل من اللغتين واسلوبهما وقواعدهما بل ابدل كل كلمة اعجمية بكلمة عربية لجاءت عبارته في غاية الركاكة والقبح ، وبعضها لا يكاد يفهم ، وقد اشرت الى هذا المعنى فيما سلف ، فلا حاجة الى اعادته ، فان قيل فما هو الصواب الذي

يجب التعبير به بدلا من قولهم عاش احداث تلك الحرب او احداث تلك الايام ؟ فالجواب انه ينبغي ان يقال شاهد احداثها فهو شاهد عيان لها .

ومن الالفاظ الدخيلة قول بعضهم (**بذل فلان كل الجهود لبلورة الشخصية الافريقية**) وهو مصدر قولهم بلور المخترع ، واخترعوا له ايضا فعلا مطاوعا وهو تبلور وهذه الالفاظ لا وجود لها فى اللغة العربية التي يعرفها العرب وهي ماخوذة من اللغة الانكليزية يقينا وهذانص ما فى المعاجم الانكليزية To crystalize

بلور ، To be crystalized تبلور ، Crystal Glass

الزجاج ، Flint Glass

بلور صخري . وقال صاحب المنجد : (تبلر وتبلور ؛ صار شبيها بالبلور ، البلور والبلور نوع من الزجاج جوهر ابيض شفاف (فارسية) ، وقد ظهر ان هذه الالفاظ الثلاثة البلورة ، وفعلها بلور ، والتبلور ، وفعله تبلور ، هذه الالفاظ الاربعة لم تستعملها العرب في ما نعلم من كلامهم ، ويمكن ان يقال ان سلمنا لك ان العرب لم تستعملها تكون دخيلة او مولدة ؟ والدخيل والمولد كثير فى استعمل المحدثين وان لم تستعمله العرب فما المانع من استعماله ؟ والجواب ان الاشياء التي حدثت بعد زمان العرب من الاعيان والمعاني يجب علينا ان نبحث لها عن الفاظ تدل عليها مما يناسبها من لغة العرب ، او نقبل اسماءها الاعجمية ونمزجها بالالفاظ العربية كما فعل العرب الاولون حين ادخلوا كثيرا من الالفاظ اليونانية والرومانية والفارسية .

اما الاشياء التي كانت موجودة فى زمان العرب ولها الفاظ تدل عليها فى لغتهم فلا يجوز ان نعدل عنها الى الفاظ تترجم ترجمة حرفية ونشوه بها لغة القرءان حتى تفقد جمالها وبلاغتها ، فما المراد بالشخصية الافريقية ؟ وما المراد ببلورتها ؟ هذان لفظان مبهمان لا يمكن فهمهما الا اذا رجعنا الى اللغة الاجنبية ، التي اخذا منها ، وقد رجعنا فعلا الى اللغة الاجنبية فوجدنا معنى بلورة الشيء ان يجعل شبيها بالبلور ، والبلور من الجواهر .

وكنا تحيرنا فى معنى الشخصية الافريقية مع معرفتنا لاصلها باللغة الاعجمية وهو : Personality والظاهر ان الكاتب يريد بالشخصية القوه والعظمة والشرف وعلو المنزلة فى اعين الدول الاخرى . ويريد بالبلورة الرفعة والترقية والتقوية والسعي في سمو المنزلة وعلو المكانة ، والالفاظ التي تدل على هذه المعاني وافرة فى العربية فلا حاجة بنا الى استعمال ذينك اللفظين المولدين اللذين على ما فيهما من الركاكة معناهما غامض لا يعرف الا بمراجعة اللغة العجمية .

(**على ما اعتقد**) هذه العبارة ماخوذة من اللغة الانكليزية بترجمة فاسدة ، فان لفظة Believe تدل تارة على الاعتقاد وتارة على الظن ، والقرينة هي التي تميز بينهما فذكر هذه الكلمة اذا تجردت عن القرينة لا تدل الا على الظن ، الغالب او المستوى الطرفين ولا تدل على اليقين ، وقد اخذها عامة الكتاب فأساءوا استعمالها فان لفظة اعتقد فى اللغة العربية ، تدل على الجزم فتقول مثلا : انا أعتقد صحة هذا الخبر ، واعتقد ان الاسلام حق ، وان الله واحد ، ومن ذلك سمي ما يومن به المرء مما يجب لله تعالى من صفات الكمال وما يجب للرسل عليهم الصلاة والسلام من الصدق والتبليغ والامانة والتنزيه عن النقائص التي لا تليق بمقامهم العالي ، سمي كل ذلك عقيدة ، وأظن انها فعيلة بمعنى مفعولة كالذبيحة والنطيحة بمعنى المذبوحة والمنطوحة لان القلب قد عقدها واحكم توثيقها ، فان قيل عهدناك فى مثل هذه المعاني تفزع الى لسان العرب والقاموس وتحتج بنصوصهما فما بالك عدلت عنهما فى هذا الحرف ؟ فالجواب انني لم اجد فيهما نصا على ما اريده وهذا من العجب وساسوق هنا نص اللسان ثم احاول ربطه بالمعنى المقصود (العقد نقيض الحل عقده يعقده عقدا، وتعقادا ، وعقدة ثم قال واعتقده كعقده ثم قال وعقدة النكاح والبيع وجوبهما قال الفارسي هو من الشد والربط ، وانعقد النكاح بين الزوجين والبيع بين المتبايعين ، وعقدة كل شيء ابرامه ثم قال واعتقد الشيء صلب واشتد ، وقال البيضاوي فى سورة البقرة . (ولا تعزموا عقدة النكاح 235) ذكر العزم مبالغة فى النهي عن العقد اى ولا تعزموا عقد النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع ، وقال القاسمي فى تفسيره : قال الرازي اصل العقد الشد ، وسميت العهود والانكحة عقودا لانهما تعقد كما يعقد الحبل . وقال البيضاوي فى تفسير قوله تعالى : (ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان) رقم 89 سوره المائدة بما وثقهم الايمان عليه بالقصد والنية ، والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم ، به وقرءا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل اه . وقال ايضا فى تفسير قوله تعالى : (ومن شر النفاثات فى العقد) ومن شر النفوس او النساء

السواحر اللاتي يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها ، والنفث النفخ من ريق .

بيان وجه الاحتجاج بما تقدم

حاصله ان العقد هو الشد والربط والابرام والتوثيق وضده الحل والنكث والنقض وعقد واعتقد معناهم واحد ، ويكون فى الحسيات كعقد الخيط والحبل ، وفى المعنويات كعقد النكاح والبيع واليمين والعهد والاعتقاد الذي نحن بصدده من القسم الثاني وهو المعنوي ، فاعتقاد الانسان امرا من الامور ، جزمه وتصديقه وايمانه فكأنه عقد الايمان والتصديق بذلك الامر بقلبه حين جزم به فلو كفر به لكان كفره حلا لما عقد ونقضا له وذلك يتنافى مع الظن المرجوح والمستو الطرفين ، والغالب ايضا لانه متى داخله شك فى امر من الامور لا يصح أن يقال انه يعتقده الا مع البيان تقوله اعتقادا غير جازم ، فان قيل فماذا ينبغي ان يقال بدل ذلك فالصواب ينبغي أن يقال اظن لما تقدم من قوله تعالى حكاية عن الكفار : (ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين) ولما جاء فى الخبر الصحيح مرفوعا الى النبي ص (اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث) وقوله تعالى : (ان الظن لا يغني من الحق شيئا) .

الدكتور محمد تقي الدين الهلالي



لا تنطوا الأواني إلا بما سكن !!

للأستاذ محمد بن تاويت

قرات العدد الاخير من مجلة « دعوة الحق » فكان مما قرات تعليق مدهش للسيد عبد اللطيف السعداني على بحثلي صدر منذ شهور وشهور عديدة، وقد تمثلت صاحبه فيه ، يلهث بانتشاء الانتصار ، ويتبدى بما يتبدى به ، اولئك الابطال الذين حسبوا أنهم يسحبون الفيلة من ذيولها ، صائحا صاخبا : « وهذه ايضا » . . .

واتبع الصيحة بكلام طويل عريض ذاكرا فيه ، انه قرا الجزء الاول من مقالي « المعربات عن الفارسية» في دعوة الحق بعددها الصادر ـ شهر نونبر سنة 1967 ـ ثم قرا الجزء الثاني والاخير منه في العدد الصادر لها بشهر ابريل سنة 1969 .

فهذا الذي قاله حق كله ، ولكني لم اكن فيه مسؤولا عن هذه الفجوة الزمنية ، بل كانت المجلة نفسها هي التي شطرت المقال وقد اسلم اليها كاملا ، ثم طال الوقت على هذا الشطر ، مما جعل المجلة تفكر فيما تمهد به نشر هذا الجزء الاخير ، لكنها لم تفعل ، بعدما وعدت ، ونشرت الجزء المذكور ، بلا تمهيد ولا تقديم ، وكان الله سميعا عليما . . . .

فملاحظة السيد الفاضل لها زاويتها ، ولكنه ما باله نفسه ، لم يعلق على هذا المقال وقد انتهى اليه كاملا ، الا بعد اربعة اشهر كاملة ؟

هذا سؤال ايضا ، كما نظن ، وجيه ، والجواب عنه عسير ، ولكننا لو رجعنا الى ذاكرتنا فانها تسعفنا، بأن هذا الصنيع معروف من السيد السعداني ، فلقد كنت كتبت في مجلتنا مقالا بعنوان : « المغرب وفارس عبر التاريخ » ، وبعد مضي هذه الشهور ، بل اضعافها بعدد ايام الحسوم ، كان حضرته يعلق عليه ، بما يشبه الفراء، ولكنه كان غراءمؤدبا حمدناه لهوشكرناه بخلاف تعليقه هذا .

ونعود الى ما ورد في تلك المقدمة العريضة الطويلة ، فنجده يذكر من كتب اللغة ما هو لسيبويه وابن جني مشيرا للمعربات ونحن لا نعرف للرجلين كتبا متداولة في اللغة ، اللهم الا ان يكون صاحبنا الفاضل سمع بالرجلين في « كليتنا » ، فان كان كذلك ، وعنى « الكتاب » و « الخصائص » ، فالكتابان معا في النحو والصرف ، على الاساس ، وان كان فيهما بحوث اخرى بلاغية وفقهية لغوية ، ولم يرد في الاخير منهما اشارة الى ما عناه السيد ، ولا يصح ان يعتد بباب ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، لان هذا شيء وما عناه صاحبنا شي آخر .

ثم نحمد الظروف التي جعلت صاحبنا هذا ، يذكر لنا ان القاموس المحيط ما هو الا للفيروزابادي، وان تاج العروس ما هو الا لصاحبه الزبيدي ، « مثلا» كما ان لسان العرب ما هو الا لابن منظور ، والجمهرة هي كذلك لابن دريد ، اما السيوطي فله المزهر ، والثعالبي فله فقه اللغة . . .

فهذه معلومات صحيحة ، صحة « السماء فوقنا والارض تحتنا » ، ولكن صاحبنا فيها شأنه شأنه في

سيبويه وابن جني، وكذلك شأنه فيما ذكر من ثبت للمعاجم واصحابها . ولو كان قد قرا فصل المقرب، من المعجم العربي لطال نفسه في هذا .

يقول في عملي انه«يسمى العرف والعادة بالسرقة» وهنا يبدو ان السيد الفاضل ، لا يحسن القول في السرقة ، بالرغم من كونه يحسن غير هذا القول ، السرقة يا سيدي لا تكون في « السلام عليكم وعليكم السلام » ، ولا تكون في القضايا العلمية ، كنقل قاعدة نحوية او صرفية ، والا لكان من اتى بعد الخليل من علمائها سارقا ، وهكذا نقول في نقل المداولات اللغوية من معجم لآخر ، والا لكان الزبيدي مثلا في تاجه سارقا لابن منظور في لسانه ، اذ من المعلوم ان ما في التاج ، لا يزيد بعشر معشار المعشار ، عما في اللسان ، **ومع هذا ماوجدنا احدا بلغت به السذاجة مبلغا جعله يقول في التاج ما قلته في ((المعربات)) التي لنا ...**

وحتى الجواليقي نفسه الذي شككت في كتابه منسوبا اليه – كما زعمت – فانه « قد اباح لنفسه الاكثار من الرجوع الى القدماء مع الاعتراف بذلك حينا وعدمه احيانا » كثيرة جدا . ومع هذا لم يقل احد فيه بما قلت فينا ، ولا كان عمله مشككا للناس في امره وامر اولئك القدماء ...

هذا كله يجعلنا نقف متسائلين للسيد عبد اللطيف:

فما عذر ناقدنا البصير ، في اقدامه على هذا التجريح ؟ لا عذر له الا ان يكون عدم اطلاعه على التاج واللسان وعدم اطلاعه على ما قيل في الجواليقي من البيان ، وهو عذر مقبول في جوهره ، وهو الذي جعلنا نقول انه ما اطلع على تلك المعاجم التي صدرها باللسان والتاج ، وان كان قد اطلع على القاموس كما يبدو ، اطلاعا متسكعا متمحكا ، وكان هذا مما قضى به دعواه في تلك السرقة المكشوفة ...

السرقة يا سيدي لا تكون الا فيما دق وخفي من تعابير فنية او نظريات ، بل وآراء حديثة العهد بصاحبها ، وان جاريناك وسلمنا لك بما تريد وهو أن تكون السرقة في القضايا العلمية ، فان كلامك نفسه لا يستقيم لك ، اذا الاخطاء الشنيعة التي عددتها علي، لا توجد بالكتاب الذي سرقت ذخيرته ، كما هي وعلى الجملة لدرجة انها جعلتك تشك في الكتاب وصاحبه .

كما أن الذي تداركته ، وواخذتنا على عدم « سرقته » من الكتاب ، لا يوجد بعملنا ...

فما السر في زهدنا فيه ؟ الا أن نكون مختارين للاشياء ، مثبتين منها ما نعتقد بصحته ، مهملين لما لا نعتقد فيه بتلك الصحة ...

وبعد هذه الوقفة ندخل في الموضوع ، الذي أراد صاحبه أن يكون موضوعا ..

فمن الاخطاء الشنيعة التي عدها علينا ، قولنا في الابريق : فيكون مركبا من اسم ومادة اصيلة ، من رهيدن او رهادن ..

فقال السيد : اما رهادن فليس في الفارسية مصدر بهذا الشكل ، كذا قال ، وليت شعري ، كيف اباح لنفسه أن يحكم بهذا الحكم المطلق مع انه لو رجع الى ابسط كتاب الف بالعربية في الفارسية ، وهو « القواعد الاساسية » لوجد المصدر يثبت ذلك صراحة ، والكتاب للاستاذ الكبير ، والدكتور بحق وحقيقة المرحوم ابراهيم امين الشواربي ، عضو الجمعية الملكية الاسيوية بلندن ، والحائز على وسام المعارف من الحكومة الايرانية .

وخطأنا في **استاذ** . تخطيئات عديدة واتهمنا ، سامحه الله ، وجهلنا كذلك ، فكون حبيب السير لمؤلف لم يكن في القرن السابع ، شيء نذعن اليه ، ونعترف بهذا الخطا التاريخي فيه ، ان وقع منا ، ونشكر صاحبنا على كل حال ، وان لم تكن على جهل بكون الكلمة عرفت قبل حبيب السير بزمن بعيد ، ويكفي ان نذكر ان كافور الاخشيدي كان لقبه الاستاذ وتهمتنا تزول ، اذا كان صاحبنا فاهما الفصل الذي ذكره ، صاحب الكتاب المذكور ، بقوله : « ذكر تخريب ميافارقين وماردين بسبب استيلاى مغلان برخشم وكين » ، والا فنحن نكفيه المؤنة ونسوق له النص هكذا :

لشكر تاتار شدند وازجانبين عراده ومنجنيق بركار داشته آغاز اند اختن تيروسنك كردند وهر روز از شهر فوجي ازشجعان بيرون آمده نائرة قتال مي افروختند وخرجن حيات جمعي ازمغولان رامي سوختند ، ازجمله دو جوان بودند ... الى أن يقول : منجنيقي در برابر منجنيق شهر نصب كرد وآن دو استاذ بيكابار سنكها از منجنيق كشاده دادند .الخ

وخطا السيد حينما قلنا في ايوان « ويبدو ان اصله اللغوي كان جمع ايو » فقال : لا توجد في لغة الفرس كلمة « ايو » ...

ونكتفي بما قلناه له في مثل هذا التعليق ، ونطمئنه بوجودها هكذا ، وبصور اخرى ، بمعنى البيت والدار

والمسكن ، ولو كان يعرف التركية لاحلناه على نص من نصوص معاجمها التي تناولت بعض الكلمات الفارسية ونصت عليها بالذات ، ففي معجم سامي نجد هذا النص « أو » س . أصلي « اوى » ، « ايو » ، « ايو » جـ : « أوى » . . . خانه ، بيت ، دار ، مسكن . . . كما ان « الاخترى » فى معجمه ، نص على ان في الايوان لغة اخرى ، هي « اووان » ، بل جعل هذا هو الاصل فيه .

وقد قلنا فى حذر واحتياط « ويبدو » ولم نقطع بذلك حتى نوخذ عليه اخذ عزيز مقتدر . .

وفى هذه الكلمة بالذات ، سخر منا ونحن نذكر أن « ان » قد يراد بها النسبة ، كأنه ما سمع بهذا في الفارسية، ونحن نعذره ، ونحله من الفارسية وقواعدها والفاظها ، ثم نحيله على ما ورد فى كتاب ، قديم ليس من الفارسية فى شيء ، بل هو فى التاريخ ، لصاحبه البلاذري « فتوح البلدان » ، ولا تكلفه الا قراءة سبع ورقات منه ، فيجد فيها هذه الامثلة ، وكثير منها عربي صيغ صوغا فارسيا .

« يزيدان » نسبة الى يزيد ، « طلحتان » الى طلحة ، «خيرتان» الى خيرة ، «مهلبان» الى المهلب « جبيران » لجبير ، « خلفان » لعبد الله بن خلف ، «طليقان» لآل عمران من ولد خالد بن طليق، «اميتان» الى امية، «مغيرتان» للمغيرة ابن ابي العاص ، « زيادان » لزياد ، « ازرقان » للازرق بن مسلم ، « محمدان الى محمد بن علي الحنفي ، « عميران » لعبد الله بن عمير ، « حصينان » لحصين العنبري ، « عبيدلان » لعبيد الله ، « عبيدان » لعبيد بن كعب النيمري ، « منقذان » لمنقذ بن علاج ، »« نافعان لنافع ، « اسلمان » لاسلم ، « حمرانان » لحمران بن ابان ، « قتيبان » لقتيبة ، « خشخشان » لآل الخشخاش ، « سعيدان » لآل سعيد ، « سليمانان » الى سليمان بن جابر ، « عمران » لعمر بن عبيد الله ، « خالدان » لخالد ، ، « سويدان » الى لسويد بن منجوف . « جبران » لآل كلثوم بن جبر ، « كثيران» لكثير ، « بلالان » لبلال ، « شبلان » لشبل بن عميرة، « صلتان » للصلت ، « قاسمان » للقاسم ، «معقلان» لمعقل (اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل) ، «جندلان» لعبيد الله بن جندل ، «حربانان» لحرب بن عبد الرحمن ، « كوسجان » الى عبد الله الكوسج ، « عبادان » الى عباد بن حصين ، زيادة على «ماسوران» نسبة لماسور الفارسية ، و « مسرقانان » ، التي لم ينص على نسبتها .

وخطانا الفاضل ، فيما قلناه فى بستان . ان ستان ، من ستانيدن ستان ، فقال : لا علاقة له بتاتا بمعنى كلمة « بستان » .

ونقول لصاحبنا ما قلناه ، فى مثل هذه اللهجة ، ونحيله على عالم فارسي عتيق ، هو ابو القاسم ابن خرداذبه ، من رجال القرن الثالث فقد قال وهو يتناول كورة ستان : وترجمة استان احازة . . . ولهذا قلنا معناه « الحوز » فى أصله الفقهي ، وان صار يعرف بالمكان . .

ونكتفي بهذا القدر ونترك باقي المهاترات فهي مكشوفة للقراء ، كما نترك باقي الاخطاء التي تثبت أننا لم يكن فى عملنا « سرقة » . . ونعوذ بالله من الصلف الذي يقضي الى التلف . . .

فاس : محمد بن تاويت



من شخصيات التاريخ الاسلامي النادرة ، ومن ابطال الحرب البارزين في ايام العرب ، جمع البطولة الى النجدة ، والشجاعة الى الدين ، والفصاحة والبلاغة الى الكرم والادب، ورغم ما مر بك من صفات الرجل فان التاريخ لم ينصفه ، ولم يحص مآثره وامجاده ، لان ما به من صفات لا يمكن حصرها ولا يتأتى تعدادها . انه يمثل العربي الصحيح ، العربي الذى لا يقرب العيوب ولا يداني الدنس ، العربي الذى يرخص الروح في سبيل الذود عن الكرامة والدفاع عن الحياض ، هذه الكلمات المسئولة التى مرت بك ليست الفاظا تقال فى معرض الحديث عن مالك الاشتر ، وانما هي كلمات لها معانيها ومدلولاتها وآثارها فى شخص بطل طبق على نفسه القواعد الموضوعة والحدود المرسومة حتى بلغ مرتبة المثل الاعلى للرجل الكامل .

ولد هذا البطل المشهور قبل الاسلام بقليل وقد عاصر النبي (ص) ولكنه لم يره ولم يسمع حديثه ، غير ان مالكا ذكر عند النبي فقال فيه : « انه المؤمن حقا » . وهذه شهادة تعدل شهادة الدنيا بأسرها لانها صدرت عن اعظم انسان فى الدنيا وهي دليل على ان مالكا قد كان شابا فى عهد النبي له وزن وله رأي فى قومه وانه دخل فى الاسلام كما دخل فيه غيره من عظماء هذا العهد المبارك ، بل لقد عد بين المجاهدين الذين ابلوا البلاء الحسن فى حروب الردة وموقفه معروف من (ابي مسيكة الايادي) وهو زعيم من زعماء المرتدين وحديث مالك اليه حديث المؤنب المعتز باسلامه وعروبته وشجاعته حتى لقد دعاه للمبارزة غير هياب ولا وجل مما يدل على انه قد كان يومذاك شابا فى ريعان الشباب . فاذا اضفنا الى هذا ان مالكا الاشتر قد صرع عبد الله بن الزبير فى وقعة الجمل وان عمره كان اذ ذاك ، على ما يروي المؤرخون ، ثمانين عاما فتكون ولادته ، اذن ، قبل بعثة النبي بعقدين او ما يزيد على ذلك قليلا . ولكنا لا نخلو من الشك فى ان سنه قد بلغت الى هذا الحد فى معركة الجمل لانه عاش بعد ذلك ايام حرب صفين كلها وانه فى نهاية هذه الحرب ، وبعد التحكيم ، عين واليا على مصر من قبل الامام علي ، ولسنا نرى ان يعمد الامام الى تسليم قطر من اهم الاقطار الاسلامية لرجل شيخ هم ، بل نرجح انه كان اذ ذاك فى طور الكهولة وانه تجاوز الستين بقليل .

اما اسمه المفصل فهو : مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة .. الى ان ينتهي بالنخع ثم يصل الى مذحج جده الاعلى والذي تسمت به قبيلة من اشهر القبائل اليمنية العربية واشدها قوة ومنعة . ولقد شهد اول ما عرف خطبة عمر فى (الجابية) كما شهد وقعة اليرموك وشترت عينه فيها، وقيل انها شترت (استرخى جفنها) فى حروب الردة مع ابي مسيكة الايادي . وسكن اخيرا فى الكوفة وترك فيها نسلا .

لهذا البطل شخصيتان : اولاهما شخصيته قبل الاسلام واثناءه وفي زمن الخليفتين ابي بكر وعمر ، وكان خلالها غير بارز الصورة ولا ظاهر الملامح ، وان كان معدودا بين الفرسان النابهين ، ولكن التاريخ لم يهتم بشأنه في هذه الفترة اذ كان منشغلا بالجهاد .

وشخصيته الثانية تبدا بالثورة على عثمان حتى نهاية حياته وفيها انضم الى معسكر علي بن ابي طالب وظل واياه حتى قتل مسموما على طريق مصر على ما رواه المؤرخون .

كان رفيقا لعمار بن ياسر الصحابي الجليل وقد تألم لمقتله كثيرا وثارت ثورته يومذاك على جند معاوية فابلى فيهم واذاقهم الويل في كراته الشديدة عليهم انتقاما لرفيقه وثأرا لصديقه .

كان الاشتر صاحب دين ، وكان معدودا في التابعين وكان على جانب كبير من التقشف والزهادة ودليل ذلك اعجابه الشديد بابي ذر الغفاري ولعل من اقوى الاسباب التي حملته على مقاومة الخليفة عثمان ان هذا الخليفة قد جبه ابا ذر واطاع فيه حاشيته ونفاه الى الربذة ، وكان مالك احد الذين زاروا الصحابي الجليل رغم غضب الخليفة عليه ، حتى لقد مات ابو ذر بين يديه وتولى مالك دفنه وابنه تابينا ينم على الالم لما لقيه من عنت وغبن ، كما ينم على الاستياء والحقد على اولئك الذين آذوا صاحب الرسول الاعظم فلم يعرفوا له قدره ومكانته ، ولقد وضع الشيخ ابا ذر في حفرته الاخيرة ثم جرد سيفه فمسح به القبر ثم تكلم عن صاحبه فقال : ان ابا ذر راى منكرا فغيره بلسانه وقلبه حتى جفي ونفي وحرم واحتقر ثم مات وحيدا غريبا ، ثم تثور حفيظة مالك فيدعوا على المعتدين بقوله اللهم فاقصم من حرمه ونفاه .

يضاف الى ما تقدم ، الخلاف الشديد الذي نشب بين مالك ووالي الخليفة على الكوفة سعيد بن العاص ، وقد شكا منه مالك وعرض حاله على الخليفة فاستدعاه اليه واستدعى الوالي ، فكانت النتيجة ان اقصي مالك عن الكوفة وان اعيد سعيد بن العاص معززا مكرما ، وهذه نتيجة مؤذية محنقة للاشتر تؤذيه في مكانته وزعامته وشجاعته فحفظها للخليفة وهو يحرق الارم وينتظر اليوم الذي يستطيع فيه اقصاء الذين خالفوا القرءان والسنة وسيرة الخليفتين .

ولو نظرنا الى حالة مالك من حيث رجولته ودينه واستقامته وعروبته الاصيلة ، ثم لو نظرنا من الجهة المقابلة الى حالة الخلافة ايام عثمان وتسلط بني امية عليها واحاطتهم بالخليفة احاطة مقصودة بحيث لم يتركوا مجالا للناس يصلون اليه ولا الشكاوي تمر الى اذنيه ، ولو نظرنا الى كل ذلك لعلمنا السبب في التزام مالك جانب الامام علي فقد وحدت بينهما فكرة عدم الرضى وان الخليفة عثمان ، على ما يتمتع به من سابقة ودين وتقوى ، مغلوب على امره ، قد تسلط عليه جماعة من اصحاب الاستغلال والانانية يحاولون ان يحتكروه ويصدوه عن وجوه الخير والاسلام الصحيح .

وهكذا اشترك مالك عمليا في حصار عثمان وحضر مقتل الخليفة وان لم تمتد يده اليه ولكنه عد بين الذين عملوا من اجل هذه النهاية المحزنة ما وسعهم العمل ، ولعل مالكا بما عرف عنه من ورع ودين لم يكن يقصد الى القتل لان ذلك امر لا يقره الدين بل لعل اكثر الذين شاركوا في هذه المأساة كانوا يريدون ان يعتزل الخليفة عمله السياسي وان يقبع في داره وان يرى الناس لهم خليفة آخر من نوع الخليفتين السابقين ابي بكر وعمر .

فلما وقعت الواقعة كان مالك اول من دعا الى تولية علي الخلافة بل لعله كان العامل الاول في اقناع الامام بقبول الفكرة ثم لم يكتف بذلك حتى دعا الرؤساء والكبراء الى مبايعة الامام علنا لتكون البيعة صحيحة وقد دعا طلحة والزبير وغيرهما الى ذلك فلباه الناس ، بعضهم جزعا وخوفا وبعضهم الاخر عن رضى وطواعية ومحبة لما كان يتمتع به هذا الرجل القوي من مكانة مرموقة .

حتى لقد ادعى الزبير انه اجبر على البيعة اجبارا وذلك حين عوتب على قيامه ضد علي يوم الجمل ، ويقال ان مالكا قال لطلحة حين بدا منه التقاعس عن البيعة : قم يابن الصعبة ، ثم سل سيفه في وجهه ، كما التفت الى الزبير صائحا : قم وبايع والله لا ينازع احد الا وضربت قرطه بالسيف ، وقد قال الزبير بعد ذلك ، بايعت واللج على قفاي ، واللج سيف لمالك الاشتر .

وقامت الثورة الاولى على الامام وانبثقت المشاكل المتشابكة المعقدة ، فكانت وقعة الجمل اول مظهر من مظاهر الخلاف العميق بين بعض افخاذ قريش وبني هاشم ، وما من شك ان سيدنا عليا

قد كان موضع الثقة والاحترام من كل الفئات الاسلامية ، ولكن الانسان محكوم بطبيعة نفسه اكثر من اي شيء آخر ، فالدين والاخلاق والثقافة، كلها امور موجهة ومؤثرة عند اناس ، ولكنها عند آخرين قد تكون امورا ثانوية او تكون ذات اثر لا يستطيع مقاومة تيارات النفس البشرية . ولعل هذا الامر هو الذى اشار اليه مؤرخونا القدماء فسموه بالعصبية القبلية التى تغلب عليها الدين حقبة من الدهر بالنسبة لقسم من الناس، على حين ان القسم الآخر قد تأثر بالدين وقتا ما ثم ما لبث ان غلبت عليه العصبية كرة اخرى ، وهذا يزيد بن معاوية يستشهد بقول الشاعر :

ليت اشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل

وذلك يوم بعث حملته على المدينة ، فقد تذكر ثارات اقربائه من بني امية الذين قتلوا بسيوف بني هاشم (ومنهم الاوس والخزرج) فى معركة بدر ، وهكذا يروي المؤرخون ، وهي رواية معقولة لا يدحضها المنطق ولا التاريخ .

وكان لمالك الاشتر النصيب الاوفر فى الدفاع عن سيدنا علي وخلافته فى وقعة الجمل ، ولقد بدأ القتال ، فخرج رجل يصيح فى الناس محذرا من الاشتر ويقول : اما الاشتر فلأنيابه قعقعة فى الحرب .

وتنتهي المعركة العجيبة لصالح الامام علي ويخرج مالك يجرر اذيال الظفر وما كاد ينعم بالهدوء حقبة حتى تبدأ المعركة الكبرى صفين فيخوض مالك غمارها ويصطلي بنارها ويسهم فيها اسهاما كبيرا حتى لقد عد بلاء منصبا على جنود معاوية وكان معاوية يرى فيه العدو الاكبر والسد المنيع ضد امانيه ومآربه . ولكن صفين تنتهي نهايتها الفاجعة بالنسبة للامام ومالك فقد اضطربت الجبهة العراقية واختلف عسكر الامام وغيروا اتجاه النتيجة بعد ان اجبروا عليا على قبول خدعة التحكيم وهو مبدأ مفيد لمعاوية ضار بعلي وجماعته ، حتى ظن ان هؤلاء الذين ضحوا بالنصر ، وقد كان منهم قابا ، انما فعلوا ذلك نكاية بمالك وحده ، بل لقد كادوا يسلمون الخليفة الى خصمه ، وقد قال الاشعث وهو من حساد مالك حين اراد علي ان يختار مالكا حكما يقابل عمرو ابن العاص: وهل سعر الارض علينا الا الاشتر ، وهل نحن الا بحكم **الاشتر** .

ولقد تحدث التاريخ بعد ذلك ان الاشعث هذا قد كان يعمل بايحاء من معاوية بالذات .

ولكن الغريب فى امر مالك انه كان يثور امام الناس جميعا الا الامام فقد كان يحبه حبا غير من طبيعته الثائرة وهذب من طبعه العرم ورقق من نفسه المزمجرة المحنقة ، فكان اذا سمع الامر من علي تلقاه كأمر عسكري لا تجوز مناقشته ولا تحق مداورته ، وهكذا تراجع مالك يوم صفين نزولا عند رغبة الامام ، وهكذا قبل ان يكون واليا فى منطقة الجزيرة ، وهي منطقة تافهة ، الا انها واقعة على حدود الشام . وهكذا ايضا قبل ان يكون واليا على مصر بدلا من محمد بن ابي بكر ، حتى لقي حتفه في الطريق على اغلب الروايات .

وانتهت بموت مالك حياة حافلة بالدين والايمان والشجاعة والنجدة فعد بذلك من الابطال المياميين في تاريخ الفترة الاخيرة من خلافة الراشدين .

ولقد سر معاوية بمقتله ، فقال : ــ كانت لعلي يمينان قطعت احداهما بصفين (يقصد عمار بن ياسر) وقطعت الاخرى بمصر (ويقصد مالكا) .

ولكن عمرو ابن العاص كان ابلغ فى الشماتة حين قال : ــ ان لله جنودا من العسل .

لان مالكا مات مسموما بعد ان اكل عسلا .

اما الامام علي المحب المفجوع بصديقه الامين فقد قال فيه : ــ كان لي مالك كما كنت لرسول الله.

وقال ايضا وقد جاء خبره . ــ انالله راجعون ، اللهم اني احتسبه عندك فان موته من مصائب الدهر ــ

وقال : ــ لله در مالك ، اما والله ليهدن موتك عالما وليفرحن عالما ، على مثل مالك فلتبك البواكي، وهل موجود كمالك ــ .

بقي ان نذكر لك ناحية اخرى هامة عند هذا الرجل الكبير ، فقد كان شاعرا من شعراء البطولة ولكن البطولة غلبت عليه رغم موهبته الشعرية .

يبرز شاب فى معركة الجمل لمالك فيلقيه مالك ارضا ويهم بقتله فيذكره الشاب الصريع بالقرءان ويتلو عليه حاميم ــ والشاب يعلم ان مالكا لا يؤخذ بامر كما يؤخذ بالقرءان ــ فيقول الاشتر مجيبا .

يذكرني حاميم والسيف مصلت
فهلا تلا حاميم قبل التقدم

هتكت له بالرمح جيب قميصه
فخر صريعا لليدين وللفم

على غير شيء غير ان ليس تابعا
عليا ومن لا يتبع الحق يندم

وقد اختصر الاشتر مذهبه السياسي في البيت الاخير وذلك: (ان من لايتبع عليا مخالف للحق وحقت عليه الندامة ووجب قتاله) وهي ابيات ـ على بساطتها ـ تدل على قوة في الشكيمة وبلاغة في الاداء لا تأتيان الا الا الشعراء .

ويدعو عبد الله بن الزبير الى البراز فينزل اليه وهو شاب في عنفوان الشباب ويلتقي بمالك وقد بلغ الثمانين من العمر على قول بعض الروايات ، وكان رغم سنه يصول في الحرب ، فيصرع عبد الله ويجثم على صدره فيصبح عبد الله مستغيثا .

اقتلوني ومالكا
واقتلوا مالكا معي

فيهيب مالك عن فريسته ثم يروي الحكاية مخاطبا عائشة :

اعائش لولا انني كنت طاويا
ثلاثا لالقيت ابن اختك هالكا

غداة ينادي والرماح تنوشه
كوقع الصياصي اقتلوني ومالكا

فنجاه مني شبعه وشبابه
واني شيخ لم اكن متماسكا

وابن اخت عائشة هو عبد الله بن الزبير وامه اسماء بنت ابي بكر (ذات النطاقين)

وكان يصور نفسه في الحرب تصويرا صادقا فيقول :

لأوردن خيلي الفراتا
شعث النواصي او يقال ماتا

كما يقول لاحد مبارزيه محذرا مخوفا :

بليت بالأشتر ذاك المذحجي
بفارس في حلق مدجج

كالليث ليث الغابة المهيج
اذا دعاه القرن لم يعرج

وانظر الى قوله يخاطب عمرو ابن العاص حين هم بمبارزته وهو ملآن حنقا عليه لانه في رايه ـ مورث النار ومحرك للخلاف ، وانه ايضا صاحب الحيلة في الحرب :

يا ليت شعري كيف لي بعمرو
ذاك الذي اوجبت فيه نذري

ذاك الذي اطلبه بوتري
ذاك الذي فيه شفاء صدري

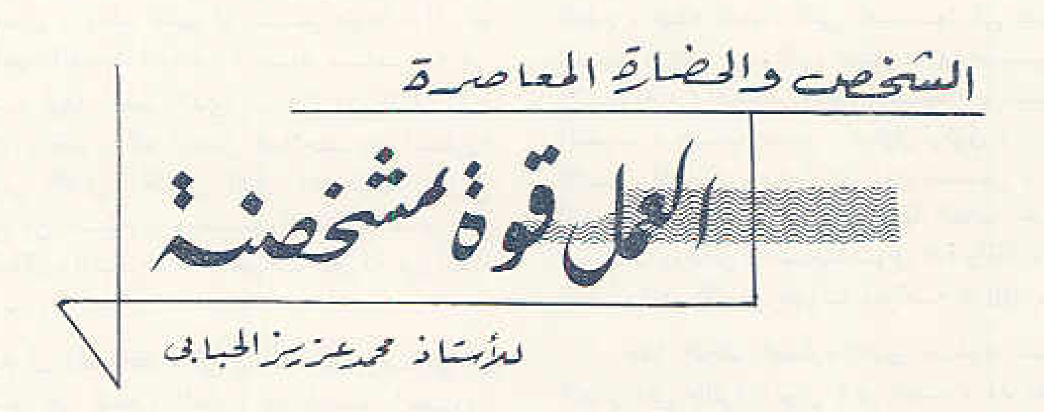
ذاك الذي ان القه بعمري
تغل به عند اللقاء قدري

وليس خافيا اني انما اتيت بشعر هذا الفارس البطل لادلل على انه كان مطبوعا على قول الشعر وان ايامه الرهيبة المخوفة لم تترك له الفرصة الكافية للتجويد في هذا الفن واتقانه ، الاتقان اللازم لكل فن ، ولكن نفسه ـ بالفتح ـ في شعره يدل على ان وراءه طبعا شاعرا اصيلا وان الشعر بالنسبة له صديق ورفيق يلجأ اليه للتنفيس عن صدره كلما حزبه امر او نبا به منزل .

والشعراء الفرسان لا يستطيعون ان ينصرفوا الى فنهم انصرافا تاما لانشغالهم بمزية اخرى غير مزية الشعر ولان شهرتهم في الشجاعة والبطولة تغلب على شهرتهم الفنية فهم يظلون في المرتبة التالية بالنسبة للشعراء المتفرغين ـ ان صحت التسمية ـ .

هذا هو مالك الاشتر البطل المعروف والسيد المشهور ، فهو فارس وسياسي وشاعر .

احمد الجندي
مجمع اللغة العربية بدمشق



الشخص والحضارة المعاصرة

العمل قوة مشخصة

للأستاذ محمد عزيز الحبابي

« ان كينونة الانسان مماثلة لفعالياته ، لذلك يجب القول بأن الانسان هو عمله » (بول ريكور) (1) .

ان حضارة المدن لم تحقق ، كما تبين لنا من الاحاديث المتقدمة ، المثل الاعلى في الانسجام والتعالي الذي طالما طمحت اليه الانسانية . فهل يمكن التوصل الى هذا المثل الاعلى عن طرق اخرى ؟

* * *

تقوم حضارة عصر الصناعة الكبرى على الفصل بين العلم والاخلاق . واسطورة (ابروميثيوس) وغيرها من الاساطير اليونانية القديمة ترمز الى أن الحضارة قد قامت ، منذ البداية ، على الشر والخديعة ، لان (ابروميثيوس) ، مبتدع الحضارة الاولى ، قد « اختلس » النار من السماء ليبعث الحياة في الطين الذي صنع منه الانسان (2) ، عاقب (جوس) ، اله الآلهة ، المختلس : أرسل اليه (باندور) حاملا صندوقه المشؤوم محتويا على جميع أنواع المصائب . وقد حاول (ابروميثيوس) الفرار من العذاب ، فلجأ الى الحيلة ، ولكنه وقع في الفخ ونال جزاءه .

انها الخديعة والتنكيل ، وفي البداية ، الاختلاس . وحتى في القرن السابع عشر ، كان معنى العمل هو التعذيب والايلام ، ماديا ومعنويا ، اما في القرون الوسطى فالعمل (Le travail) يعني العذاب ، وهو مدلول مشتق من الاصل اللاتيني (3) ، وما زالوا ، في العصر الحديث ، يطلقون ، داخل المستشفيات « غرفة العمل » على غرفة الولادة ، فيقولون : « امراة في العمل » للتعبير عن الآلام التي تصاحب الولادة . فالخادم ، او العامل ، او الشغال ، هو الذي يكسب قوته عن طريق بذل مجهودات مضنية .

ان الاغلبية من معاصرينا ما زالت تنظر الى العمل كما كان ينظر اليه الاقدمون ، نظرة ازدراء واحتقار ، رغم ما يؤكده الواقع من ان العمل من اسس تكوين شخصيتنا وانسيتنا . انه من الابعاد العميقة اللازمة لاستكمال الذات وحصول وعي الذات للذات .

* * *

لما لمع فجر عصر الآلية الحديثة ، ظن كثير من المفكرين ان الانسانية دخلت فصل ربيعها ، فانفتحت

---

1) P. Ricœur, **Esprit**, n° 1, 1953 p. 97.

2) (ابروميثيوس) هو (Promethus) ابن (ابابتوس والربة (نيميس) قاوم دكتاتورية (جوس) وتحداه عندما اهدى الى البشر النار ، فمهد لهم الطريق للمدنية .

(جوس) هو رئيس الآلهة وملك البشر ورب النور والقدر .

3) من لفظة (tripaliare) التي يراد بها : استخدم (tripalium) وهي آلة ذات ثلاثة مخالب كانت تستعمل للتعذيب .

للمستقبل ابواب عريضة ، وتضخمت الآمال تراود الخياليين والواقعيين على السواء . قد اعتقدوا ان عهدا جديدا للعدل والمساواة أهل على الجميع ، حتى بالنسبة للعمال . ولكن أملهم لم يستمر طويلا ، اذ ما اتضح أن العهد الجديد انما هو « عهد صناعي » في المعنى القديم لهذا اللفظ الذي يدل على المهارة والحيلة (4) . نعم ، انه ليخيل للملاحظ بان أسطورة (ابروميثيوس) الذي اختلس النار قد طبعت تاريخ تطورنا بنوع من الشؤم ، وبحتمية الصراع الدائم بين الافراد والقبائل والشعوب . فانحرفت المعرفة عن اتجاه التقدم القويم .

الواقع ان الصناعة ، الى يومنا هذا عوضا عن ان تساعد البشر على التحرر العام ، عن طريق العمل ، جعلت من العمل دوامة رهيبة تجرنا شيئا فشيئا ، الى بدائية سفيهة رهيبة . فعندما أخذت الآلات تستغني عن الكائن البشري ولم يعد يسيطر على الطبيعة ، اصبح مجرد اسير للأجهزة التقنية . واول عاقبة نفسانية نجمت عن هذا الوضع تتجلى في شعوبنا بالحرمان ، ذلك ان قيمة الشخص باتت تقاس بما ينتجه من ربح ، فاعطت للآلة قيمة اكبر من قيمة العامل الذي يطالب بالا يستعمل تفكيره ، وأن يقصر جهده على تتبع الآلات الآلة ترقى ، والعامل يسير كذيل لها ، فهو ، باستمرار يجرد من تفوقه وامتيازه، الامرالذي يفقد للشغل كل مسرة وابتهاج ، ويجعله مصدرا للسأم .

يرى (يسانت دوبروى) ، وهو من اهم الاختصاصيين في مشاكل عالم الشغل ، ان الدليل على وجود هذا السأم يتكرر ، امامنا ، مرتين في اليوم ، وهو يتجلى في السرعة التي يغادر بها موظفو المؤسسات والشركات مقر عملهم . وعلى العكس من ذلك ، نرى أن الذين تربطهم بأعمالهم مصالح اقتصادية ومتع عقلية لا يحسون بالسأم عند اداء عملهم ، ان للسأم اثرا يفوق اثر الجوع في ايجاد الاضطرابات المجتمعية لدى عدد وافر من العمال » (5) .

لنتخيل الان احد أجدادنا البدائيين ، من عصرما قبل التاريخ ، وقد بعث بيننا واخذ يقارن الحياة القاسية البسيطة التي عاشها في ذلك الزمان الموغل في القدم ، بهذه الحياة التى نعيشها في عصر الثورة الصناعية الكبرى والتي تمتاز ، في نفس الوقت بالسهولة ، والتعقيد وعدم الانسجام . سيجد هذا المبعوث ، حسب تعبير (شارل نيكول) : « ان وجود الانسان المتحضر عبارة عن عمل مستمر ، وان وسائل اللهو والمسرات هي في حقيقتها اتعاب اخرى لانها تعقيدات ورذائل لا تمنحنا سوى لذة زائفة ، وما تسميه تقدما ما هو الا نهر يجرف شواطئه » (6) .

هذا الحكم الصارم الذي يصدره (شارل نيكول) الحائز على جائزة (نوبل) في الطب ، قد يكون انذارا اكثر منه حكما على الحضارة او ادانة لها . والحقيقة ان الآلات التقنية تخلف خللا واضطرابات نفسانية ، بدلا من السعادة المادية مع الاطمئنان انها لا توفر اوقاتا للفراغ تتيح للعامل ان يحقق ذاته ، عن طريق أنواع من النشاط المكمل للشخصية ، من ثقافة ، ورياضة بدنية ، وتأملات ، وابداع فني ..

ماذا نريد من الصناعة ؟ أحضارة انسانية ، ام مجموعة من الاناسي الآليين ؟

لقد قال رجل الصناعة الامريكي (تايلور) ، ذات يوم ، لأحد عماله : « اخرس ! انت لست هنا لتفكر ، لنا آخرون غيرك يتناولون أجورا خاصة من أجل ان يفكروا ! » .

هكذا عندما تتكلم الدولارات تخرس المطامح الانسانية ! فالثورة الصناعية تنمي راس المال ، على حساب العمل ، فتنتج عن ذلك استلابات نفسانية ومجتمعية .

ذلك اننانعيش علىمفهوم خاطىء لعلاقاتالانسان بالاشياء ، يعمل على افقاد المرء شخصيته بقدر ما يعطي قيمة جديدة لهذه الاشياء .

ان الاختيار اصبح محصورا في شيئين ، لا ثالث

---

4) يرجع استعمال هذا المعنى المجازي الى القرن السابع عشر ، وحتى في عهدنا نجد عبارات تدل على نفس المعنى ، مثل « فرسان الصناعة (Les chevaliers d'industrie) ، وهم الذين : يعيشون من الاختلاس والطرق الملتوية .

5) باريز 1953 ص 257 Y. Dubreuil, **Le travail et la civilisation**,

6) Charles Nicole, **La fiction du progrès**, p. 47.

لهما : **اما تحرير الانسان عن طريق تقدم المعرفة للسيطرة على الكون ، لصالح النوع البشري ، واما استخدام التقدم في استغلال ثورات العالم والطاقات الانسانية لفائدة الاقليات** . فمصير العالم الثالث وصراعه ضد التخلف والحرمان يهم مصير وحرية العالم كله . فما ينقصنا هو مفهوم جديد لهذه الحرية – في – ترابط لم تتوصل اليه بعد الطبقة العمالية ، ولم يعثر عليه كذلك المشرعون ، يجب ان يحدد هذا المفهوم الجديد ، بوسائل جديدة تساير التيار العلمي الهائل الذي يجرفنا من خلف ، وفوق ، وتحت : **العمل كمحرك اساسي للتشخيص** .

فهل الدوافع التي تحرك النقابات واصحاب رؤوس الاموال ، والتي تشغل بال ممثلي الديانات ومفكري العالم ستكشف عن مخاض يسفر عن «ميلاد حضارة العمل » ؟ .

* * *

ان الشخصانيين يؤيدون قيام مثل هذه الحضارة ويعملون ليصير الشغل ، على حد تعبير السيد (بارتولي) : المقولة والميزة الاقتصادية والمجتمعية السائدة (7) . حينئذ ، لن يصبح المجهود عذابا ومشقة وسآمة ، بل ان عنصرا ديتميا لترقية الشعوب (كل الشعوب) التي ستودع بدائيتها بعد ان تعطي للعمل قيمة جديدة ومعنى حقيقيا انسانيا .

لسائل ان يسأل : كيف نتوصل الى تحقيق هذه الاهداف ؟

يجيب (ريكور) على هذا السؤال ، عندما يعالج مشكلة وحدة الحضارة في مستويين : أولا : على مستوى الحقيقة والاشكال المختلفة للحقيقة ، (مجلة Esprit دسمبر 1951 ؛ وثانيا : من خلال الجدل الاساسي للعمل وللتفكير الذي يوجهنا عند حل مشكلات الحضارة (انظر : نفس المصدر ، يناير 1953) .

هذه امثلة على جهود الشخصانيين المعاصرين ، في هذا الميدان .

فما هو موقف الشخصانية الاسلامية ؟

ولننظر الان الى مقاييس الشخصانية الاسلامية

لقد حاول الاسلام تقدير العمل حق قدره وتحسين ظروفه ، فاعطى امتيازات رفيعة للذين « يعملون » ، حتى أنه سوى الشغل بالعبادة ، حسب ما جاء في حديث نبوي : « الخدمة على العيال عبادة » ويضيف حديث ثاني : « لان يحتطب احدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل احدا ، فيعطيه او يمنعه » ، ويروي البخاري ، في (الصحيح) حديثا قدسيا ، يقول الله : « ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة : رجل اعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا واكل ثمنه ، ورجل استأجر اجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » .. ويدعم هذا المعنى حديث آخر : « اعط الاجير أجره قبل ان يجف عرقه » .

أما القرءان فيقدم لنا نماذج من العمال ، وقد اختارهم من المحظوظين عند الله ، هم الانبياء والمرسلون وفي ذلك احسن اسوة للشغالين واكبر تمجيد للعمل . فقد خاطب الله داوود بقوله ، بعد ان الان له الحديد :

« اعمل سابغات ! » (اي دروعا سابغات) (34 : 10) . هكذا عاش داوود من « عرق جبينه » ، أو كما جاء في حديث رواه البخاري : « ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده ، وان نبي الله داوود عليه السلام ، كان ياكل من عمل يده » .

اما يوسف بن يعقوب ، فقد كان جوابه للملك الذي أراد ان يسند اليه مركزا هاما في مملكته :

« اجعلني على خزائن الارض ، اني حفيظ عليهم» (12 ، 55) .

وموسى الكليم ، الم يعمل في خدمة شيخ، اصبح فيما بعد صهره ؟ قال الشيخ :

« اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين ، على ان تاجرني ثماني حجج .

فان اتممت عشرا فمن عندك .

وما اريد أن اشق عليك .

---

7) انظر : H. Bartoli, **La notion du travail** et J. Lacroix, **Vers une civilisation du travail.**
نشر هذان المقالان في مجلة Les cahiers universitaires رقم 7 – مايو 1952 .
انظر كذلك العدد الخاص من مجلة Esprit حول **الانسان والعمل** ، يوليو 1939 ، ثم الفصل الذي كتبه جان لاكروا عن **الشخص والعمل** ، ص 83الى 127 في كتابه **الشخص والحب**، باريس – 1355.

ستجدني ، ان شاء الله من الصالحين .

قــال :

ذلك بيني وبينك ، أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي . والله على ما نقول وكيل (28 : 27 – 28) .

ويروي البخاري حديثا هو اكبر صفعة للطفيليين والتطفل ، والمشعوذين والشعوذة :

« ما اكل احد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده»

والنبي محمد نفسه ، الم يكن ، هو ايضا ، راعيا ثم ملحقا في الرحلات التجارية لخديجة ؟

ان العمل ، باعتباره نشاطا مجتمعيا ، يفرض المسؤولية الفردية ، فكل واحد مسؤول امام الله عما يصدر منه ، لا عما يصدر عن الاخرين :

« اولم ينبأ بما في صحف موسى ، وابراهيم الذي وفى: الا تزر وازرة وزر اخرى؟»، (قرءان، 4، 6:16) كذلك العمال ، فانهم لا يسألون عن الاخطاء التي تقع دون مشاركتهـــم .

* * *

طبعا ، يجب ان نعطي لمفهوم « عمل » المدلول العادي : مهنة ، حرفة ، وبعبارة أعم : القيام بجهود ، رغبة تحقيق ما تدعو له ضروريات الحيـاه في نطاق القوانين المشروعة . اما « الخدمة » التقنية ، اتباعا لبنيات التصنيع والاقتصاد المعاصر ، داخل نظم محكمة للانتاج والاستهلاك والتوزيع ، فـذاك مفهـوم جديد لم يتضح حتى في ذهنيات الكثير من معاصرينا ، فبالأحرى في اسلام القرن الاول للهجـرة . فالمفهـوم الحقيقي لـ «شغل» و«عمل»، في الاسلام هو ما ابرزه الصحابي المهاجر عبد الرحمن بن عوف ، في عبارتـه التاريخية : « دلونـي على السـوق ! » . في صحيـح البخاري ان عبد الرحمن دخل المدينة فآخـى النبـي بينه وبين احد الاغنياء الكبار ، هو سعد بن الربيـع الانصاري ، فعرض عليه هذا الاخير : « اقاسمك مالي نصفين وأزوجك » ، فرد عبد الرحمن : « بارك الله لك في اهلك ومالك ! دلوني على السوق ! » .

* * *

العمل يكيف الانسان ويجعل منه صانعا للتاريخ ومسيطرا على الكون ، من هنا يعتبر ، العمـل خالقـا للحضارة ، أو على الاقل ، موجدا لشروط قيام مدنية انسانية . واذا كان الغرب قد استطاع تصنيع كثيـر من الاقطار ، عن طريق العمل الخام ، فانه يتحتم الان « تمدين » ، جميع الشعوب عن طريـق بنايات للعمـل تتوفر فيها شروط الترقية الانسانية . يتطلب انجاز هذا المشروع وضع العمل والصناعـة في مكانهمـا الحقيقي ، باعتبارهمـا وسيلتيـن لتحقيق غايـة تتجاوزهما . يفرض هـذا على مفكـري عصرنـا ان يصهروا بين ذهنيتنا واوضاع الواقع الجديـد الـذي انصهرنا فيه تاريخيا ، فمقومات واقع القرن العشرين، من صناعة واقتصاد ومبادلات ثقافيـة واقتصاديـة واتصالات بشرية ، قد خلق مقولات خاصة به ، بيـد انها لم تفز بعد ذهنياتنا لتكييـف سلوكنـا وفقا لما جرياتها . عند ما يصيب المخاض الفلسفة الحديثة ، فتلد ذهنية تجاري تطورات هذا القرن الجبار، اذذاك تتضح معالم الهدف الذي يجب أن تحققه حضارة اليوم. تحرير مجموع البشر بالسيطـرة على الطبيعـة ، في ضمان النمو الكامل للانسانية ، ماديا ، وثقافيا ومعنويا.

* * *

هل الطريق معبد للسير نحو تلك الغاية ؟

لا ونعـــم :

اولا : **لا** ، لاننا نشاهد تناقضـات فاحشـة ، مفجعة لم يتمكن بعد اي نسق فكري من التغلب عليها ومن ايقاف تيار الخوف الذي يزعزع عالمنا . فالى حد الساعة ، ما زالت المصاريف العسكرية ترتفع . ففي عام 1962 ، بلغت ازيد من 120 مليـارا من الـدولار ! مما يزيد في فظاعـة هذا العبـث أن اكثـر من نصـف الانسانية تعيش في فاقة فاحشة مفجعة ! وفي الوقـت الذي يصرح جميع المسؤولين عن التعليم ، بمجموع القارات ، أن عدد المعلميـن بالمـدارس الابتدائيـة والثانوية والمعاهد العليا ضئيل ، وضئيل جدا ، وفي الوقت الذي تدلنا الاحصائيات الرسمية على ان الاميين بالعالم يمثلون الاكثرية الساحقة ، ترى 70 مليونا من الناس يستخدمون في صناعة اسلحة التدمير ! . .

فنظرة جديدة للعلم ، واتجاه جديد للفلسفـة ، ومبادىء جديدة للاخلاق ، حاجـات ملحـة ، اذا تـم تحقيقها ، امكننا أن نقول بأن الطريق حق معبد لتحرير الانسانية وانشاء حضارة مثلى . فالامـر لا يتعلـق

باصلاح عادات واعراف ، ولكن بتغيير جذري لنظرتنا للكون ، وهذا يستلزم خلق ذهنية قديرة على ايجاد هذه النظرية ومسايرة تطورها . فطرف تفكيرنا واتجاهاتنا الفكرولوجية لم تعد من واقع حياة اليوم في مراحلها الزاحفة . ان مسايرة الحضارة تبدأ من الداخل ، كالحرية بالنسبة للمستعبدين يبدأ اشعاعها اولا في نفوسهم ، والا ما كان تحرر مطلقا :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »
(قرءان ، 13 : 11) .

مفكرو هذا النصف الثاني من القرن العشرين مطالبون ، ببالغ الالحاح ، بأن يتصدوا لأصعب عملية ثقافية وتربوية ، لاكبر مهمة تاريخية : ان يبدلوا ما بالنفس المعاصرة وان ينتاشوا الذهنية فيشردوا مقولاتها القديمة شذر مذر ليركزوها على اسس اخرى . ذاك هو « الجهاد الاكبر (8) » الذي يمكنه وحده ان ينتصر على الحرب ، وصراع الطبقات ، وشره التملك ، ووثنية القوة :

« فأما الزبد فيذهب جفاء ،
واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »
(قرآن 13 : 17) .

* * *

الصناعة ، والعلم ، وكل المكتسبات ، ليست غاية في ذاتها ، فمن رذائل التفكير ان يدعي اليوم بعضهم : « الفن للفن » و « الثقافة للثقافة » ! ان المعرفة ليست عمل ـ في ـ ذاته ، بل وسيلة ـ لعمل من اجل ترقية النوع البشري ، ولم تكن ، ولن تكون الثقافة الحق تعبدا ، لانها اذا لم تلتزم بخدمة الانسانية ، اصابها مسخ ، وبرزت غير سوية في قميص شفاف ، قميص النرجسية الواهي .

لقد وفق (دنييل هليفي) في صدق التعبير ، عن قلق معاصرينا ، ازاء ما جريات العلم الحديث ، وذلك في الربع الاول من هذا القرن ناشد (هليفي) العلماء ، قائلا على لسان الحرفيين ، والعمال ، وعامة الناس :

« يا رجال العلم ! اكرموا اخوانكم ، واعترفوا لهم بمجهوداتهم ! واننا سننضم اليكم لنصنع صنيعكم . لكن لا تمسخونا ، لا تجعلوا منا مجرد آلات صماء ومن حياتنا عبثا ! . . لا تجردونا من التفكير ! لا تنزعوا منا ، ابدا ، شرعية مليكتنا للتراث العلمي العالمي الذي تخلفه وتنميه ونتوارثه ، جيلا عن جيل ، في صمت ، ودون أن يعلم بذلك أصحاب السلطة ، او تفطنوا ، انتم انفسكم ، انها مهمتنا التي استمررنا في القيام بها ، منذ ان وجدت المهن على وجه البسيطة .

اتركوا ، يا من لكم ثروة طائلة ، لكل واحد نصيبه من الخيرات ، وحينئذ يمكنكم ان تعتمدوا على اعترافنا وموافقتنا لكم » (9) .

* * *

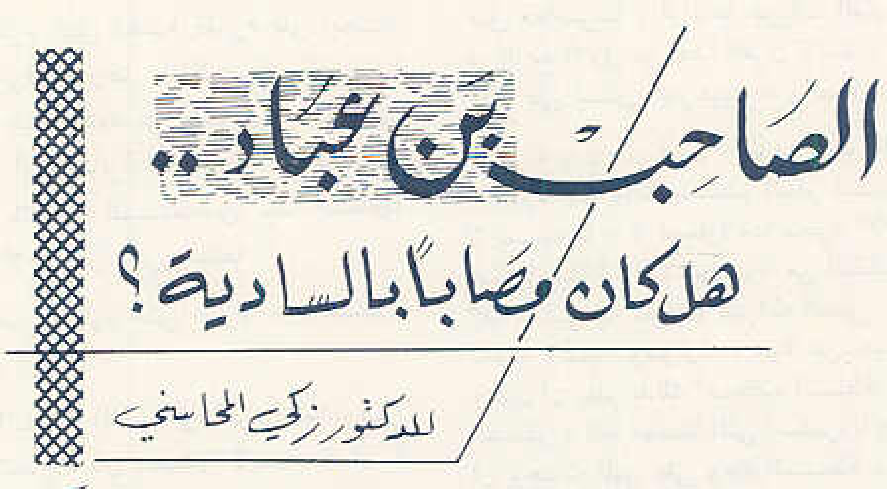
يقاس التقدم التقني الحقيقي بما يوفره من اوقات الفراغ لا بما يتطلبه من اوقات للعمل . ذلك انه ، اذا كان يتحتم العمل وتوسيع نطاق الصناعة ، فان الحياة ، تتطلب ايضا وقتا فارغا لاعطاء العمل محتوى انسانيا ولاتاحة الفرصة لكل واحد منا بأن يشخص وجوده ، اننا وان كنا جزءا من الطبيعة ، فنحن في صراع مستمر معها من اجل أن نفهمها : نرفضها ، في شكلها الخام اللامبالي برغائبنا عسانا ندمجها في ذواتنا ونصنع منها ، الى حد ما ، طبيعتنا .

الامر يتعلق ، كما اتضح ، بجعل العمل ملائما لاستعداد الشخص ، كيما توجد حضارة توفر امكانيات المسرات للجميع وتضمن شروط تشخيص محرر .

الجزائر : محمد عزيز الحبابي

8) قال نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقد رجعوا من حرب ظافرة : « رجعنا من الجهاد الاصغر ، الى الجهاد الاكبر ، جهاد النفس » .

9) Daniel Halévy في المقدمة التي كتبها Mémoires d'un compagnon, Cahiers du Centre, 1914.



« مهداة الى الصديق القديم أديب المغرب عبد الله كنون »

« داء السادية » منسوب الى المركيز « دوساد » وكان كاتبا فرنسيا ولد بباريس سنة 1840 وغادر الدنيا سنة 1913 ، الف روايات جعل شخوصها يظهرون بمظاهر الشهوات العارمة ويعذبون بالجلد النفوس البريئة ، وهذه النزعة المنحرفة تسمى بالتعبير المذهبي (Sadisme)

وغلا هذا الداء واستشرى في الاوساط «الافرودية» حتى هدم جوانب من الاخلاق المعاصرة وعده علماء النفس شذوذا وبيلا .

وما كان علي من حرج في ان انقل هذا الداء من حيز في دنيا النفس الى حيز آخر فرحت اسمي « بالسادية الادبية » من ظهرت في طباعة مظاهر هذا الداء وهو الجلد والضرب وتعذيب النفوس البريئة ، ولقد يكون الجلد والضرب بل الطعن معنويا لا يجاوز الامور المادية والملموسة ، انما كان امرؤ القيس يقول :

« وجرح اللسان كجرح اليد »

ووجدت تلقائي في دراسة من دراساتي الادبية وجها لوجه (ابا حيان التوحيدي) الكاتب العظيم الذي كان قد وقع ضحية للسادية حين امعن في جلده الصاحب ابن عباد اديب العجم وكاتبها الذي كان يفتن الافانين في قهر الادباء والشعراء وفي ردهم على اعقابهم خاسرين ، بعد ان يقفوا ببابه اياما ، وقد اتوا من بلاد بعيدة يخفقون اليه آباط الابل ـ كما يقول التعبير العربي القديم ـ حتى يصلوا اليه فيردهم مقهورين .

ولقد تولى الصاحب لبني بويه في بلاده زمنا مديدا في القرن الرابع للهجرة واستطاع ان يعزل من يشاء وان يولي من اراد ، حتى انه حين كان وزيرا لمؤيد الدولة البويهي نصب اخاه مكان فخر الدولة بعد موته سنة 373 للهجرة .

وكان ذا نفوذ وزاري مكنه من التمرس بآفات السياسة ومقاليدها ، اما في دنيا الاب فانه تخرج على ادب استاذه ابن العميد وزير البويهيين المشهور ، وقد اعجب به ابن العميد وراى فيه مخايل النبوغ المبكر فقربه اليه بكتابة الصكوك والرسائل ورئاسة ديوان الاوراق ، ثم اصبح قائدا او اميرا ومديرا لشؤون الدولة ، ثم صعد الى سدة الوزارة ، وعلت منزلته وانتفخت حاله حتى وقف ببابه القواد والحكام ، ومن يؤذن له بالدخول عليه يظن انه قد بلغ الآمال ونال الفوز بالدنيا والآخرة وقد وصف « ياقوت » في معجم الادباء تلك الابهة الوزارية التي كان يموج فيها الصاحب ابن عباد حتى قال : « فاذا حصل في داره من اذن له بالدخول الى مجلسه امتلأ فرحا ومسرة ونال شرفا وتعظيما ، فاذا توسط المجلس وقد جلس فيه على الارائك الحضور قبل الارض بين يدى الصاحب ثلاث مرات ، ثم يقبل الارض مثل ذلك ثلاث مرات عند انصرافه وما كان الصاحب بن عباد ينهض بالتسليم لأحد » ، ولما توفيت امه هب اعوانه الى تعزيته حفاة حسر الرؤوس ، كما يقول ياقوت ايضا .

أما مجالس ادبه التي ظهر عليه فيها « داء السادية الادبية » الذي يكون « المحاسني » في تاريخ الادب والدراسات الحديثة اول من اكتشفه فيه ، وتكلم عليه ، فقد تجلى في حلقات الادب التي كان يعقدها بمجلسه بمدينة الري ، فانه حين يرى ازدحام الادباء ببابه ، والحجاب يواعدونهم الدخول عليه والمثول بين يديه ينتهي اليه خبرهم واسماؤهم بواسطة حجاب من ابن اقبلوا عليه منتجعين وطالبين لعطاياه التي كان يبذلها رياءا وفي غير جود صريح ، فياخذ بنظم البيت والبيتين مكدد الخاطر معملا ذهنه، فيجعل في ذهنه من نظمه الركيك بيتين في وصف البدر او الشجاع وثلاثة ابيات في وصف العاشق المعمود وبيتا واحدا في تمثيل الخال على وجه الحسناء او يقول في المطر او الزهر او التطريب والبساتين . ويحفظ هذه الابيات عن ظهر قلب ثم يأذن بدخول طائفة من الشعراء ، فبعد ان يستقر بهم المجلس ، وهو على عرش رفيع ، قد جثم بابهة سلطانه ، يلتفت الى احد الشعراء ويقول له :

— انت اعمل بيتين في وصف القمر ليلة تمامه ، ويدير وجهه الى شاعر آخر وينبذه بهذه العبارة :

— وانت اصنع ثلاثة ابيات في وصف العاشق الذي هده العشق .

ثم يدير وجهه يتفرس الاخرين ويوزع عليهم ما يقترح نظمه من الشعر بالاوصاف التي اعدها .

فيجعل هؤلاء الشعراء المحرومون أيديهم على لحاهم ويفركون غذانينهم ثم يقول الواحد منهم على البديهة ما جادت به قريحته من جمال المعنى ومكين اللفظ ، فاذا سمع الصاحب انشاده جعل يتأفف ويظهر الامتعاض ، ثم يقول للواحد منهم بعد الانشاد:

— انك لم تحسن قولا ولا اصبت معنى . فاسمع ما اقول في وصف ذلك .

ثم ينطلق الصاحب (وهو الاديب المخادع) فينشد تلك الابيات التي كان اعدها وحفظها بسره ويتظاهر بالارتجال والبديهة وقد بلغ مراده في قهر الشاعر ، فيقول له :

— لو صنعت شعرا كشعري هذا لاتيت على ما في نفسي ، ثم يتم تمثيليته الفاجعة للشعراء الاخرين وينهض اكثرهم من مجلسه بغير جائزة بنهوضه وهو فرح بذلك يعد نفسه قد ظفر بتوزيع القهر على هؤلاء الادباء والشعراء .

واحسب ان صيت كرمه الزائف قد بلغ الناسخ الفقير الكاتب المجلي الموهوب (ابا حيان التوحيدي) وكانت الوراقة ببغداد عملا له يسلخ الايام والليالي في سبيل كتابة مخطوط وكان خطه جميلا يتأنق في تسطيره ، فاذا فرغ من نقل المخطوط الذي امامه الى الطروس التي بين يديه نقده صاحب المطلب نقودا زهيدة يقيم بها اوده .

وراوده الخاطر اللماح ، واكاد اسميه (خاطر السراب) ان يشد الرحال الى الري والاهواز فيأتي الصاحب بن عباد ويمدحه ويؤلف فيه كتابا ينال منه عليه مالا يرتد به غنيا فيستريح من صناعة الخط وكتابة الكتب للناس ، واحسب انه استدان أجرة السفرة البعيدة التي كانت الخيول تجتازها في تلك الاسفار حتى وصل الى الري ، ونزل بباب الصاحب، فعرف به بن عباد من حجبه الذين كانوا يدلقون اليه — بتقارير — على نحو ما تسمى في عصرنا — عن كل اديب او شاعر او فيلسوف يحل ببابه .

وكان يعرف ان ابا حيان اصبح احد كتاب العصر متانة تعبير ولهجة قول وحدة لسان فأوما الى الحاجب ان يطرحه ببابه اياما حتى اذا كاد ييأس ادخله بأمره عليه .

وكان (ابو حيان) قد امتلأ فؤاده املا واشرقت نفسه قبل الدخول عليه ، ثم لم تلبث هذه النفس البريئة ان تقبضت حين نبذ الصاحب صاحبها بقوله : وقد نهض المسكين لمدحه بخطبة اعدها .

— ما لهذا اذنت لك بالمثول في مجلسي ، خذ هذا المخطوط وانسخه .

فرفع (ابو حيان التوحيدي) واسميه (الكاتب المظلوم) عينيه الى الصاحب حسيرتين وادرك بلحظة واحدة انه خسر سفرته عند هذا الجبار العنيد ، فقال له :

— ايها الامير ، ما لهذا قدمت عليك ، ولقد كانت الوراقة موفورة لي ببغداد .

— انهض وخذ هذا المخطوط واشتغل عليه .

وبذلك اخرج الصاحب الكاتب « ابا حيان » من مجلسه مقهورا يتعثر بالخيبة وضيعة الامل المعسول، الذي استحال في حلقه الى مثل مرارة الموت .

يقول (ابو حيان) فسلخت الايام والليالي وانا انقل الكتاب حتى كادت تتقرح اصابعي لمتنه وضخامته وذلك في الليل على ضوء السراج الخافت حتى كاد بصري يذهب .

وقصد الصاحب يوما المرور بأبي حيان وقد جلس الكاتب المظلوم القرفصاء وامامه الدواة وقد تلطخت اصابعه بالمداد ، وعلا وجهه الهزال من الحزن، فلما راى الصاحب قادما نحوه نهض الحال تكريما له وسلاما عليه .

لكن الصاحب رماه بنظرة شزراء وهو يجتاز به، فى غير اكتراث ، وقال له :

— اجلس ، مثلك لا ينهض لمثلنا .

فجلس ابو حيان ، واحسب انه قد احس ساعتئذ بطعنه نجلاء تخترق فؤاده .

فأزمع رحيلا وطرح للصاحب مخطوطه دون ان ينال عليه اجرا ، وكان الاتفاق قد جرى سرا فى قهره بين الصاحب واستاذه ابن العميد ، فلم يجد ابو حيان عند الاستاذ الا العلقم الذي وجده عند التلميذ ، فعاد من حيث أتى — بخفي حنين — كما يقول المثل العربي فى الخيبة والخسران . لكنه لم يكد يعود الى بغداد حتى سن سنان قلمه وجلس جلسته المكينة فى بيته المسكين واخذ يحبر طوال الليل والنهار والشهور كتابا جديدا من كتبه الرائعات ، وحين استتم تاليفه سماه (مثالب الوزيرين) (1) وحشر فى هذا الكتاب الضخم فضائح العلم والادب والخلق التى ابتلي بها الصاحب بن عباد ومثالب الاخلاق والشهوات التي عرفها الناس فى الصاحب والطمع والاثرة والفضول مما كان يملأ قلب الصاحب حتى شرحه تشريح الجثث وجلده بالحديد بعد جلده الناس بسياط القهر والمظالم وكان ابو حيان فى كل كلامه منتقما متشفيا ثار لكرامته مدى مسيرة الزمان ، وقد تناول ابن العميد بمثل ذلك .

وانني اليوم وانا اكتب هذا الفصل لمجلة (دعوة الحق) الموفقة الراقية ، اعد نفسي قد شفيت غلة اسفي على ابي حيان وقد صادقته كما اراد في كتابه (الصداقة والصديق) واعترفت بفضله وادبه وقررت اسلوبه وبراعة فكره وانشائه للطلبة فى الجامعات التي عملت بها وثبت فى بعض كتبي ذكره في محامد ادبه الخالد وحين نقدت استاذي ثم صديقي الدكتور عبد الوهاب عزام (1) وقد شاركه فى هذا التاليف اخي الدكتور شوقي ضيف سنة 1947 قسميا كتابهما فيه (رسائل الصاحب بن عباد) اخذت اقول لهمـا .

— انكما لم تذكرا الروح الشيطانية الناقمة على الادباء ، التي كانت تسكن جسد الصاحب واكتفيتما برسائله . التي اصابت البيان العربي السليم بالكلفة والصناعة اللفظية ولم تتعرضا لذلك بنقد او تجريح فكان نثره ونثر صاحبه ابن العميد واضرابهما من العجم يومذاك فكانت وبالا على النثر العربي (2) .

واجتاز الشاعر الاعظم ابو الطيب المتنبي فى ارض الصاحب بن عباد وهو ذاهب الى ابن العميد ومليك العجم فارسل اليه الصاحب ان يمدحه وعرض عليه شطر ما له فقال لرسوله .

— انا لا امدح الا الملوك .

ووقع الصاحب بالحسد لابي الطيب وبالكيد له فالف فيه كتابا بمثالبه وكاد يموت غيظا حين سمع امدوحة الشاعر العربي الخالد فى الملك عضد الدولة البويهـي .

وقد رايـت الملـوك قاطبـة
وسرت حتى رايـت مولاهـا

ابا شجاع بفارس عضد الدولـة
فنـا خسـرو شهنشـاهـا

وماتت للصاحب قريبة عزيزة عليه فمر به صحبه معزين وكان اكثرهم يستشهد وهو يعزيه ببيت من أبيات ابي الطيب فى الرثاء حتى راح يقول :

---

1) ينظر فى كتاب الدكتور زكي المحاسني الجديد (عبد الوهاب عزام فى حياته وآثاره الادبية) وهو محاضرات سنة 1968 القاها الدكتور على طلبة قسم الادب العربي فى معهد البحوث والدراسة العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة .فى هذا الكتاب فصل يتناول هذه الحادثة بتحليل كتاب مثالب الوزيرين (دعوة الحق) .

2) سأكتب لمجلة (دعوة الحق) الغراء مقالا اقرر فيه ما افسده كتاب العجم فى حياة النثر العربي وما ادخلوه عليه من الركالة والصناعة اللفظية والسجع المقيت (المحاسني) .

ان شعر ابي الطيب كان اقسى عليه من سطوة الموت الذي نزل بعزيزته :

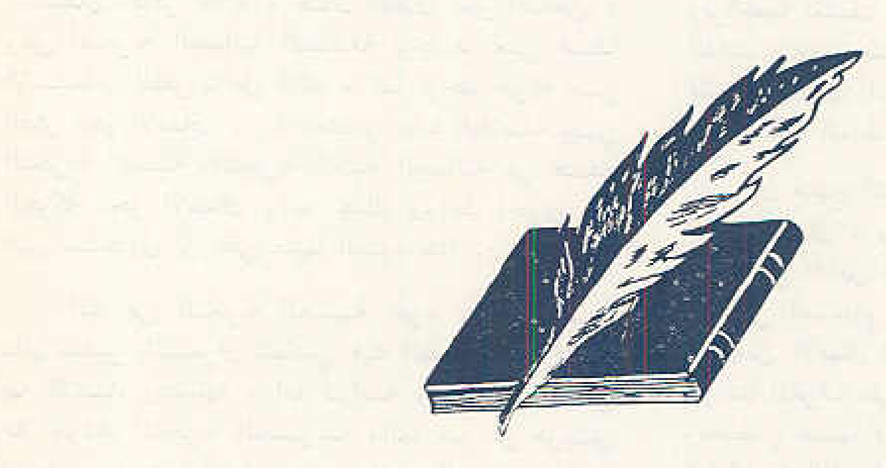
وقد استطاع احد الشعراء المنتقمين المقهورين انيهجوه بقوله :

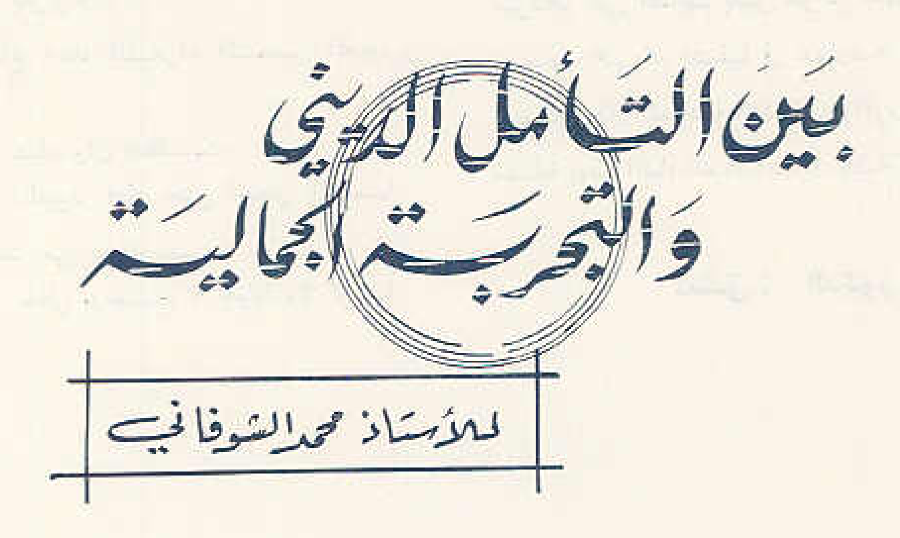
لا تمدحن ابن عباد وان هطلت
بالجود كفاه حتى اخجل الديما

فانها خطرات من وساوسه
يعطي ويمنع لا جودا ولا كرما

كذلك كان يسيء الى الادباء والشعراء واهل الفكر فيردهم على اعقابهم بغير جوائز مقهورين ويعذب فيهم نفوسهم البريئة تشفيا فى ممارسة داء نفسي فيه اسميه (داء السادية الادبية) واقرر بأن الصاحب كان مصابا بهذا الداء العياء اصابة وبلية .

دمشق : **الدكتور زكي المحاسني**





ان العلاقة بين التجربة الدينية والتجربة الجمالية علاقة صميمة وان كان ذلك لا يبدو بسهولة للناظر العجلان ، ففي التجربة الدينية هناك عملية استبطان الفكر لذاته ، هناك انطلاق نحو الداخل ، وفي التجربة الجمالية الصادقة يوجد نفس هذا الاستبطان للفكر داخل ذاته ، كما توجد حركة من الفكر نحو الاعماق . ولا تقتصر هذه العلاقة بين التجربة الدينية والتجربة الفنية الجمالية عن هذه الحركة نحو الاعماق وانما هناك روابط اخرى هي التي سنحاول أن نلقي عليها الضوء هنا .

اننا في التجربة الحسية نقوم بانفتاح نحو عالم متغير باستمرار تنعكس فيه الطريقة التي نتلقى بها الاشياء ونتقبلها ، اما دراسة وجودنا الباطني فلا تقودها التجربة المحسوسة وانما تتم عن طريق التامل . فعندما نتامل تجربتنا نتجه الى ما هو ابعد من الوصف المحض للواقع الذي نعيشه دون ان نغفل النظر الى هذا الواقع . فالتأمل ينطلق من الوصف البسيط للتجربة المعاشة ويعود في النهاية الى ذلك الواقع في حركة مغنية وموضحة له . ويتجه الفكر نحو ذاته مجاهدا للقبض على طبيعته . فالتحليل التأملي اذن يعزز التجربة المحسوسة ويعمقها ويكشف دلالتها الحقيقية ومحتواها بدل ان يفصلنا عنها، كما يظهر لنا التأمل ان التجربة المباشرة في مظاهرها اكثر تميزا وتحددا تكتسب دلالتها فقط من علاقتها مع الذات ، وهكذا يتم تاسيس علاقات بين انماط تجربتنا المختلفة ان تجربتنا متكاملة وهي عادة لا تعرب عن نفسها في شكل مجزء اوغير متماسك، وان حياتنا الباطنية حركة مستمرة تجاه الذات وتقدم هذه الحركة وتراجعها يكشف في النهاية ما هو حقيقي في الذات ، ومن هنا تطرح على التجربة الانسانية مهمة فلسفية غايتها استعادة التوافق والانسجام الكامنين في مختلف انماط التجربة .

ان منهج التامل يسوقنا الى القبض على مفهوم الفن والجمال ، ويجب ان يطلعنا كيف تتوافق عملية الخلق مع التامل في مشروع واحد . فالفن يبني عالما في انسجام وحرية ، والفرحة التي نخرج بها من تأمل الاعمال الفنية انما هي فرحة التعرف ، ان حريتنا تتعرف على ذاتها في العمل الفني ومن خلاله وتحتضن نفسها في علاقاتها مع عالم جديد الخلق ، كما ان خيالنا وقد تحرر من عقاله يثبت ذاته في تلقائية خلاقة ويجد نفسه في كون مصنوع على صورته . ان فهمنا للعمل الفني معناه اننا قد وجدنا الطريق نحو ذلك الكائن الذي يبحث عن نفسه من خلال ذلك العمل ، اي اننا واصلون اليه ، كما ان تامل الفنان لعمله الفني وانجازه له هو تعبير عن وعيه الكامل بذاته ، فالعمل الفني يكشف عن المشروع الذي يضعه الفنان والذي ينشيء الفكر الانساني ذاته من خلاله .

ان الفن اسمى طرق التعبير وهو اعادة خلق للاشياء في سياق له دلالة شخصية وخصوصية ،

ومجهود الفن في البحث عن طرق متعددة للتعبير لا علاقة له بترجمة العواطف الموجودة سابقا ، لان العمل الفني قبل كل شيء تحرير من الاستغراق في الاشياء استغراقا مباشرا ومحسوسا وبحث عن انماط جديدة في التعبير ، فهنا ينشد الفكر الانساني تحرير نفسه من كل ما هو متلاش ومصطنع، انه ينشد الكشف عن نفسه من خلال تجربة الامتلاء والتلقائية ، كما انه يصارع لتحرير نفسه من ربقة الحياة اليومية ، من روتينها ومن عرضيتها . واذا بدت بعض الاعمال الفنية فارغة المحتوى فلانه ينقصها نفس روحي ولانها تفشل في تجنيد هذا النمط من الحرية الذي هو امتلاك كامل للذات .

ان الفن ليس مجرد انجاز لبعض القيم التي يمكن ان توجد سابقة على العمل الفني والتي تسعى الى التعبير عن نفسها من خلال ذلك العمل كما انه ليس مجرد انعكاس لبعض حالات الوعي في حدته ، وان نشوة العمل الفني تصدر عن حرية تغزو لتفرض ذاتها من خلال ذلك العمل وتجددها باستمرار . فبالتأمل نصل الى دلالة الفن وبه نصل الى صميم التجربة الجمالية . واحدى الصعوبات التي تعترضنا في استكشاف التأمل هو الاعتقاد بان التأمل يعارض الفعل ويناقضه ، وبدلا من ان نعتبره يعارض الفعل يجب ان ننظر اليه وكانه فعل من نمط سام غير مشكوك في فعليته، فلا يقتصر الفعل على بناء شيء ، انه يعني ايضا نوعا من التلقي. ويمكن ان نقول بحق ان الفكر التأملي هو اكثر حركة، فرغم ان التأمل يتطلب منا ان نغفل بعض انواع الفعل، فان الباعث على الفعل يجب البحث عنه في اعماق الحياة الروحية ، ان التأمل في حركة المتعالية يمتد بنا الى ما وراء عالم الموضوعات المحسوسة ويعلن عن نفسه كحضور محض، ولا يمكن ان نتحدث عن سلبية التأمل في هذا المضمار الا اذا اعطينا لهذه الكلمة دلالة اعمق ، فلكي يكتسب التأمل هذه السلبية يجب ان نتخلى اطلاقا عن سلبية اللا فعل ، لانهما هنا ليستا من طبيعة واحدة .

اننا خلال تحليلنا للتأمل الجمالي نلتقي دائما بتجربة الفرح والهدوء ، لان الوعي تسره الموضوعات، يطمئن اليها ويثبتها ، ويمكن ان نقول بانه يكون حرا بمقدار ما يملك ذاته في تلقائية قابلة على ان تشمل ذاتها ، ان الوعي ينظر الى موضوع ويتقدم نحوه في حركة تكون نهايتها التعرف على الجميل ،

فالجمال هو المبدا الذي يجذبنا نحو الموضوع الفني فالجمال هو تجل للكمال ، لسمو يفرض علينا الا نسال الموضوع اي شيء الا ان يكون ذاته ، لا نسأله الا ان تكون كينونته مجمعة في وجوده لها طابعها الذي هو الامتلاء واللا نهاية . ان التأمل الفني حركة سير الى الوراء ، وهو في نفس الوقت انجاز لتجربة محسوسة لا ندعي انها تسحب انتباهنا من الواقع المحسوس بل بالعكس نحن في التأمل نعود الى الواقع المحسوس برؤيا مجددة ، اننا ننتقل الى ما هو ابعد من الموضوع وفي نفس الوقت نبقى حاضرين معه بشكل يصبح معه انتباهنا حركة ايقاعية ذهابا وايابا، ويصبح معلوما لدينا دلالة الموضوع وقيمته ، وفي هذا الادراك الثنائي يوجد المنبع الذي يوحد الروحي بالمحسوس اللا مادي بالمادي ، فالموضوعات الجميلة تساهم من خلال محسوسيتها في استقرار رؤيتها وصمودها ، ان الجمال هو دائما مقترح وليس معطى ولا يمكن مطلقا ان يصبح الجمال موضوعا للامتلاك المباشر الفوري، انه يبلغ الينا في جعل التأمل كما لو كان يعاد خلقه ، ولكي نبلغ نحن الى الجمال لا نحتاج الى اكثر من ان نجمع انتباهنا ونتفتح على دعوة الجمال، ان الجمال لا يقدم لنا فائدة ولا يخدم لنا مصلحة ، انه يهبنا الفرح الروحي ويسمو بنا الى ما هو ابعد من انفسنا . ولهذا كان انسبه ما يكون بالتجربة الدينية، والتأمل هو الخيط الرابط بين المجالين. فبالتأمل نستطيع ادراك التجربة الدينية ، ومهمة التأمل هنا هي استكشاف ديناميتنا الروحية والبلوغ الى الطبيعة الخالصة لهذه الدينامية ، والحديث عن حياتنا الروحية هو الحديث عن الخط الذي يسير فيه وعينا نفسه، ثم ان التجربة الدينية لا تنفصل عن السياق الكلي لحياتنا ، انها منخرطة في حركة التقدم الكلي للفكر ، هاته الحركة التي تنحي عن الفكر كل ما يمكن ان يشوب صفاءه ، وان تقدم الفكر نحو العالم ليس فقط مجموع فتوحاته ومجموع نتائجه المحسوسة ، ما دام الفكر هو ذاته لا مكتملا ابدا ، انه يبغي اثباتا لذاته اكثر صفاء وأبعد مما يمكن انجازه عبر انفتاحه ، ان الفكر وهو قطب الحياة الروحية ينشد تحقيق وجود وقد نفذت اليه نفاذا كليا الحقيقة والقيمة ، ودور التأمل هو القاء الضوء على تقدم الحياة الروحية لا ان يحصى النتائج المحسوسة التي تتبع هذا التقدم فحسب ، وعندما يسير التأمل حسب هذا النهج ، فانه ينزع الغطاء عن صميم كينونتنا ، عن توقع مستمر وانتظار لا نهاية

له ، ويجب الا ننظر الى هذا الانتظار وكأنه مجرد عنصر من عناصر الفكر او كشيء مفروض على حياتنا من الخارج ، فهذا التوقع المنتظر هو نفسه حياة الروح ، فنحن ندرك وجودنا فينا حتى وان لم نلق بالا الى مصيرنا .

ان التأمل الديني بطبعه وعي أبعد من العالم المحسوس ، ان الوعي الذي للتأمل الديني وعي بتجربة التآلف الحي مع شيء يجلى نفسه ابعد من الادراك المحسوس المباشر للعالم ، ان حركة التأمل الروحية تعلي من وضعية الاعتماد على العالم للغدو شيئا واحدا مع العالم ، نستبطن العالم ويستبطننا ، نحل في العالم ويحل فينا ، لانه عالمنا نقبله ولا نرفضه ، وقبولنا هو تعبير عن رضانا الروحي ، فالتجربة الدينية تسوقنا الى تطهير الفعل من ضلال الانانية ومن كل رغبة في الامتلاك الا امتلاك الذات ، تسوقنا نحو حالة من الانفتاح والتركيز والاخلاص .

فهل نحن بعيدون عن التجربة الجمالية ؟ انه بامكاننا الان ان نفهم العلاقة بين التجربتين فهما أعمق، فالتجربة الجمالية تشمل منذ البداية مضمون التجربة الدينية ، بل ان التجربة الجمالية تمهد الطريق لشيء يعليها وبهذا تشعرنا بحلول نظام جديد بداخلنا ، ان تأمل الجميل يشكل بداية للحياة الدينية .

ان الحياة الروحية هي الطريق الحقيقي لملاحقة الحرية ، وهذه الملاحقة التي تصبح فيها الروح شفافة لذاتها تحدث في مراحل متتابعة ، والطريق الجمالي نحو الحياة هو احدى هذه المراحل في ملاحقة الحرية التي تجد مفهومها العميق في احضان الدين ، فالحرية تتداخل مع الحياة الروحية كما تمتزج بارادة الخلق الفني ، والمتصوف كالفنان لا تحدهما قيود الا أن يتأملا موضوعهما بارادة الاستغراق فيه .

الرباط : محمد الشوفاني



يعرف جمهورنا القاريء « يحيى حقي » اديبا واعيا ، استطاع بذكاء ان يصبح علما من اعلام الفن والادب فى حياتنا الثقافية المعاصرة ، وذلك عن طريق اسهاماته المتنوعة فى الميدان الروائي ، والنقد الادبي ، والانطباعات الذاتية الخاصة ، واللمحات الذكية المنتخبة من الواقع اليومي للناس البسطاء والعاديين ، وكذلك بآثاره فى القصة القصيرة ، والسيرة الذاتية .. فقد ترك فى كل لون من هذه الالوان اثرا أو اثرين ، تمكن بها ان يفرض اسمه على الدراسات والابحاث التى تتعرض لكل ميدان من هذه الميادين على حدة .. فنجد له فى مكتبتنا العربية « قنديل أم هاشم » ، « البوسطجي » ، « خطوات فى النقد » ، « فجر القصة المصرية » ، « صح النوم » ، « عنتر وجوليت » ثم «دماء وطين»، « ام العواجز » و « خليها على الله » .

واذا كان قراؤنا بعامة يربطون دائما بين «يحيى حقي» و«قنديل أم هاشم» ، فانهم يكادون يجهلون تماما فترة زمنية خصبة فى اول حياته الفنية ، عالج فيها الكتابة فى فن القصة القصيرة بشغف ، وثقافة ، واطلاع على نماذج لهذا الفن عند علم من اعلامه فى امريكا « ادجار آلن بو » .. وليت الامر وقف عند هذا الحد ، بل ان «يحيى حقي» نفسه قليلا ما يشير الى هذه الفترة ، وان اضطر الى ذكرها فانما يكون ذلك ابان عرضه السريع والخاطف لذكرياته الادبية ، وكأن ما انتجه فى تلك الحقبة من قصص قصار اصبحت شيئا من الذكرى .. فهو ينظر اليها على انها تعد بمثابة المحاولات الاولى لشاب يخطو نحو الفن القصصي .. لذا فانه لم يفكر فى جمع هذه القصص المتناثرة فى الصحف والمجلات القديمة ، ثم يعمل على اعادة نشرها بشكل او بآخر ، اما بنصها او بتعديل وتحوير فيها .. وان كنت افضل ان ينشر كل كتابنا القصصيين محاولاتهم الاولى كما هي دونما حذف او تبديل لانها — دون شك — تشكل فى مجموعها مرحلة هامة من المراحل الفنية التى مر بها فن القصة القصيرة فى تطوره .

وقد فعل اديبنا الكبير « محمود تيمور » شيئا من هذا ، حين تناول بالتعديل بعض قصصه القصيرة التى كان قد نشرها فى الفترة بين 1925 — 1935، واعاد صياغتها فى « الوثبة الاولى » 1937 . ولئن دل هذا على شيء فانما يدل دلالة واضحة على مدى الوعي الفني الذى وصل اليه الكاتب بحيث اصبح ينظر الى انتاجه الاول نظرة جديدة فيحس ما به من نقص ، ويتلمس ما يعتوره من عيوب فنية او اسلوبية

وبالنسبة ليحيى حقي فان الفترة الاولى من مراحل حياته الفنية تمتد ابتداء من 15 يوليه 1926 منذ نشر قصته القصيرة (فله . مشمش — لولو) حتى نوفمبر 1934 حين نشرت له «المجلة الجديدة» قصة «البوسطجي» ، اذ كان يكتب للمجلة الجديدة من «اسطانبول» . وقد شغلته الحياة السياسية الى حين ..

وانحصر ابداع يحيى حقي آنذاك فى القصة القصيرة ليس غير ، وكان كغيره من الكتاب الذين بدأوا حياتهم بالكتابة فى هذا الفن القصير ، وقد وجد حدوده فيها ولم يكن يستطيع ان يصل الى الرواية فى مثل السن الذى بدأ الكتابة فيه ..

ويدلنا على هذا انه اقبل على القصة القصيرة عن ادراك لطواعية هذا الفن بالنسبة لشاب يريد ان يعبر عن ملاحظاته ومشاهداته فى الحياة من حوله ، فلم تكن مساهمته لمجرد المساهمة فى القصة القصيرة ، او ليكون له من بين اعضاء المدرسة الحديثة نصيب فيه ، حتى يرجع اليه الفضل واياهم فى تثبيت قواعد الفن فى ادبنا الحديث .

ولا يعني هذا بطبيعة الحال انه احتفل بحرفية الفن ومضمونة ، فانه من دراستنا لقصصه لا يعطي للشكل او المضمون عناية تذكر قدر عنايته بالتعبير اللغوي ، وكيفية قلبه الى تعبير فني محكم عميق .. يثور منذ البداية على الاساليب الزخرفية ، ويتحمس لاصطناع اسلوب علمي ، موضوعي يبحث فيه عن العبارة والكلمة والتركيب ، حتى يساعده مساعدة ايجابية على « تصوير الواقع » تصويرا دقيقا محكما..

ولقد عملت مؤثرات ثلاثة فى تكوينه الادبي ، حددت اتجاهه نحو اتخاذ « الصورة » شكلا قصصيا مرغوبا فيه ، من ناحية ، ومن ناحية اخرى فى الاهتمام باللفظ والاسلوب المحدد ، ومن ناحية ثالثة فى التزام الواقع وضرورة وصفه كما هو فى « الحقيقة » .. و « الواقع » .

وتقف البيئة التى نشأ فيها «يحيى حقي» فى مقدمة هذه العوامل : وهي بيئة تحب القراءة : ابوه ، وامه ، واخوه الاكبر « ابراهيم » استطاع ان يكون لنفسه مكتبة تضم اشتاتا من الكتب العربية والافرنجية استفاد منها «يحيى حقي» استفادة كبيرة ، فكانت اول معين استقى منه الثقافة والمعرفة .. ولعب «ابراهيم» فى حياته الفنية دورا آخر ، اذ انه ساعده على الاتصال باعضاء المدرسة الحديثة ،وكان اتصالا فكريا وتجاوبا شعوريا ، لان يحيى حقي حينئذ كان معاونا للادارة ق (منفلوط) فكان ابراهيم كحلقة اتصال بينه وبينهم .. ومعروف ان المدرسة الحديثة كانت تضم آنذاك نخبة ممتازة من شباب الربع الثاني من هذا القرن ، حملوا لواء التجديد ، والثورة على كل قديم بال ، ونادوا بآراء جديدة ودعوا الى وجوب العناية بفن القصة بصفة عامة ، والقصة القصيرة بصفة خاصة .. وقد اسهم كل عضو من اعضاء هذه المدرسة بنصيب موفور فى هذا الفن فمنهم محمود تيمور استاذ القصة القصيرة في ادبنا غير منازع ، ومحمود طاهر لاشين الذي ترك للمكتبة العربية ثلاث مجموعات قصصية هي « سخرية الناي » و « يحكى ان » و « النقاب الطائر » ثم روايته « حواء بلا آدم » .. وابراهيم المصري الكاتب القصصي الذى لا يزال يثري تاريخ القصة القصيرة بغزير انتاجه فيها .. وحسين فوزي ، وهو الذى شغف بالموسيقى ، وعلوم البحار ، بعد ان شارك هو الآخر مع رفاقه من اعضاء المدرسة الحديثة بجزء يسير .. وحسن محمود الذى تحول اخيرا الى الترجمة حتى غلبت على انتاجه فى الآونة الاخيرة .. وقد كان لاحمد خيري سعيد ناظر المدرسة وعقلها المفكر الرائد منزلة كبيرة فى نفس يحيى حقي وقلبه .. يضاف الى ان عمه « محمود طاهر حقي » حبب اليه الفن القصصي وكان هو الآخر ذا نشاط ملحوظ فى التأليف القصصي والمسرحي ...

ولا يقف تأثير اسرته عن هذا الحد من التوجيه بل ان دورها ينحصر اساسا فى انها عمقت وعيه بخطورة اللفظ ، وضرورة العناية به ، ووجوب وضعه فى المكان اللائق ، وفى الوقت المناسب فقد كان الجو الغالب على بيئته »

(اولا : شيء من الاعجاب برشاقة اللفظ والابتهاج بالتوفيق فى العثور عليه .. (1) ومن هذه النقطة توجه اهتمامه الى الاجادة اللغوية وجعلته قراءته فى الادب العربي القديم يقف عند الوان متعددة من الاساليب اللغوية وتبين له ذلك فى مقامات الحريري ، والبيان والتبيين ، والبخلاء للجاحظ ، وديوان المتنبي وغير ذلك من كتب التراث .. ويأتي اتصاله بالمدرسة الحديثة فى المرتبة الثانية من مراتب التأثير فى فنه القصصي فى هذه الفترة التى حددناها ، وهي المنطقة التى تكاد تكون مجهولة من حياة يحيى حقي الفنية فقد وجهته هذه المدرسة

---

(1) من حديث له مع فؤاد دوارة منشور بجريدة الجمهورية ــ العدد 2951 ــ 15\10\64

بتعاليمها ودعواتها وجهة واقعية ، جعلته يستريب من دور الخيال فى القصة ، ويعتبر القصة التى تعتمد على الخيال نوعا من التسلية وقتل الفراغ ..)

ولما كانت المدرسة الحديثة قد تحولت من مرحلة الاهتمام بالادب الانجليزي والفرنسي الى مرحلة الشغف والولع بالادب الروسي ، لذا اصبح طبيعيا ان يغرم يحيى حقي بالادب الروسي وان تزداد عنايته به ، لانه اتصل بالمدرسة الحديثة فى مرحلتها الثانية ، وكان ذلك اواخر عام 1926 واوائل عام 1927 .

ويرجع يحيى حقي سبب اهتمامه بالادب الروسي الى انه ادب يعالج المشاكل الروحية ويشيد من شأن الروحانيات ، ويبعد عن القضايا الفكرية والفلسفية ، وهي مميزات تجذب عواطف الشاب اكثر من غيرها من التعقيدات الفكرية التى لا قبل لشاب على احتمال الغوص فى مشكلاتها ..

(لقد وجدت فى الادب الروسي كل شخص تقريبا مشغولا بقضية كبيرة هي خلاص الروح ، ويخيل الى ان الادب الصادق هو الادب الذى وان سجل وعبر وحلل وكتب بأسلوب واقعي ، الا انه لا يكتفي بذلك بل يرتفع الى حد التبشير .. وهو ما وجدته فى الادب الروسي وسحرني (2)) .

وينتقل يحيى حقي بعد ذلك من دور القراءة والاطلاع على الادب الروسي وغيره الى مرحلة (الملاحظة المباشرة) و (المعاناة الحقيقية) و(مشاهدة الواقع مشاهدة فعلية) .. فقد توزع فيما بين سنتي 1927ـ1928 بين القاهرة، ودمنهور، والاسكندرية، ومنفلوط، وكانت هذه الفترة هي فترة الخصوبة التى كثرت فيها «صوره»، فان انتقاله الى الصعيد وغيره من قرى الريف المصري جعله يتصل بالناس، والطبيعة والحيوان والفلاح المصري اتصالا ايجابيا مباشرا ، ساعد على ان تنطبع فى ذهنه صور المرئيات على طبيعتها وفى حقيقتها من غير رتوش او الوان زاهية براقة فنقل على الورق هذه الصور فى شكل قصص قصيرة ، وحرص على ان يكون امينا فى نقله عن الواقع . مثال ذلك قصته (قهوة ديمتري) التى يقول عنها « انها قهوة حقيقية موجودة فى مدينة المحمودية ، بل ان قارىء هذه القصة يحس ان الكاتب يريد ان يجعل من قهوة ديمتري هذه نموذجا لكل قهوة ريفية يختلف اليها الموظفون والعمدة ، ومعاون البوليس ، والصراف ، والفلاحون فى اوقات فراغهم : هي غير خاصة ببلد دون بلد ، هي ان شئت (ماركة) منتشرة ـ بريف مصر شمالها وجنوبها فى كل بلد صغير او قرية كبيرة .. اذ كلها تتشابه ان الذى يديرها رجل هو فى بلد (ديمتري) وفى اخرى ـ مخالي ـ لا يخرج اسمه ان يكون واحدا من هذه الاسماء وما يشبهها من (تودري) واخرستوا او (يني) وخرامليو .. (4) .

ويستطرد الكاتب فى تحديد موقع القهوة قائلا « تقع قهوة ديمتري التى ساتخذها نموذجا لهذه القهاوي المتشابهة فى بلد صغير من بلاد الغربية يضمها النيل الى صدره الرحب غير حاقد على هؤلاء الناس الذين يشقون لجه ويمتطون ظهره بفلكهم سعيا الى الاسواق فى المدن القريبة ويغسلون اجسادهم ويزيلون صداهم ثم هم بعد ذلك يهملون عبادته طالما الفها من اجدادهم الاقربين (4) ويستمر الكاتب فى تصويره للقهوة بروادها مسجلا الواقع كما هو دونما تبديل او تحوير ، ووصف العمدة بطربوشه المائل كما هو فى الحقيقة ، وبلغت دقته فى النقل ، وموضوعيته فى الوصف حدا جعل العمدة « يغضب غضبا شديدا، ويظنني اهزا به ... فتجنبت ذلك فيما بعد ، وفهمت ان الادب الواقعي ليس هوالتصوير الفعلي(5) . ومعنى ذلك ان يحيى حقي بدأ ينقل عن الحقيقة الخارجية الموجودة نقلا منضبطا دقيقا ، ثم ما لبث ان تطور فهمه للواقعية الفنية وادرك انها لا تعني فى المرتبة الاولى بتصوير الواقع تصويرا لا اثر لذات الفنان فيه ، وان ثمة فارقا كبيرا بين المصور والفنان، اذ الاول لا يخلق بآلته شيئا غير موجود فى الحقيقة والواقع ، كما انه لا ينقل عنصرا من العناصر الموجودة والكائنة فى حالة معينة ، ومن وضعه الذى هو عليه الى وضع ءاخر ، ولا يغير كثيرا او قليلا فى

---

(2) نص الحديث
(3) انظر السياسة : العدد 1290 ـ 22 ديسمبر 1926 ـ ص 3
(4) المصدر نفسه ص 3
(5) من حديثه المنشور بالجمهورية .

العلاقات التى تقوم بين اجزائه بينما الثاني (الفنان) تلتقي الملاحظه عنده بشعوره الخاص ، حيث ينفعل ازاء الواقع انفعالا خاصا ، وينتخب منه انتخابا معينا حتى تتم المطابقة الفنيه المنشودة (لان الفن لا يمكن ان يقوم على صدق المحاكاة او تمام المطابقة فحسب .. (6)

وفى اول عمل قصصي نشره يحيى حقي فى صحيفته (الفجر) نطالع بوادر حبه للتصوير وهي قصة تدور فى عالم الحيوان ، يعطينا فيها الكاتب ثلاثة صور وصفية للقطة (فله) والقط (مشمش) والكلب (لولو) .. ويظهر لنا اختياره للفظ، وانتقاؤه للكلمات ، الدالة ، المؤدية للغرض ، كما يبدو ايجازه الشديد من غير فضفضة ولا استطراد ، فهو يصف (فله) بانها : « بيضاء اللون من الصنف الرومي ذات ذيل قصير وشعر طويل وراس صغيرة مستديرة وعينين مستديرتين لونهما ازرق كلون السماء الصافية » و (مشمش) : « يمثل منشردو القطط فهو قط بلدي طويل الجسم والذيل ذوعينين باهتتين تضربان الى اللون الاصفر مملوءتين خبثا ومكرا » اما (لولو) فهو « كلب صغير الحجم من صنف خليط بين البلدي والرومي ، له ذيل مقطوع وشعر غير طويل .. قد صاحبته فى رقبته جرسا صغيرا يرن كلما جرى او مشى وتسمع نباحه الضئيل كلما اقبل طارق على باب الشقة (7) .

ولا يخفى ان الكاتب يرمز بهذه الحيوانات الثلاثة الى ثلاث طبقات كانت تعيش في المجتمع المصري آنذاك ، واستطاع بواسطة اختياره لهذه الانواع الثلاثة من الحيوان ، مختلفة الطباع ، والخلقة، ان يصور عادات وطباع جماعة « الاتراك » و « الاروام » و « المصريين » ...

ومما يؤكد ولعه بالتصوير القصصي والاستمرار فى المحافظة عليه فى هذه المرحلة ، وبانه اختاره دون غيره من الاشكال الفنية الاخرى ، اننا نلاحظه فى بعض الاحيان يختار عناوين قصصه دالة على انتمائها لهذا الشكل ، فقصته (عضة) يقول فيها انها «صورة اجتماعية» ويضع لقصة اخرى العنوان التالي (صورة من حياة) والواقع ان قصصه فى هذه الحقبة لا تبعد عن ان تكون «صورا للواقع»، و«الحقائق الموضوعية»، التى كان يلاحظها ، دون خضوع لتخطيط او رسم مسبقين وضع الكاتب لهما الضوابط والقيود الى ان يعطي القاريء رسما متكاملا للشخصية على امتداد تاريخ حياتها ، ولحظة ولادتها ، وظروف نشاتها كما هي حتى ساعة تفاعلها مع الحدث او وقت تواجدها فى الصورة .. وهذا قد يبعده عن طبيعة القصة القصيرة وخصوصيتها التى تكتفي بجزء من حياة الشخصية او لمحة يسيرة عنها ، او جانب فرد من جوانبها ، او لحظة معينة من لحظاتها . ولكنه فى هذه «الصورة» يبطيء فيدرس الشخصية دراسة عامة ، تحول القصة عنده الى سيرة حياة تستعرض كل جوانب الشخصية ، وتقدم كل المعلومات الممكنة عنها حتى اننا نجد بعض « الصور » تطول وتطول فتبلغ عنده كما وكيفا حد الرواية .. ومن هذه الصور «منيرة» التى قدمها فى خمسة اعداد بصحيفة (الفجر) منذ 22 يولية 1926 حتى 9 سبتمبر 1926 ـ وقصته (الدكتور شاكر افندي) قدمها فى سبع حلقات ـ بدات فى العدد (86) الصادر فى 2 ديسمبر 1926 وانتهت فى العدد 92 الصادر فى 13 يناير 1927 .

واذا استبعدنا من دراستنا هاتين القصتين على اعتبار انهما لا تنتميان الى فن القصة القصيرة ، بقدر ما فيهما من الفن الطويل ، لوجدنا انه فى صوره الاخرى يتتبع الشخصية القصصية على امتداد تاريخ حياتها .. ففى قصته (محمد بك يزور عزبته) يعرض علينا نشاة (محمد افندي عمر جاهين) طالب البكالوريا الذى لا يحفل بالدراسة لان اباه توفى وترك له خمسمائة فدان جيدة بمديرية الشرقية ثم يرجع الكاتب الى اوليات هذه النشاة فيقف عند ابيه ويفتقد الاسباب التى ادت الى ثرائه وامله فى ان يرى ابنه الوحيد دكتورا .. ثم وفاته ، ويسرد لنا قصة عمه الذى كفله بعد وفاة والده، وهكذا يستعرض تاريخ حياة الشخصية والشخصيات الاخرى المتصلة بها فيصور ماضيهم وعلاقاتهم بالناس وأملهم فى المستقبل ، تصويرا يربو على نصف حجم القصة ويترك النصف الآخر لتصوير الريف وطبيعته الساحرة وزيارة محمد بك للقرية ومشاهداته فيها.. فتصبح القصة « الصورة » بلا حدث ، ومجرد للبيئة

(6) الاسس الفنية للنقد الادبي ـ دكتور عبد الحميد يونس ـ دار المعرفة ط 1 ص 45ـ48
(7) الفجر ـ العدد 75 ـ 15 يولية 1926 ـ ص 2ـ3

الريفية واسترجاع لماضي الشخصيـــة ، على مهـل يبعث الملل فى بعض الاحيان (8).

وقصة (حياة لص) (9) ان هي الا استعـراض طولى لحياة « حسنين ابراهيم » القـروي الساذج الذى نشأ وتربي فى الريف وسط الحقول ، ثم اتصاله بامراة لعوب، معروفة بميلها الى الرجال وقلة روعها. ثم هجرته الى المدينة ، وعمله خفيرا بأجر ضئيل ، وزواجه ، وانجابه اطفالا ، وانحداره وشربه الخمر، ومحاولته سرقة المحال التجارية ، التى كان يقـوم بحراستها ليلا .. ويتخلل هذا تصويـرا لجزئيـات الواقع وتفاهاتـه ، يحس الكـاتب باضطـراره الى تصويرها نظرا لالتزامه بحرفية الواقع ويهـمل تبعـا لذلك القواعد الفنية للقصة القصيرة ، ويتخلص من كثير من شرائطها ومقوماتها وخصائصها ..

و (من المجنون) (10) سيرة حياة محسـن افندي عبد المطلب .. كان شابا وقاد الذهن ، ذكيا تخرج فى الحقوق بتفوق، ثم عين فى وظيفة بدمياط، لم يكن راضيا عنها ، لذا اصيب بحمى التيفوس ، فتغيرت حاله، وتبدلت حياته تبديلا كبيرا ملحوظا.. وبدا من حركاتـه لاخوانـه الموظفين انه ينحدر نحـو الجنون .. حيث طالب من رؤسائه ان يكون العمـل ليلا ورفع الى وزير الحقانية مذكرة يطلب فيها تعديل نصوص قانون العقوبات وان يمنع المحامون من عملهم لانهم يقلبون الحقائق بالفاظهم .. ويجد الكـاتب فى هذه القصة مجالا رحبا يسـرد تفاصيل كثيـرة عـن الحياة والعمل فى المحاماة ، وطبيعة الجو فى دمياط صيفا وشتاء وتبلغ به الدقة والموضوعية حدا يجعله يذكر نص المواد التى اعتمد عليها محسن افندي فى مذكرته ويرتبها ترتيب دورها فى المذكرة ويفندهـا تفنيد المحامي الذى يعد لنفسه دفاعا قويا مستنـدا الى نصوص القانون ومواده ولوائحـه .. ويمعـن الكاتب .. الذى كان يعمل بالمحاماة آنذاك فى تصوير جو العمل ويقـف امـام جزئيـات الواقـع فينقلهـا بحذافيرها وتسير القصة ببطء وتقل نحو النهاية . وقد توعز هذه القصة الى رغبة يحيى حقـي نفسـه كمحام ووكيل للنيابة فى ذلك الحين ـ فى اصلاح بعض نصوص قانون العقوبات ، كان يراها من وجهة نظر الشخصية القصصية صحيحـة على الرغم من مخالفتها لواقع القانون ومواده ، فحاول ان يضـع مشروعا لتعديل هذه المواد على لسـان « محسـن افندي عبد المطلب » فاتهمه زملاؤه بالجنون !

ولا تبعد قصته (عبد التواب افندي السجان) عن ان تكون هي الاخرى تاريخ حياة هـذا الرجـل وصورة محكمة لبخله وحرصه على عمله ، وزواجه فى سن التاسعة عشرة ، ومعاملته القاسية لزوجاته ، ثم زواجه بعد عشرين عاما من اخـرى ، وسرعـان ما تموت زوجته الثانية فيتزوج بعد شهريـن مـن وفاتها وهكذا تمتليء القصة بحشد كامل من الجزئيات والمتناقضات وتفصيلات الحياة اليومية التي لا تمت بصلة تذكر الى فكرة القصة وهدفها ولا تدل علـى الحالة النفسية لاشخاصه ، كالتفصيـلات المتعلقـة بالطعام والشراب والنوم وما الى ذلك من أمور الحياة التافهة التى تشغل جانبا كبيرا من واقع حياة كل منا . لذا جاءت صور « يحيى حقي وشخوصـه فى المرحلة الفنية الاولى من مراحل حياته الادبية ـ صورة طبق الاصل للواقع ، لم يعن فيها الكاتب بما يخـص الصلات الانسانية والنوازع النفسـية لانه لم يبعـد مطلقا عن مجال المادية المجردة .

وفى هذه الصورة القصصية يختـفي عنصـر الخيال اختفاء يكاد يكون تاما وتضعـف الحادثـة وتصبح غير ذات اهمية فان هم الكاتب الاول تصوير الواقع ليس غير .. ونحن لا نعني بذلك ان يتجنب القاص الواقع او ان لا يستمد شخوصه واحداثه من هذا الواقـع، بل لابـد من ان تكـون الشخـوص والاحداث والمواقف ، اقرب الى ما نقابله فى حياتنا الواقعية ، ويجب ان يعيش الكاتب حياة شخوصـه حتى يكونوا مقنعين تمامـا بالنسبـة للقـراء ، فان معايشة الشخوص ضروريـة وهامـة فى القصـة القصيرة ، وكلما كانت الشخوص فى القصة معقولة وقابلة للتصديق كلما كانت اقرب الى الواقع حتى وان كانت متخيلة ، فاننا اذا لم نكن نقتنع بالشخوص فى القصة فلن نستطيع بأي حال تصديق ما يحدث لهم او ما يقومون به من احداث واعمال او ما يصدر عنهم من حوار .. والقصة القصيرة اقرب الفنون الادبية

(8) انظر القصـة فى صحيفة الفجر ـ العدد 84 ـ 28 اكتوبر 1926 ص 3
(9) القصة منشورة فى صحيفة السياسة ـ العدد 1280 ـ 10 ديسمبر 1926 ص 3
(10) السياسة ـ العدد 1310 ـ 14 يناير 1927 ـ ص 3

الى تمثيل الواقع . ولكن ليس معنى هذا انها تنقل الحياة الواقعية كما هي . فليست القصة حكاية تروى كما هي في الواقع والحياة ولكنها تصور لنا الواقع كما يراه الكاتب وكما يحس به وكما انفعل هو نفسه به اي انها ليست فصلا تاريخيا او مقالا اصلاحيا اجتماعيا ؛ بل انها عمل فني يتعلق بمبدعه اكثر ما يتعلق بغيره .. اذ تنحصر مهمتها اولا وقبل كل شيء في تقديم الواقع تقديما فنيا صادقا ، معقولا (بعد ان تفرض عليه ارادة القصاص الفنية) (11)

وتتميز « صور » يحيى حقي القصصية بموضوعيتها الدقيقة ، التي لا أثر للذاتية فيها ، حيث يصور الكاتب العالم الخارجي بعينه المجردة ، فيشعر القارىء بأنه ينقل اشياء خارجة عن ذاته . فمناظره وشخوصه ، والعالم الذي يصوره يعرضه في ارض محايدة تماما ؛ لذا فانه يحرص على تصوير ما هو موجود فعلا ، بكل حذافيره ، ولو كان الامر غير ذلك، لصور ما يحبه هو ويرضاه ، لعبر عن نظرته وتفسيره وتحليله للواقع الخارجي من خلال احساسه به .. وان كنا نلاحظ ان له في ثنايا القصة تعليقات واحكاما خاصة لكن وجود مثل هذه التعليقات الجانبية لا يعني بالضرورة ان الصورة ذاتية وان الكاتب يصور تجربته الشخصية ؛ بل انه يحاول بطريقة سافرة تفسير وضع من الاوضاع او التعليق على سلوك معين .. ويدرك القارىء لقصص يحيى حقي الاولى انه يتوسل في تصويره الموضوعي بطريقتين :

الاولى : الوصف المكاني : اذ يجعل له اهمية قصوى في القصة فيقدم تصويرا للبيئة والمكان مدفوعا بلذة التصوير والدقة في النقل دون سواهما حتى ان القارىء يشعر ان الوصف المكاني مقصود لذاته .. ففي قصة (نهاية الشيخ مصطفى) يعطينا الكاتب صورة محكمة لحي « الحسين » حيث نشأ الشيخ مصطفى (بجوار سيدنا الحسين ، وفي زقاق طويل ضيق متعرج مزدحم بالدكاكين وبوصف ادق . اما باب شالله ياست ام الفلام ، منزل كهل محدودب الظهر وقصير القامة ضيق الصدر تهبط اربع درجات حتى تصل الى بابه ثم ترتفع اربعا أخرى فتصبح في غرفته الوحيدة بطابقه الوحيد . ولو انصف صاحبه لازال ظهر مشربيته واتخذها منفذا لدخوله وخروجه بدلا من هذا الهبوط والارتفاع ..) (12) ويستمر عند هذه الحال ، ويقف طويلا عند وصفه للحي :

(ويصور حي القلعة رغم فقر سكانه أغنى احياء القاهرة مشاهد ، واحفلها ذكريات ، ينام والجبل يرعاه ، ورمل الصحراء وسادته .. تاركا قاهرة الازبكية تحت قدميه .. في بقعة حزينة منه تتناثر مقابر الخلفاء متهدمة قد سد صوت مآذنها ونامت اعوادها ؛ كأنما هي ستار مأساة قديمة مضى دورها وطال مقامها بركن المخزن فاعتلتها العناكب وقديما كانت تستقبلها الناس بالتصفيق . تتعرف به مسجد امير الجيوش يريد ان يحتضن وهو ميت كما كان يحتضن في حياته .. وهل بعد الموت يا امير الجيوش من عدو ؟ وتتعرف (المغاوري) يختار من باطن الجبل سقفا يستره عن اعين المصريين حينما يجمع كسالى شعبه في تكية ذات حديقة .. وتستمد رزقها من ساكني الاكواخ او تنسى نفسك امام مئذنة السلطان حسن المتفردة في عظمتها او بهائها .. تتعالى في الجو رحبة الصدر مرتفعة القامة خالصة من النقائص متباهية بنفسها .. لا يثقل ضميرها ما يتوب تحته ضمير اختها من ذكرى نكبة قاسية اثقلت كاهلها واوقفت نموها ..)

ويظل يصف الحي ويطول به الوصف المكاني والازقة والحواري المتفرعة من شوارعه الرئيسية حتى يصل الى حارة (طلبة باشا) : « يتفرع من المحجر عندما تبدأ تهبط منه الى مدينة الاموات حارة ضيقة هي حارة طلبة باشا كلما تقدمت بها وجدت منازل اكبر مساحة واقل نوافذ واقدم جدرانا ان اقتربت من نهايتها استوقف نظرك منزل صغير من طابق واحد يخالف نظام بقية البيوت التي اصبحت كفك العجوز لم تسمح الظروف لهذا المنزل القصير ان تطول قامته التي تشرف على اسطح جيرانه .. (13) ».

(11) في النقد الادبي ـ دكتور شوقي ضيف ـ ط 1 1962 دار المعارف ص 232
(12) السياسة ـ العدد 1550 ـ 26 اكتوبر 1927 ص 102
(13) السياسة ـ العدد 1847 ـ 10 اكتوبر 1928 ص 3

والمتتبع للقصة سيجد وصف البيئة يطغى عليها منذ البداية اذ يحتل المكان حيزا كبيرا جدا منها ، يخفي الى جواره «الشخصية» و«الحدث» ولا يضفي عليهما ظلالا ولا يرتبط بهما ارتباطا قويا ، نحس انه معزول وبعيد عن «الحدث» و«الشخصية» فى القصة، لان البيئة لا تنبض بالحياة والحركة ولا تبعث على تطور الحدث ولا تكشف عن الزوايا والجوانب المؤثرة فى «الشخصية».. ونحن لا نرفض تصوير البيئة المكانية فى القصة القصيرة ، ولكن بشرط ان تكون ذات دور خطير وهام فى نمو الحدث او استكناه «الفكرة» او توضيح «الموضوع» او استكشاف «المغزى» العام للقصة فان البيئة قد تبرز فى القصة وتنبض بالحركة والحياة التى لا تقل فى معالمها عن الشخصيات التى تتحرك فيها (على الا يكون الوصف العام لمجال الاحداث فى جميع مظاهره السابقة : منعزلا عن الحوادث والشخصيات فى القصة .. اذ الغاية منه وصف عالم القصة المكتمل غير المبتور (14)

اما الطريقة الثانية التى يتوسل بها يحيى حقي فى تصويره الموضوعي : هي انه يتناول الشخصية من الخارج فلا يتعمقها ويصفها بزيها وملامحها وقسماتها الظاهرة الخارجية .

ويصف (محمد افندي عمر جاهين) بقوله (ومحمد بك هذا شاب بدين ذو وجه ابيض اللون اذا اطلت النظر اليه لاحظت ان جميع اعضائه من عينين وما يتبعهما من حاجبين وانف وفم وذقن لا تشغل الا مساحة صغيرة فى وسط كتلة من اللحم.. فالمسافة التي بين ذقنه وبين اسفل وجهه تنوف طولا عن تلك التى بين انفه وعينيه ..) ويصور (ابو الروس) فى (نهاية الشيخ مصطفى) بقوله (ذو راس كبيرة غير طبيعية وجبهة عريضة وعينين براقتين جد البريق .. ترك شعره الاسود العميق يطول وتركه يتسخ حتى يصبح كريه المنظر ..)

يضاف الى هذا كله انه احيانا كان يتناول الشخصية ويصورها تصويرا يبلغ حد السخرية فى قليل من الاحيان فيرسمها رسما كاريكاتوريا ، ونرى ذلك فى سخريته من (عبد التواب افندي) حيث يصفه بقوله : (لو رأيت عبد التواب افندي علمت ان الحكومة تظلم بعض موظفيها عندما تلزمهم ان يحضروا الى الديوان بالرداء الافرنجي . فليس هناك من جاكتة وبنطلون يسعان جسم عبد التواب افندي وليس يرجع ذلك الى ضخامته بل لعدم انتظامه . فهو مستكرش البطن عريض الصدر كبير الجذع قصير الساقين مقوسهما ويصر على ان تكون بذلته من طراز واحد ينفرد به وحده من سائر الناس والا يغيره مهما طال به الزمن ومهما جادله المجادلون (الترزيون) فهي من قماش لونه (زيتي فاتح) وتنتهي الجاكتة من استدارة مبالغ فيها الى الركبتين او ما دونهما وتتسع ارجل البنطلون وتستدير لتكون كما الفرادة .

ونفرض ان عبد التواب افندي يرضى ان يعترف بتقدم الزمن وباقتضاء هذا اللباس الذى ربما كان يعتبر (موضة) فى وقت من الاوقات فانه لا يستطيع ان يمشي فى البذلة كما يمشي سائر الافندية وتحكم لاول وهلة ان هذا الرجل لا ينفعه سوى (الجبة والقفطان) اما ياقته فهي ذكرى لمودة ايام اسماعيل باشا .. فهي مرتفعة لدرجة انها تدفع بفكه الى اعلى فتنحدر مؤخر رأسه وتتقارب طيات جلد قفاه كانه مشنوق بحبال متعددة) (15) .

وعلى هذا النحو نستطيع القول بأن يحيى حقي فى هذه المرحلة ، وفى تلك القصص القصيرة التى نشرها فى صحف ومجلات الربع الثاني من هذا القرن والتى لم يحاول اعادة نشرها فى مجموعاته القصصية ، قد نحا فيها نحو التصوير الموضوعي ، فوصف حقائق ووقائع واشخاص خارجة عن ذاته

ولعلنا نكون اقرب الى الدقة والصواب اذا نحن احصينا تلك القصص المتفرقة التى ابدعها الكاتب فى اوليات حياته الفنية ، وقبل سفره خارج الاراضي المصرية وهي على الترتيب الزمني لتواريخ نشرها :

---

(14) المدخل الى النقد الادبي الحديث ـ دكتور محمد نعيمي هلال ـ ط 1 الرسالة 1958 ص 507

(15) انظر قصة عبد التواب افندي السجان ـ السياسة ـ العدد 1340 – 18 فبراير 1927 .

1) فنه ــ مشمش ــ لولو	الفجــر	15 يوليــه 1926
2) المــوت والتفكيــر	الفجــر	22 يوليــة 1926
3) السخرية والرجل ذو الوجه الاسود	الفجــر	16 سبتمبــر 1926
4) محمد بك يزور عزبته	الفجــر	28 اكتوبــر 1926
5) حيــاة لــص	السياسة	10 ديسمبر 1926
6) قهوة ديمتري	السياسة	22 ديسمبر 1926
7) من المجنــون ؟	السياسة	21 ينايــر 1927
8) عبد التواب افندي السجان	السياسة	18 فبراير 1927
9) صورة من حياة	السياسة	26 ابريــل 1927
10) الوسائط يا افندم	السياسة	9 سبتمبر 1927
11) نهاية الشيخ مصفى	السياسة	16 اكتــوبر 1927
12) عــضــة	السياسة	10 اكتــوبر 1928

ويعكف يحيى حقي بعد هــذه المرحلــة علــى التصوير القصصي ، ويظل يجــود فيه ويبــدع ، ويتطور به وينطق صوره المادية بدلالات ومعان اقرب الى حقائقها الواقعية منها الى انطلاقات الخيال . ويسافر الى اوروبا ويعود فنانا عميق الفهم للواقعية؛ ويطور من فنه التصويري حتى تصبح قصصه ولوحاته ناطقة بالحركة متــسمة بالنمو والتطور لا تخلو مــن فكرة واحساس عميقين ، وان كل من يقرأ قصصــه التى بدا يرسلها من اسطانبول ونشرتهــا له «المجلــة الجديدة» سيتبين انها لفنــان اصيل واع يحــاول جهده ان يبتكر لونا جديدا من الوان الفن القصصي ذا شكل خاص به وموضوع هو مزيج من احساســه والواقع الخارجي .

وربما تبدأ هذه المرحلة الفنية الثانية بقصــة ــ قصة فى سجن ــ التى بعث بها من اسطانبــول ونشرت فى العدد 7 ــ مايو 1931 ص 846 «المجلة الجديدة » .

وقصته « ازاره ربحة العدد ــ 10 ــ اغسطس 1931 ص 1245 ــ وقصته « ابو فــودة » التــى نشرت سلسلة فى «السياسة الاسبوعيــة» ملحــق العدد 3027 فبراير 1933 وملحق العدد 3057 ــ 11 مارس 33 ثم قصته « الخزنة عليهــا حــارس » ملحق السياسة 3424 ــ 16 يونية 34 وبعدها نحس ميله نحو الفن الروائي فتنشر له «المجلة الجديدة» قصة «البوسطجي» مستقلة فى نوفمبر 1934 .

ويبدو اهتمام يحيى حقي بمرحلته الفنيــة الثانية من انه أعاد نشر معظم قصصها فى مجموعاته القصصية الاخيرة ولا شك انها تعطي صورة واضحة المعالم لفنان ناضج مكتمل .

ومهما يكن من شيء فان يحيى حقي وان كان قد اهمل جانبا فى صوره القصصية الموضوعية بعض خصائص فن القصة القصيرة وتقنياتها ، فانه عكف منذ اولى خطواته الفنية على قلب التعبير اللغوي الى تعبير فني دقيق خال مــن الاستطــراد والتكــرار ، والمحسنات اللفظية ، والجمل الطويلة ، ومن ثم فان مساهمته فى الادب الحديث بصفة عامة وفى فــن القصة القصيرة بصفة خاصة تنحصــر اســاســا فى تهيئته اسلوبا فنيا منضبطا .

القاهرة ــ سيد حامد النساج



للأستاذ : عبد القادر زمامه

210 – درياق لامراض النوى ..!

وجدت في الترجمة التي كتبها « المحبي » في كتابه « خلاصة الاثر » ج 1 ص 44 للاستاذ الشاعر ابراهيم السوسي ..؟ الذي اقام بالزاوية من ارض الدلاء مدة مديدة . واخذ بها عن جماعة .. !! ثم رحل الى الشرق وبه توفي سنة 1077 هـ .

كتب اليه بعض الادباء ، وهو بالزاوية الدلائية يقول :

يا أبا اسحاق. قل لي موجزا :
أي شيء مبرد حر النوى ..؟

قد ابت الاسهادا مقلتي
وانسكاب الدمع شوقا للوى ...

فأجابه ابراهيم السوسي :

زار في روض بهي سحرا ..
جامع بين رواء وروى

تتهادى في الحشا نفحته
طلبت مني دوا داء النوى

قلت عن طب وما يعزى لمن
جرب الامر . عليم بالدوا

عرق وصل ..! ونبات الدر من ..!
ماء تفر اشنب ..! كل سوا

فاسحقنها في مهاريس اللوى
واشربنها بكؤوس من هوى

فهو درياق لامراض النوى
مطفيء بين الحشا جمر الجوى

211 – جارية لغوية

وجدت عند ابن الابار في (تكملة التكملة) المطبوعة بمدريد سنة 1915 م. ترجمة رقم 2870 لجارية تسمى العبادية اهديت للمعتضد بن عباد والد المعتمد ... ما ياتي :

« قال ابو الحزم بن عليم .. في شرحه لادب الكتاب (كذا) لابن قتيبة .. وذكر (الموسعة) وهي خشبة بين حمالين .. يجعل كل واحد منهما طرفها على عنقه ..؟ وبذكر الموسعة اغربت جارية لمجاهد اهداها الى عباد .. كاتبة شاعرة .. على علماء اشبيلية ..! وبالفرمة التي تظهر في اذقان بعض الاحداث وتعتري بعضهم في الخدين عند الضحك .. فأما الذي في الذقن فهو النونة .. ومنه قول عثمان رضي الله عنه : دسموا نونته لتدفع العين ..! واما التي في الخدين عند الضحك فهي الفحصة .. فما كان في ذلك الوقت باشبيلية من عرف منها واحدا .. »

212 ـ مكتوب على قبر القالي ..!

في زوائد التكملة لابن الأبار الترجمة رقم 2362 لعلي بن عبد العزيز القرشي

« قال انشدني ابو عبد الله محمد بن جابر هذين البيتين وقال قراتهما مكتوبين في لوح رخام كان سقط من القبة المبنية على قبر ابي علي البغدادي (القالي) عند تهدمها ..

صلوا لحد قبري بالطريق وودعو
فليس لمن وارى التراب حبيب

ولا تدفنوني بالصحراء فربما
بكى ـ ان راى قبر الغريب ـ غريب

213 ـ فهم زجاج

في زوائد التكملة المطبوعة بمدريد سنة 1915م في الترجمة رقم 2345 لعلي بن احمد بن عطية المحاربي .. انشد لقريبه ابي محمد (عبد الحق بن غالب بن عطية الامام المفسر المشهور ..)

داء الزمان واهله
داء يعز له العلاج

اطلعت في ظلماته
رايا كما سطع السراج

لمعاشر اعيا ثقا
في من قناتهم اعوجاج

كالدر ما لم تختبر
فاذا اختبرت فهم زجاج ..!

214 ـ وابراه يوم السرار من السقم ..!!

وجدت في ديوان ابن سناء الملك المطبوع بالهند ص 750 قطعة شعرية مدح بها الشاعر الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون الطبيب الاندلسي القرطبي الشهير ... !!! قال فيها ... :

« ارى طب جالينوس للجسم وحده
وطب ابي عمران للعقل والجسم

فلو انه طب الزمان بعلمه
لابراه من داء الجهالة بالعلم

ولو كان بدرا من يستطبه
لتم له ما يدعيه من التم

وداواه يوم التم من كلف به
وابراه يوم السرار من السقم ..!»

215 ـ المذاكرة ...!

ذكر الحافظ ابن حزم في كتابه « الجمهرة » !

ان المنذر بن عبد الرحمن بن معاوية الاموي .. وهو من سلالة ملوك بني امية بالاندلس .. كان مغرما بعلم النحو ، مولعا بالبحث في علله وقواعده .. حتى اصبح من ايمته .. وكان اذا لقي رجلا من اخوانه قال له :

ـ هل لك في المذاكرة في باب من العربية ..؟ فلقب بالمذاكرة ..!! من اجل ذلك ..

216 ـ .. والفتك سلوان ..!

وجدت في تاريخ الضعيف الرباطي هذه الابيات .. وهي من شعر مولاي الحسين نجل السلطان سيدي محمد بن عبد الله ..

« نحن الكماة فان تهتز رايتنا
جاءت تظللنا في الجو عقبان

حتى اذا ضحكت اسيافنا نزلت
لاكل لحم العدا والارض عقيان

كانما دعيت الى وليمتنا
فالحرب عرس لنا. والفتك سلوان.! »

217 ـ على ما فيك من عوج ..!!

وجدت في الترجمة التي افردها (المحبي) في (خلاصة الاثر) لمحمد بن ابراهيم المدعو ببديع الزمان الفاسي !!! ج 3 ص 313 .. قطعة شعرية اجاب بها بديع الزمان .. الفاسي ...!!! صديقا له كان قد ارسل اليه قطعة انشدها على لسانه في الشوق الى فاس ومعالمها .. لما راى من حزن (البديع) وحنينه اليها .. في دار غربته بالمشرق ..!

البست فاسا واهلها ثياب علي
قد نمقتها يدا تقريظك البهج

لما جرى ذكرها في رحب خاطركم
انشدتها قول صب بالهوى لهج

لتهن يا فاس. واخلع ما عليك فقد
ذكرت على ما فيك من عوج

218 ـ جواب الزفوت السكوت ...!!!

وجدت في الترجمة الحافلة التي كتبها نجم الدين الغزي في كتابه : «الكواكب السائرة» ج 1 ص 271 .. للصوفي المغربي الكبير ابي الحسن علي ابن ميمون الغماري المتوفى سنة 917 هـ .

« وكان يقال عنه : كناز ..! وكيماوي ..! ومطالبي .. فيقول : نعم ! انا كناز . وعندي كنز عظيم ! ولكن لا يطلبونه ! ولا يسالوني عنه ! وانا كيماوي ..! ولكن لا يطلبون ما عندي من الكيمياء..! وأنا مطالبي ..! وعندي مطلب نفيس مزهود فيه ..! ويشير الى كنز العلم..! ومطلب المعرفة ..! وكيمياء الحقيقة .

وكان كثيرا ما يقول : جواب الزفوت .. السكوت ...!!! »

فاس ـ عبد القادر زمامة



دعوة الحق...

للشاعر محمد الحلوي... زين العابدين

اوفى لحزمك من اثابه ... وروتك غادية الاثابه

ورعى مواطن انجتـ ... ـك واطلعت علق النجابه

في ارض مغربنا القصـ ... ـي وما قصى وطن القرابه

كلا ولا اقصى النوى ... حبا ولا اوهى طلابه

ما في ارتياد الروح اجـ ... ـواء المسرة من غرابه

والعين رغم حسورها ... ترنو لدار مستطابه

والنفس تهفو ان حدا ... حادي الهوى وشجا ربابه

فاذا الجوارح للنزلا ... ل النر تستسقي رضابه

وتحوم حول عيونه ... والشوق موطنها ركابه

كالطير الهبها الصدى ... فترود ما عل التهابه

* * *

وافت رسالتك الكريـ ... ـمة تنهل الصب الصبابه

مشفوعة بالتواميـ ... ـن النافحين شذى وطابه

وتؤكد الود المكيـ ... ـن مفتحا للوصل بابه

ود التلاقي في الاخا ... ء وفي تساقينا عذابه

ود التواجد في المطا ... مح والمسالك والانابه

ود التعلق بالهدى ... لله ما امدى انتسابه

فقرات فيها ما احـ ... ـسب وهز ما حوت الكتابه

ونعمت منها بالسلا   م وبالحنين وبالاجابه
واهتاج شوقي للقا   فاخذت من وجدي مذابه
وسكبت اهدي السلسبيـ   ـل الى ابي « الزهرا » لبابه
يا سيدي اغدقت بالا   فضال اغداق السحابه
بنمير مزن ينبت الـ   ـريحان مهداء ملابه
متضوعا من « دعوة الحـ   ـق » التي اورت شهابه
لينير ديجور الظلا   م لكل ولاج شعابه
ويزيح عن غلف القلو   ب غشاوة الفت نقابه

* * *

اودعتمو الحق الصرا   ح مجلة هتكت حجابه
وجعلتموها حجة   رفعت لدين الله قابه
فشفت غليل الناشئيـ   ـن على الهدى وسقت سرابه
وتبلج الصبح الوضيـ   ـيء بنورها وجلا ضبابه
عن كل من رام اهتدا   ء للمحبة والمتابه
وعن الذي طلب النجا   ة من الامور المسترابه
وعن الذي يبغي على الـ   ـا سلام للمولى حسابه
ويشيم من نور اليقيـ   ـن بقينه ويرى صوابه
ليفوز في الدارين بالـ   ـغنم الذي يوفي نصابه

* * *

اكرم بخيم مجلة   يجد الطلوب بها رغابه
اضفت سديل برودها   شيم الاصالة والغرابه
بالمغرب الاقصى الشقيـ   ـق ؛ على الالى عرفوا رحابه
زاد من الدنيا اتا   ح لمرتجي الاخرى ثوابه
ورصيد علم شارع   لمسالك الفرقان بابه
ديوان معرفة تدر   ع قالة الفصحى اهابه
نطقت بكل دقيقة الـ   ـمستحدثات بلا معابه
ونفت عن الفكر المد   قق ما اطلخم وما تشابه
وقضت على العقم السحيـ   ـق وما استلذ من الرتابه
لتكون حقا « دعوة الحـ   ـق » الحرية باستجابه

وتسلم المجد السليـ ـب ـ لحقبة ـ ابدا صحابه
برعاية الملك الذي املى على الليل انجيابه
الذائد المغوار عن دين الهدى الحامي جنابه
النافح الشعب التقي تبعا وملبسه شبابه
من سنم الله الغظيـ ـم سموه ـ شرقا ـ رقابه
جعل النهوض بشعبه لمراتب الاعلين دابه
مستلهما هدي المو فق في الخلافة والنيابه
من روح والده الأبـ ـر محمد مولى المهابه
من علم العز الابا قاداته وعلا قبابه
ومن الجدود القابسيـ ـن عن الرسول هدى الصحابه

* * *

ملك كساه الله سر بال الهداية والأرابه
فالامر قسط والعزا ئم لا تؤول او تجابه
والحق يعلو في الربو ع على الذي يبغي اغتصابه
والغنم تجليه الفعا ل ولا تكدره استرابه

* * *

هذا الذي شهدت به آي السياسة والخطابه
وهو الذي عملت له غلب العزائم في صلابه
فالله يكلا عزكم وينيلكم اغلى المثابه

تونس : محمد الهاشمي زين العابدين

سلوا نهضة الفلاح ...

للشاعر عبد الفتاح إمام

على جدكم صلى الاله وسلما ... فمن مثلكم ! يا لابس المجد معلما

راى المجد في مغناك عزا ومنعه ... فالقى عصاه في حماك وخيما

وزهر رياض الفضل من طيب نشركم ... تفتح عن اكمامه وتبسما

مفاخر آباء وطيب ارومة ... حباك بها رب العباد وانعما

طلعت على الاسلام نورا ونعمة ... وجددت من أركانه ما تهدما

وفى كل يوم من حياتك اية ... تسير مع الافلاك شمسا وانجما

فانت عسوب المومنين وقطبهم ... وانت لهم امن اذا البؤس ضرما

دعوت الى ضم الصفوف على الصفا ... فاشرقت بدرا في زمان تجهما

وحققت للدين الحنيف مراده ... وقلدت جيد الدهر عقدا منظما

كذلكم الاشراف في كل ازمة ... نجوم منيرات اذا الامر ابهما

وارجعت عصر السابقين ومجدهم ... ونورت للسارين ما كان اظلما

واحييت للقرآن عهدا اماته ... زمان تولى بالمظالم مفعما

فارضيت رب العالمين بحفظه ... واسست للاطفال ذخرا ومغنما

وشيدت للاجيال صرحا معززا ... وأعربت بالقرآن ما كان أعجما

وحسب المعالي ما بعثت من البلى ... وما كان ميتا في زمان تصرما

ويا لك من شهم غيور على العلا ... ولله ما أعلى مقاما واكرما

مليك تردى البأس والمجد حلة ... مفوفة فيها الكمال تجسما

سلوا نهضة الفلاح من خط نهجها ... سوى « الحسن الثاني » أعد وأحكما
وانشا للامواه سدا يحوطها ... لتروى بها القفرات من غلة الظما
وكم مسجد للناس شيد صرحه ... فعز به الدين الحنيف وعظما
وانقذ « افني » من براثن غاصب ... وما سل سيفا للنضال ولا رمى
سوابق فضل لا تتاح لغيرهم ... تغنى بها حادى الزمان وهيما
ستبقى لدى التاريخ يحيا بحصرها ... فقد جل ما أسداه فذوا وتوأما
مدحتك انصافا وحبا ورغبة ... ومن مدح الاشراف عاش مكرما
لئن وافت الاقدار آمال أمة ... فكل رجانا ان تعيش وتسلما
عليك سلام الله اهديه كلما ... على جدكم صلى الاله وسلما
ودانت لك النعمى ودمت موفقا ... وعاش ولي العهد شبلك انعما

القنيطرة : عبد الفتاح امام

آية ولائي وإخلاصي في مهرجان إيفني

للشاعر المهدي بن إدريس

سطع المجد في مرابـــع ايفنـــي ... واتى النصـــر خارقـــا كـــل اذن
واهتـــدى باسـك المجاهــد للديــ ... ـــن كريمـــا ومعلنـــا كل فـــن
وانقضى العهد عهد جـور وبـاس ... وبدا العرش غازيـــا كـــل ركـــن

* * *

عاهل حقق المنى بفضلك يا ربـــي ... فجئنا وفي الرجـــا كـــل عـــون
عاهـــل اسعف البـلاد وامـــــ ... والمنـــى والنـــدى باجمل كـــون
عاهل يمحق المظالم فى الارض ويحيـ ... ـــى وفـــى الهنـــا كـــل صـــون
ملك كادح ويبدع في الدنيا مزايـــ ... ـــــا وبالمحـــاســـن يقنـــــي

* * *

هزني الشـــوق في قرارة نفســـــي ... كان شـوقي الى معاهـــد ايفنــــي
وبهـــا العاهـــل الكريـــم يوالـــي ... كل سيـــر الى العـــلا باليديـــن
ايها الباسم الـــذي وهـــب النـــ ... ـــاس جمالا وفى جلالـــة حســـن
ايها الباســـل المجاهـــد صونـــا ... للفدى والنـــدى نصـــرت بامـــن
جئت ايفني لفتحهـــا ورضاهـــا ... وبها الشعـــب في لقـــاك يغنـــي
وبها الشعب قائم برســـل الحـــ ... ـــب هتافـــا بحكمـــة وتمنـــي

* * *

انت ايفني وان نورك فى القلب مقيـ ... ـــم وللشقـــاوة يفنـــي
كم بنى العرش من اماجدك الخلـــ ... ـــد وكان الهوى غريقـــا كرهـــن
واسفنا لان نـــرى بـــك حكمـــا ... خارجا عن نطاقنا وهـــو مضنـــي

انت ايفني بذلنا فيك من الجهـ ـد زمانا فعززي واطمئني
والبري العاهل الكريم ينادي كل يوم وفي الندا كل اذن
حسن القدر لم يطق لك تكرا ضمك اليوم فاتحا كل سجن
انت ايفني وانت مرتع حبي احسن الله باللقا بعد بين
نعم كلها في الحسن الثاني علينـ ـا لكي نصون ونبني
كم سدود بنيتها باقتدار ونعيم كأن عصرك جني
فتعالى البناء واتكسر الصخـ ـر وهاجت بلابل فوق غصن
عذب العيش في ظلالك وارتـ ـاح ضميري وابعد الله حيني

❊ ❊ ❊

ايها العاهل الذي شرد الكفـ ـر خديما ولم ينم انت تفني
انت تغني عن الجيوش بفكر ثاقب والمنى كغمضة جفن
ملك اقسم اليمين ووفى والوفا شيمة وخلقك سنى
كم رفعت البنا وقولك حق كم كسرت العدى وقمت بشأن

❊ ❊ ❊

هي ذكرى اقامها لك في الشعـ ـب جهاد بلغته دون مين
هي ذكرى وانت تحسن فيها بنضال يرى كعين لعين
موسم قائم بايفني اذا ما زرتها ، زرتها كجنة عدن
للولا للصفا وللحسن الثانـ ـي اطعنا ولم نجد غير يمن
عرشك الدائم المنير ينادي اجمعوا امركم فاوتى لوني

❊ ❊ ❊

لك ايفني مناعة حفها الشـ ـوق قديما وفي الهدى كل زين

❊ ❊ ❊

ملك الشعب في يديك المعالي ووفائي للعرش أكبر دين
هتف الشعب للجلالة لما ابصر العهد مشرقا كاللجين
هتف الشعب والمظاهر كبرى باحتفال جرى ولحنك لحني
مهرجان اللقا بكل لك الحـ ـب ولاء رايته دون من
بلغ الاربعين في كرم النفس فصنـ ـا وصدق قولك نغني

❊ ❊ ❊

ايها المعتني بقيمة ايفني فاليك الهنا يبلغ عني

انت في النفس والنفائس والمجـ	ـد سليم وما حق كل شيـن
ملك يبعث المحامد للعـز ومـ	ـن عزه اتيـت اهنـي
اقطف الزهر في مليكك ياشعـ	ـب وناصر فقد وفيت وغن

* * *

انت للعـرش والمـروءة تبقـى	حاملا هديها وعرشـك يبنـي
نازل في القلوب يختـرق الصـ	ـف بعلم نشرتـه لـك تغنـي

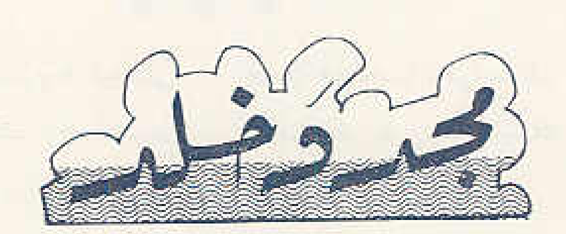
* * *

انت يا شعب والرغائـب تملـى	كل فضل وفضل عرشك حصنـي
يا مليك البلاد عهدك للـه كريـ	ـم ونحـن حولـك نثنـي
كيـف نثنـي وانـت فـى الشـ	ـرق والغرب مثال وفي كرامة سن
قد بنيت الشباب وانتظـم الكـ	ـون وكنا تبـاع غبنـا بغبـن
هي ايقني تقـول باسمـة الثغـ	ـر مليكـي نصرتنـي فأفرتـي
انـت ظلـي وراحتـي واماني	انت بالعفو تقتدي فاعـف عنـي
واجعل القدر سالكا مسلـك النـ	ـور فقد مـا ذكرتـي فأعنـي
بحنينـي ولوعتـي وهيـامـي	وغرامـي اذا بنـي فاختبرنـي
تجد القلـب فـى ودادك يسعـى	تجد النفـس والنفائـس منـي

* * *

بولـي لعهـدك اليـوم نسمـو	وسمو الشبـاب في غيـر أيـن
انت تبقى وفي بقائك للنـاس بقـ	ـاء وعـن خصالـك سلنـي
هذه امة تناصـرك اليوم فداء وانـ	ـت ذاك بعينـي
فحمـدت الكريم حيـث تعالـى	واتى النصر شارحا حسن ظنـي
لـك منـا الـولاء فى كشـف العـ	ـرش وعشنا برافة دون حـزن
تم سرتـا وراء عاهلنـا الاسمـ	ـى وفزنا وفي امانـة حضـن

فاس : المهدي ابن ادريس العمراوي



للشاعر محمد محمد العلمي

مثواك من شعبك الاكباد والحدق ... ونور وجهك في الاكوان يأتلق

يكفيك انك في حضن العلا بطل ... في حب طلعتك الاضداد تتفق

ما الحق الا سبيل انت رائده ... ومن سنا وجهك الاصباح ينبثق

وانت تاج المعالي فيك قد ظهرت ... معالم الحسن بالآيات تنطلق

يا سيد الشعب مرحى! فالبشائر قد ... حلت بعيدك ، والاضواء تتسق

في عطر عيدك قمنا بالنشيد ، وما ... كنا سوى اكبد بالعشق تحترق

نهيم بالحب شوطا لا حدود له ... كأن من سبقوا منا ومن لحقوا ،

باتوا بمحراب هذا الحب في حرق ... مكظومة ، ما رآها غير من عشقوا

انا شربنا مع العشاق مترعة ... لكن عطشنا ، وفي الاذواق مفترق

حتى رجعنا نرى الآفاق واسعة ... والنور فيها مع الابطال ينطبق

والشمس قد خجلت لما رأتك وفي ... شعورها حمرة يزهو بها الشفق

* * *

تهنيك ذكرى من الاضواء اسطرها ... مرقومة بمداد الفخر تصطفق

ذكرى الفداء وقد جلت روائعه ... ذكرى البلاد التي تحيا وتنعتق

انا بتاجك درات ترصعها ... يد الخلود ، وفي ترصيعها نسق

انا لقوم اباة للعروبة قد ... عاشوا ، وللعرش والاسلام قد خلقوا

لله در اسود لا يروعهم ... كيد العداة ، فما زاغوا ولو شنقوا

ذكرى يقوم لها التاريخ مرتديا ... ثوب المهابة ، في اردانه الفرق

ذكرى يهيم بها روح القريض ، وفى ... جلبابها فلق من قبله غسق

ذكرى رجوعك فى عز وفى ظفر ... وشعبك الحر فى اكباده حرق

ان كان غيرك قد شط الغرور به ... فضمه فى الهوى عند النوى زلق ؛

فانت كالطود فى عزم وفى ثقة ... لم يعر قلبك لا طيش ولا نزق

لله درك من شهم تهون له ... كل الخطوب ، فانت البارع الحذق

ارسيت فى شاطىء البشرى سفينتنا ... وكاد ينسفها فى موجه الغرق

وسرت بالوطن المحبوب تحفزه ... فكان نحو بلوغ المجد يستبق

وانت ضحيت بالغالي وكنت لنا ... فى باسنا اسوة يعنو لها العنق

والمجد حف باصناف المكاره اذ ... سدت على نيله الاسباب والطرق

ان المعالي وانت من يحن لها ... لا من تعاطوا الى اللذات او فسقوا

لكن عزمك لا يخشى القيود ، ولا ... يهون عند الألى فى عهدهم صدقوا

فسل مواقفك الجلى وموقعها ... فانها قدس قد ضمه الورق :

مجد وخلد وانوار معطرة ، ... وهمة مثل حد السيف تمتشق

هذي مناقبك المثلى نشيد بها ... والخصم فى قلبه من وخزها حنق

انا بعهدك فى سعد وفى رغد ... ونحن من نسمات المجد ننتشق

* * *

يا سيد المغرب الاقصى ومنقذه ... انا جنودك للعلياء نعتنق

قد رحت تبني بالاستقلال عزتنا ... وعهدك النصر لا بؤس ولا ملق

ان العوالم طرا بالمنى طربت ... واهلها بالذى تبنيه قد وثقوا

فانهض بنا للمعالي يا مجددنا ، ... نحو الثريا بنا تسمو وتخترق

لسنا سوى وحدة نسعى لغايتنا ... وليس فينا كما ينوي العدا فرق

ليس البرابر فى الاوطان غير يد ... مع العروبة ، كالحبات تنفلق

تحطم القيد ، لا نلوي على حدث ... والخصم قد ضمه من مكره نفق

فانت روح لنا نحيا بها ابدا ، ... وانت فى دمنا ، فى ذاتنا رمق

قد صرت نجوى شعوب الارض قاطبة ... وانت احدوثة الاموات لو نطقوا

* * *

لقد مضى عنت المستعمرين فلم ... يدم على يدهم جهد ولا رهق

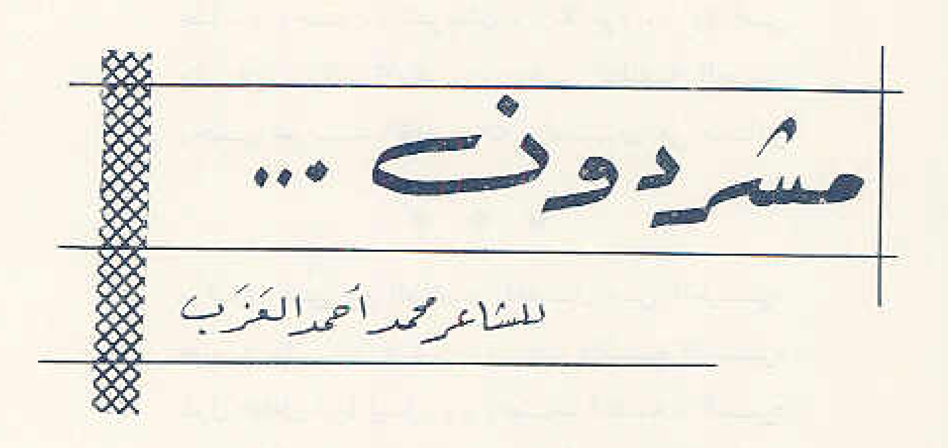
كم ينهقون ، فلا سمع ولا بصر ، ... وهم من الشؤم غربان اذا نعقوا

غذاء قلبك انت المجد تبعثه ... وليس يعنيك لا لحم ولا مرق
وانت للمجد اكليل نتيه به ... ان كان غيرك للامجاد يختلق

* * *

انا بعثنا ، وصار البعث شيمتنا ... بين الشعوب ، واهل الكذب قد صعقوا
بفضل عزمك يا تاج الملوك ، لقد ... مضى زمان به الانفاس تختنق
وحل عيدك فى الاوطان ، تعرفه ... تلك العيون التى قد مسها الارق ،
ايام غبت فغاب النور، اذ رجعت ... كل العشائر للاخبار تسترق
لكن رجعت ، فكان الخصم يغمره ... ـ وانت فى عرشك ـ التهويل والعرق
والحق جاء ، وبات الظلم فى حرج ... ولن يدوم لاهل البغي مرتزق
وهكذا الدهر فى عز وفى ضعة ، ... يعين من صح فيه الخلق والخلق
فعش لنا سالما طول الزمان ، فلن ... ينال همتك التهريج والقلق
وانت مفتاح باب الله ترشد من ... ضل السبيل ، فباب الغي منغلق
يحيا لنا (الحسن) المغوار ، قائدنا ... ونحن جند له بالركب نلتحق

الرباط ـ محمد العلمي



« الى اخوتي الصغار .. الكبار .. الذين ينتحب المنديل المستجدي على اكفهم وجه النهار .. حتى اذا جنهم الليل .. ناموا على صدر الرصيف »

.. وبين ملاحن الاعصار .. والانواء .. والمطر
تلعثم في دروب التيه طفل نائح الوتر
يغني .. للدجى .. للصمت .. للاطلال .. للشجر
لكل الكائنات .. لقلبها المجبول من حجر
وفي كفيه منديل حزين .. دامع القدر
كم استجدى به .. ومشى جريحا مطرق الخفر

* * *

وخاف الطفل .. كانت طفلة تحبو .. وتنهزم
شقيقته ؟ اظن .. ففي ملامحها رؤى ودم
واطياف ابتسامات يلف شبابها العدم
وعبر جفونها السمراء يصحو السهد والالم
وترتج الدموع على محاجرها .. وترتطم
وفوق ذراعها خرق ممزقة بها لقم

وتحت شعاع نافذة هناك .. رقيقة الهمس
ينام على سواعدها ستار مترف اللمس
ويرقد فوق اذرعها اصيص حالم الفرس
جئنا .. وجئت .. شريدان .. بلا يوم .. ولا امس
ينقر في تراب الارض .. وهي شليلة الحس
وحين تعربد الظلمات يرتميان في يأس

* * *

وولول في دم الطفلين اعصار من الحيره
فقاما يبكيان على رباب دامع النبره
يقول الطفل : يا ليل .. وتهتف اخته : كسره
ويرتد الصدى غيمان .. لا زاد .. ولا قطره
فقد نام الجميع .. سوى خفير ساهر النظره
مشى بهما .. وخلف السجن قيل : تسولا .. مره !!!

القاهرة ــ محمد احمد العزب



دراسات مغربية :

نظرة في كتاب
صنعة الفلاحة
لأبي عبد الله الشطيبي (882-963 م)

للأستاذ سعيد أعراب

من العلماء المغاربة ، الذين اهتموا بالفلاحة ، والفوا فيها ، وحذقوا صناعتها ، أبو عبد الله محمد ابن علي الشطيبي الزروالي من عائلة البرجيين ، الذين نزحوا من الاندلس الى المغرب ؛ استوطن قرية تاسفت بجبل ودكة من بني زروال ، احدى القبائل الجبلية بشمال المغرب ، وجبل ودكة من الجبال المشهورة بغاباتها ومناظرها الطبيعية ؛ يرتفع عن سطح البحر بنحو ثمانمائة متر ، وتبلغ مساحة غاباته ثمانية الاف هكتار ، وتنبع فيه عيون متعددة تصلح للري والسقي .

الف ابو عبد الله الشطيبي اكثر كتبه في هذا المكان الذي يخيم عليه الهدوء ، وتضفي عليه الطبيعة من جمالها الساحر ؛ وكانت اوقاته ــ كما يقول هو عن نفسه ــ ما بين كتابة ونسخ وتاليف ، وعمل في بستانه ومزارعه ، والقيام بشؤون المسجد وكلفه ، من تدريس وامامة ، وخطابة ووعظ . ومما يذكره في هذا الصدد ، انه انتسخ كتاب نزهة الناظرين ، وتحفة القاصرين ، في شرح منازل السائرين ، ــ لابي عبد الله المقدسي ، مع المقابلة على كثير من نسخه ، وكتابة تعاليق عليه ، في مدة لا تتجاوز اثنين وأربعين يوما ؛ قال مع شغل الدار ، والقيام بضروراته ، وكلفة المسجد ولازماته ، واليد الواحدة في خدمة الغلل ، ولقط الفاكهة ، وعمل البحائر للخضرة وغير ذلك .

انتقل في اخريات حياته الى « تازغدرة » من أحواز ورغة ، حيث توفي هناك ، في ثاني ربيع الثاني عام ثلاثة وستين وتسعمائة ، (963 هـ) ، وعمره ينيف على الثمانين . وقبره مزارة مشهورة هنالك ، وعليه بناء فخم ، هدمت قنابل الفرنسيين بعض جوانبه ، أثناء الحرب الريفية .

قال في الدوحة : رحل ابو عبد الله الشطيبي الى بلاد المشرق ، واقام يجول سائحا في نواحيها اعواما كثيرة ، ولقي بها مشايخ عدة ، لكن اعتماده في طريق القوم كان الشيخ ابي العباس الملياني ؛ وكان كبير الشأن ، زاهدا في الدنيا ، منقطعا في اكثر اوقاته عن الناس ؛ وجه اليه السلطان غير مرة فلم يجب ، وكان الامراء والملوك يزورونه ويتبركون به .

ومن تلاميذه ، الشيخ رضوان الجنوي الشهير ، رحل اليه الى البادية واخذ عنه ؛ وكان يجله ويعرف قدره ، ويكتب اليه : استاذنا وشيخنا ...

قال في السلوة : وكان الشطيبي واسع العلم والمعرفة ، شهير الذكر ، صاحب التآليف المشهورة..»

وقفت على اكثر كتبه ، وهي في مختلف فنون المعرفة ، من تفسير وحديث ، وتاريخ وادب وتصوف (1) .

وآخر ما قرات له هذا الكتاب في صناعة الفلاحة ، وهو عبارة عن تلخيصات ، استخلصها من كتب الفن ، واضاف اليها ما افاده من خبرته الطويلة ، وتجاربه الخاصة ؛ وهو يعتمد اكثرها ، يعتمد على تاليف لابي

1) انظر مجلة « دعوة الحق » العدد الاول السنة التاسعة ، وصحيفة « الميثاق » أعداد : 42 ، 43 ، 44 .

عثمان بن ليون فى الفلاحة ، وينقل عن ابن وافد ، وابن بصال، والتغزى وسواهم من علماء الاندلس، المشهورين فى هذا الميدان .

والكتاب صغير الحجم ، الا انه ـ كما يقول مؤلفه ـ يحوي مسائل غريبة ، وفوائد عجيبة ، مما لا غنى عنه للمسلمين ، ولا ينبغي جهله للفلاحين . .

وقد ضمنه ثمانية أبواب ، وكأنه اراد ان تكون على عدة ابواب الجنة ، والفلاحة جنات ونعيم .

تحدث فى الباب الاول عن اركان الفلاحة ، وهي ـ عنده ـ أربعة :

(الركن الاول) : الاراضي ، وهي أجناس واصناف متعددة ، يمكن اجمالها فى عشرة انواع : اللينة ، الغليظة ، السوداء ، البيضاء ، الحرشاء ، الجبلية ، الرملية ، المكدنة ، الحمراء ، الصفراء . وتختلف في طبيعتها وصلاحيتها ، فالسوداء مثلا ـ تصلح للحبوب، والحمراء للثمار ، وهكذا . . وشرها الملحاء .

(الركن الثاني) : المياه ، وخيرها ماء السماء والانهار ، وهنا يعرض المؤلف لصناعة القوادس وهندستها ، وكيفية وضعها ، واجراء الماء فيها .

(الركن الثالث) : السماد : ويتحدث المؤلف فى هذا الركن عن الازبال وانواعها ، وكيفية استعمالها ، والاوقات التي تصلح فيها ، وينقل عن ابن بصال ان ازبال الدجاج له خاصية قد لا توجد فى غيره ، وتصلح للصفرة ، وانعاش النبات المتهالك .

(الركن الرابع) : الخدمة ، ويذكر انها تختلف باختلاف النبات والثمار والبلاد ، وهي كلها راجعة الى العادة ، ويسهب فى الحديث عن اوقات الحرث ، وينقل عن التغزي ان وقت الزراعة اول السنة ، وهي عند أهل الشام نصف اكتوبر ، والعرب يجعلون اول عامهم عند حلول الشمس برأس الحمل ، والروم تجعل راس السنة يناير ، قال وهو مذهب الجنانيق .

وذيل هذا الباب بفصل فى غراسة النوار ، وكيفية ذلك .

اما الباب الثاني فخصصه للحديث عن الزبر والتشذيب ، والتقعيم والتركيب والتنقيل وما الى ذلك .

وتحدث فى الباب الثالث عما يضر الغلات وما ينفعها .

وبين فى الباب الرابع كيفية تسيير التين وكل انواع الثمار الصالحة لذلك ، وذكر ان مما يساعد على تجفيف التين ، حتى يخرج ناعما لذيذ الاكل ، رشه بماء العنب .

وعقد الباب الخامس للكلام عن الحرث وانواع الحبوب الصيفية والخريفية ، وذكر الامور المسوسة للغلات ، وكيفية علاجها ، وفى حديثه عن انواع الثمار، يقارن بين اصناف اللوبيا فى الاندلس ومصر والعراق، وسواء منها الحمراء والبيضاء ، ويقول انه راى نوعا منها مجلوبا من التكرور (يعني من بلاد السودان) في قدر اللوز ، وربما كان استجلاب المغاربة له ايام المنصور الذهبي . وينهي المؤلف هذا الباب بالحديث عن الروز وانواعه ، وكيفية زراعته .

وتكلم فى الباب السادس عن الزريعة وانواعها ، وفصولها واوقاتها ، ويذكر قائمة مطولة بأنواع الحبوب، واصناف البذور .

وخصص الباب السابع لزراعة الحناء ، وكيفية صنعها ، وما فيها من اشكال وانواع . واعقب هذا الباب بفصلين :

أولهما فى جنس البصل ، ويذكر منه الزعفران والنرجس والبهار .

وثانيهما فى جنس القصب ويعني به قصب السكار .

قال ابى وافد : ويسمى القصب الاندلسي .

ويتحدث فى الباب الثامن ـ وهو الاخير ـ عما ينفع الاشجار وما يضرها ، وان الاشجار والنباتات كالانسان ، تعتريها آفات وامراض ، وهي فى حاجة الى الوقاية ، اكثر من العلاج .

ويختم المؤلف كتابه هذا بقوله : واعلم ان هذه البلدان تختلف بأمزجتها وطبائعها ، قال وانما ذكرت منها الاغلب والاكثر طبعا بمغربنا . . . »

وهذه الكلمة تدلنا على ان المؤلف ، طوف على كثير من البلدان ، واختبر تربتها ، وعرف الصالح

---

1) ولعل ابن بصال ذكر ذلك فى كتابه المطول ، اما المختصر الذي نشره معهد مولاي الحسن بتطوان سنة 1955 ، فقد رجعنا اليه ، فلم نجد هذا النص .

وغير الصالح منها ، وخصوصا بلاد المغرب ، واعطانا خلاصة تجاربه ، وعصارة فكره في هذا الكتيب ، الصغير الحجم ، الكثير العلم والفائدة . فاذا اردنا ان نكتب تاريخ الفلاحة ببلادنا ، فيجب ان نسجل في طليعة الذي اختبروا وجربوا وكتبوا ، عالمنا الجليل ابا عبد الله الشطيبي .

وما أحوجنا الى نشر مثل هذه الكتب ، التي تربط ماضينا بحاضرنا ، وتطلعنا على ما خلفه اسلافنا في ميدان العلم والتجربة ، والعلم حلقات متماسكة ، تتصل اول فكرة منه باخر تجربة ، وفي كل زمان تتجدد معالم ، وتنكشف آفاق ، ولله في خلقه شؤون .

تطوان : سعيد أعراب



من التراث الأندلسي

أوصاف الناس في التواريخ والصلات

للوزير لسان الدين ابن الخطيب (٧١٣ هـ - ٧٧٦ هـ)

تحقيق ودراسة الدكتور محمد كمال شبانة

تقديـــم :

لا أحسبني بحاجة ملحة الى التعريف من جديد بشخصية المؤرخ ذي الوزارتين لسان الديـن ابـن الخطيب ، فقد تنـاولت هذه العبقريـة الاندلسيـة المغربية على صفحات مجلتنا العزيزة « دعوة الحق » في اعداد سابقة ، لاسيما عندما حققت بوساطتهـا كتاب « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » لذات المؤلف .

لهذا ساتناول وزيرنا في اضيق نطاق للتعريف به ، في مناسبة تقديم مخطوط جديد له ، لم يسبق له النشر من قبل، وهو «اوصاف الناس في التواريخ والصلات»، فنقول: كان لسان الدين محمد بن عبد الله ابن سعيد بن الخطيب السلماني حينما تولى السلطان يوسف الاول ابن الاحمر عرش غرناطة (733–755هـ \ 1333–1354 م) يقارب عمر هذا الملك ، او يتجاوزه بقليل ، وكانت تربيته قرب بني الاحمر ، ابان قيام والده على رئاسة ديوان الانشاء ، فتوثقت بينه وبين يوسف هذا صلات فتوة وشباب ، وكان من الطبيعي ان يرقى ابن الخطيب في عهد هذا السلطان الى مرتبة الوزارة ، فضلا وعلما وادبـا وثقـة ، وكان لمهارتـه السـياسية وذكائه الفريد وقـع عظيـم فـي نفـس السـلطان ، ففوضه الامر في معظم شؤون الدولة ، كاختيار العمال والقضاة ، الى اصـدار المراسيـم ومكاتبة الولاة ، بل انابه عنه في ادارة دفة الحـكم ، وخاصة عندما قاد ابو الحجاج الجيـش الانـدلسي بنفسـه في معركة طريف الكبرى (7 جمادى الاولى 741 هـ \ 30 اكتوبر 1340 م) ودفع اليه بخاتمـه وسيفه حتى يعود من الجهاد . وقد حدث ان هلـك الرئيس ابو الحسن بن الجياب في وبـاء الطاعـون الجارف (شوال 749 هـ \ يناير 1349 م) فخلـف ابن الخطيب استاذه هذا في الوزارة ، وتقلد مكانـه بديوان الانشاء ، وكان ابن الخطيب يومئذ قد ملك زمام اللغة نثرا وشعرا ، بفضل شيوخه من اعـلام الاندلس ، بالاضافة الى ثقافته الشخصية وتجاربـه الذاتية ، حتى ظهر اثر هذا كلـه علـى رسائلـه السلطانية واخوانياته ، ثم مؤلفاته ومصنفاته العديدة في شتى فنون المعرفه .. فحاز اعجاب الاوائل ممن ارخوا له ، وفي مقدمتهم « المقري » الذى اوقـف الجزء الاعظم من مؤلفه « نفـح الطيب » على ابـن الخطيب ، بل قرن اسم الكتاب به ، فسماه : «نفح الطيب ، من غصن الاندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب » .

ثم تتقلب امور الملك والسياسة في غرناطة ، وتدور الدوائر في قصر بني الاحمر ، فتتقاذف ابن الخطيب كما هو معلوم ، لاسيما في عهد ملكه الغني بالله محمد الخـامس (755 – 793 هـ / 1354 – 1392 م) الذي سعى حثيثا – بايعاز من قاضيـه النباهي ووزيره ابن زمرك – لدى القائمين بالحكم في فاس يومئذ الى موته ، وافتى الفقهاء المتعصبون

باعدامه شرعا ، وقد تم ذلك فى اواخر عام 776 هـ / مايو — يونيو 1375 م ، ودفن عند باب المحروق بفاس .

ونعود الى مخطوطه الجديد الذى نحن بصدد تحقيقه ودراسته ، لنعرف الباحث والقاريء ان هذا المخطوط قد وجدناه ضمن مؤلفه الضخم « ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب » بحيث يكون جزءا منه مستقلا ، ويقع فى 140 لوحه من الحجم المتوسط ، بمقياس 2ر14 × 5ر20 سم . ومسطرتها 19 سطرا فى المعدل العام ، ومتوسط كلمات السطر 13 كلمة، قد كتبت بخط اندلسي جميل ، فى عدد من نسخ « الريحانة » التى اعتمدت على ثلاث منها فى تحقيق « اوصاف الناس فى التواريخ والصلات » :

(ا) نسختان بدار الكتب بالقاهرة :

الاولى : ونرمز لها بالرمز «ا» ويوجد منها الجزء الاول وبعض الجزء الاخير فى مجلدين ، وبخط مغربي ، فى اثنائها ثقوب ونقص ، وهذان الجزءان مصوران بالفوتوستات عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة تونس ، ويقعان في 309 لوحة ، تحت رقم 19875 ز.

والثانية : ونرمز لها بالرمز «ب» بها نقص يسير من الخطبة ، اولها بعد الديباجة « .. وسميته لتنوع بساتينه المنسوقة ، وتعدد افانينه المشوقة ، بريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب .. الخ » فى مجلدين كتبا بخط النسخ، وقد نقلا عن الجزاين المخطوطين المقيدين بدار الكتب المصرية برقم 524 ادب ش ، ويقعان فى 460 / 650 صفحة ، وقد سجلا تحت رقم 3459 ز .

(ب) ونرمز لها بالرمز «حـ» وهي نسخة الاسكوريال بمدريد ، والمسجلة تحت رقم 1835 فهرس الغزيري ، وهي نسخة جيدة للغاية ، وقد كتبت بخط اندلسي باهت ، وتقع فى 281 لوحة كبيرة ، ومسطرتها 27 سطرا ، وبالسطر 12 كلمة فى المتوسط ، وقد ذكر فى نهايتها انها كتبت عام 888هـ، وهي عبارات عن مختارات من كتب ابن الخطيب، ثم مجموعة عديدة من الرسائل التى بعث بها الى معاصري يوسف الاول ابن الاحمر ثم ولده الغني بالله الى ملوك المغرب .

وغني عن البيان ان النسخ الموجودة للريحانة فى المغرب ، وخاصة منها ما كان بالخزانة العامة بالرباط لا تقل جودة ووضوحا عن تلك النسخ الثلاث التى اعتمدتها للتحقيق ، ولم اجد فيها بصدد « اوصاف الناس » زيادة او تناقضا يستأصل مني التنويه به او الاشارة اليه .

ومخطوط اليوم الذى نقدم له عبارة عن تراجم لما يقرب من 140 شيخا واديبا ، من اهل المغرب والاندلس خاصة ، ممن سبقوه او عاصرهم ، وواضح من تسمية الكتاب انه فى معظمه قد صنف عن كتب التاريخ والصلات المعروفة ، وان كان له فضل التنسيق والتعليق ، حتى لنكاد نعتبر من كتبوا قبل ابن الخطيب بصدد من ترجم لهم بمثابة مصادر رجع اليها بطبيعة الحال قبل تحريره هذه « الاوصاف ». ولا جدال — بعد هذا — فى ان ابن الخطيب قد افادنا بعمله هذا كثيرا ، حيث جمع لنا نخبة متفرقة من العلماء البارزين فى كتاب واحد ، على غرار بعض المؤلفين السابقين او اللاحقين ، مما يضيف الى المكتبة الاندلسية ذخيرة حية من ذخائر ابن الخطيب ، يعتمد عليها الباحث — كمصدر هام — الى حد بعيد .

الكتـــاب :

« اوصاف الناس فى التواريخ والصلات »

(71 : ب)فمن ذلك ما صدر عني مما ثبت فى كتاب «التاج المحلى، فى مساجلة القدح المعلى »:

1 — جعفر بن الزيات

علم الاعلام، وخاتمة شيوخ الاسلام ، تجرد للعبادة فى ريعان شبابه ، ولازم جناب الله واكثر الوقوف ببابه ، ولم تزل الفتوحات القدسية تعرض عليه اذواقها ، والمحبة الربانية تصلح اليه اشواقها ، وتدير لديه دهاقها ، حتى خلع لباس هذه البدنيات ونزع نطاقها ، وبث فى اسباب هذه الاكوان ذوات الالوان وازمع فراقها ، فاصبح فردا تشير اليه الابصار ، وتنال ببركته الاوطار ، وتحدى لرؤيته القطار ، ودعي الى السفارة فى صلاح المسلمين (72 : ا) فاجاب ، وسعى فى اخماد الفتنة فانجلى ليلها وانجاب ، واعمل فى مرضاة الله الاقتاب وخاض العباب ، وكان ببليش بلده منتجع رائد ، ومعدن فرائد ، وفجر الله ينابيع البلاغة على لسانه ، وجعل

زمام الفصاحة طوع لسانه ، فدون بالنظم فى شتى الفنون ، وجلى افكار المعارف مفوقة المطارف للعيون، فكان يقعد بمسجدها الجامع فيدرس ويحلق ، ويهذب ويخلق ، فيأتي من الاعراب بالاغراب ، ويتكلم فى التفسير بغير اليسير ، ويلمح من التعليل لا بالقليل ، ويشير الى فريقه برموز طريفة .

ولما نادى به منادي فراقه ، وغيب الدهر نور اشراقه ، بكت هذه الربوع عليه دما ، واصبح وجودها عدما ، وقد اثبت من آدابه وشعره ما يدل بسعة صدره ، ويدل على قدره .

ومن ذلك فى وصف :

2 — ابي الحسن القيجاطي

(72 : ب) اخطب من صعد المنابر وارتقاها ، وافصح من هذب العبارة والقاها ، واستجادها وانتقاها . نجم ببلدية الشرق ، وتالق فى افقها تالق البرق ، ولم تزل رتبته فى ارتفاع حتى استأثرت الحضرة (1) به على ما سواها ، فأحرز فيها الغاية وحواها ، ونشر معارف المطارف وما طواها ، فنفق للادب سوقا ، بسقت فروعها بسوقا ، وقلد بحر العصر من عقوده درا منسوقا .

ثم تقدم خطيبا بمسجدها الجامع ففرط بالفاظه الرائقة عاطلة المسامع ، واسال بمواعظه البالغة درر المدامع ، وهو منجد الحلبة ومخرجها ، وموقد الاذهان ومسرجها .

خبا بوفاته للعلم كوكبه الثاقب ، ووريت بمواراته المفاخر والمناقب ، وله نظم تعطرت المجالس بجرياله ، وتعلقت المحاسن بأذياله ، ونثر حسدت عقود الغانيات دره ، وغارت النجوم الزهر لما اجتلت غرره .

ومن ذلك (73 : ا)ما صدر عني فى وصف :

3 — ابي اسحاق بن ابي العاص

حايق حلبة العلم والدين ، والمستولي على قصب السبق فى تلك الميادين ، اتت طريف منه بطرفة رائقة ، واغرب منه هذا المغرب بروض تحسد الرياض حدائقه ، ورد على هالتها ابرارا ، وانتظم لاول حلوله فى طبقة الكتاب والعهد قشيب ، وفود الوقت لم يرعه للمقت مشيب ، والربع آهل ، والوارد فى الرفد ناهل . متميز بخصائصه الحسنى، وتأهل للمحل الاسنى ،وقعد للجملة بعد فقد صدرها، وافول بدرها ، وحلول شمسها فى رمسها ، فخلف استاذها ابن الزبير خير خلف ، واصمت لسانه من انشد فيه « انما الدنيا ابو دلف » ، وصعد المنبر فجلت الخطوب خطبه ، وهز منه الجذع فتساقطت رطبه ، فابكى العيون الجامدة ، وأثار العزائم الخامدة، واخذ بقلوب الدهماء فاستمالها ، وبلغ منهم الغاية التى اراد ونالها ، وحمل نفسه بآخرة على الجود ، والاتيان بالحاضر الموجود ، (73 : ب) فكان للفقراء عالا ، وللمعتفين قالا ، وللعصر واهله زينا وجمالا .

وقضى لسبيله — رحمه الله — فقيدا اسال الغروب ، وهاج للاشجان الحروب . وكان له ادب انيق الشارة ، حسن الاشارة .

ومن ذلك فى وصف :

5 — ابي القاسم ابن جزي .

مجتهد عاكف ، وروض فنون جاده من العلم كل واكف ، اقام رسم مجده ، ورفع عمد بيته فى قنة العلم ونجده ، فاصبح صدر بلده ، وانجب خلقين كريمين من ولده ، وفرغ للعلم من جميع اعماله ، وتفيأ رياض دواوينه عن يمينه وشماله ، واقتصر على طلب كماله ، مع وفور ضياعه ونمو ماله ، فدون الكثير وصنف ، وقرط المسامع وشنف، وترقى الى الخطابة ، وهي ما هي من جلال الرتبة وسمو الهضبة ، ففرع سنامها ، ورفع اعلامها ، وغض شبيبته ناضر ، وزمن فتائه حاضر ، فوقع عليه الاتفاق، وانعقد على فضله الاجماع والاحقاق ، ولم يزل يسلك طريق المجتهدين ، فدون فى الفقه والدواوين ، وسفر فى علم اللسان عن وجه الاحسان، ورحل فى علم التفسير الى كل طية ، وركض فى اغراضه كل مطية ، حتى انشأ الزمخشري وابن عطية (2) .

وله من الادب حظ وافر ، ومذهب عن الحسن سافر .

— يتبع —

الدكتور محمد كمال شبانه

---

(1) يعني بها غرناطة ، عاصمة بني نصر ، آخر ممالك المسلمين بالاندلس .
(2) سيترجم لشخصية هذا المفسر ايضا .

معرض الكتب :



في عالم الكتب المنبعثة

الرحلة العبدرية

للأستاذ عبد الله الجراري

ان مما تعتز به مجلة المغرب ، ويبعث على السرور ، وينشرح له صدر المثقف في ميدان المعرفة — ما يقوم به المركز الجامعي للبحث العلمي ، وبنشره من أبحاث ثقافية وعلمية من فينة لاخرى — في شتى الموضوعات .

وها هو اليوم يطلع علينا بتراث علمي خالد طالما كان حديث الاندية الثقافية وتشوفت اليه نفوس الباحثين بشوق وشغف .

تلك رحلة ابن عبد الله محمد بن محمد العبدري الحاحي المحتوية أوصاف — البلدان واحوال من بها من القطان — مضيفا اليها الرحالة ما استفاده من اخبار ، وانشده من درر واثبته من احاديث وآثار الى سوى هذا من انشادات وافادات دلت في مفهومها على حرية الرجل ، وصدعه بكل ما يدرك ويرى — شيء قل ان يجده الباحث في نوعها من كتب الرحلات المدونة .

نعم طلعت علينا الرحلة في حلة قشيبة ، وطبع انيق فاق ما ظهرت عليه قبل .

وذلك ما يحفزنا لشكر المحقق والناشر — الاستاذ الباحث محمد الفاسي الذي علمناه مسبقا ولوعا بهذا النوع من الادب والتاريخ — خاصة هذه الرحلة العبدرية التي اشتغل بها مدة طويلة جعلتها تبرز في ميزة تبعث الباحث عن القرآة في شوق ونهم .

وهذا وهو بالذات ما وقع للكاتب عبد الله الجراري — كأحد المطالعين والباحثين — فعندما تناولها بالمطالعة — اخذت بلبه وعرف حقا شخصية العبدري اكثر مما عرفه عنه من خلال ترجمته وحياته بل واختصار الرحلة للمؤرخ المرحوم — عباس بن ابراهيم المراكشي في الجزء الثالث من أعلامه .

فكان يتابع فصولها متنقلا فكريا مع المؤلف في امكنته شرقا وغربا — الى أن استوقفه تعليق للناشر اثناء قصيدة من بحر الوافر لابن القكون في رحلته من قسنطينة الى مراكش — من أبياتها :

وحل رشا الرباط رشا رباطي
وتيمني بطرف بابلي

نص التعليق ص 34 من الرحلة :

1) « الرباط يعني رباط مدينة تازة — وتدعى رباط تازة — وكثيرا ما تختلط على المتأخرين — برباط سلا — اي رباط الفتح التي أسست قرونا بعد تازة ، والتي لم يكن لها كبير ذكر حتى اتخذها الفرنسيون عاصمة لهم بعد فرضهم الحماية على المغرب » .

فمن غير ان تسلط الاضواء الكاشفة على العبارة فهي واضحة المدلول منطوقا ومفهوما تهدف في جلاء الى ان رباط الفتح — لم يكن له كبير ذكر ، ولا فيه ما يدعو الى الاغتباط والاعتبار لا ادباء ولا علماء ولا ساسة ولا امناء ولا رؤساء ، ولا ابطال لهم ادوارهم المنتصرة برا وبحرا سواء فيه — الاتلانتيكي والابيض المتوسط . بل ولا أرض خصبة وتربة طيبة .

انها وأيم الحق – كلمة تستوقف المطالع لا سيما من الاستاذ الباحث السيد محمد الفاسي – الذي علمناه باحثا مؤرخا كاتبا ناشرا – انها منه ذات وزن في النفوس بالاخص البعيدة عن الميدان فهي طبعا تقع منها موقع اليقين .

وليس هذا التعليق الوحيد الذي لفت نظر الكاتب – فبهوامش الرحلة تعاليق تحتاج الى الوضع على محك البحث والمناقشة في فرصة تسنح بعد . وهذا ما حفز القلم ليتحدث في اقتضاب عن – رباط الفتح – خدمة للتاريخ وصونا للحقيقة .

قد سبق العمران في الضفة اليمنى السلوية وكانت الضفة اليسرى فضاء واسعا ليس فيه الا القصبة التي كانت أوفق محل لتدبير الحركة السياسية والعسكرية الى الاندلس لقربها أولا من بوغاز جبل طارق ، والثغور البحرية التي يعبر منها الغزاة الى الجزيرة ، وكان عددهم يبلغ أزيد من 100.000 ، ولقتال البلغواطيين ثانيا ، ولتوسطها ثالثا بين مخلاتي الغرب والحوز لهذه الغاية – اختط عبد المومن : « المهدية » – وهي القصبة التي كان ينزلها اذا أراد ابرام امر وتجهيز جيش .

وكانت همة الموحدين تطمح الى اعادة عظمة بني أمية – من علوم وفنون وصنائع – خاصة منهم المنصور فقد اشتهر بحب العلم وجمع الكتب ، بل كان يتنافس مع ابن رشد الفيلسوف الشهير ، وظهر لعهده جمهرة من العلماء والشعراء والفلاسفة – فكان يختار لتلك الآثار وتشييدها مدينتي العدوتين، ومراكش بهذه العدوة ، واشبيلية بتلك العدوة .

فشيد جامع حسان بربوة تشرف على مصب النهر المزين بمناره الاعظم المضروب به المثل في الشموخ وروائع الصنعة والهندسة ، وقد نقش حول احدى نوافذه من جهة البحر – صورة سيفين عظيمين مصلتين رؤوسهما الى السماء – وفي تخصيص تلك الجهة بهاتين الصورتين – ارهاب للعدو والمهاجم من البحر ، ورمز الى التهيؤ له والاستعداد .

مدينة رباط الفتح – العاصمة اليوم – ابتدا تأسيسها يوسف بن عبد المومن الموحدي وشيدها ابنه يعقوب المنصور – وأعطيت لقب – رباط الفتح – تذكارا للفتح الاندلسي الذي كان بناؤه من غنائمه ، ولانه بني لغرض الجهاد والفتح وبه فتح على الموحدين – لهذا فهو رباط الفتوحات والفاتحين ، ومعترك الجهاد والمجاهدين ، ومعبر العساكر والجنود ومركز تجهيز الجيوش ونشر البنود .

قال ابن الاثير : بنى يعقوب المنصور مدينة محادية لسلا من احسن البلاد وانزهها ويقول ليون الافريقي في تاريخه : ان المنصور لما اختط رباط الفتح سنة 593 هـ 1196 م جعل عليها من أمناء المصامدة من ينظر في أمر نفقاتها ، وما يصلحها من الفرق الاحتياطية ، والقوات العسكرية ، ولم يزل العمل فيها مدة 15سنة وكان يقطن بها نحو الستة اشهر في السنة ، وقد وضع تخطيطها على تصميم الاسكندرية المدينة المصرية الجميلة الواقعة على شاطىء المتوسط ، ومن راى هذا الشاطىء يؤمن بالتشابه والتقارب الواقع بين الشاطئين طولا وجمالا . واتساعا ، وحسن تقسيم .

وللشاعر الفحل قائلا :

رباط الفتح مأوى الفاتحينا
بكعبته يطوف الناس حينا

هو البلد الامين ومن بناه
عظيم من ملوك المسلمينا

الى المنصور نسبته واعظم
به نسبا يزكى الناسبينا

وتتصل بهذه المدينة – بقايا آثار مدينة شالة العتيقة حيث هناك أضرحة أشهر ملوك بني مرين وبعض آثارهم – كالمدرسة والمسجد .

ويقال ان البناء الاول كان يتصل بأبنية شالة اذ كانت الدور والاسواق والمرافق وما اليها في طول مارة على ما يعرف اليوم بشارع القناصل ، ووقاصة أو قصيبة النحاس ، خارقة المرتفع المتصل بالمنزه ، والمشرف على شالة الاثرية .

واذ ندم المؤسس المنصور على تأسيس المدينة – كندمه على اطلاق سراح الاسرى ، وادخال العرب من افريقية الى المغرب – حيث شاهدها فارغة حين التأسيس . فها قد تحققت نيته الاولى – واصبحت جوانبها تكتظ بالسكان ، وتزدحم عشرات الاحياء الجديدة بحمل الواردين عليها من اطراف المغرب وغيره

فبعد وفاته انتقل اليها غالب أهل شالة (الاثرية) وعمروا بعضها ، ولم تتسع عمارتها بالمعنى الكامل الا عند استيطان اهل الاندلس بها لدى خروجهم من الجزيرة مشردين بنفي العدو – سنة 1017 – 1602 م

فتفرقوا في بلاد المغرب الادنى ، والاوسط ، والاقصى وخرج منهم بسلا طوائف عبروا الرباط فحصنوه وبنوا به القصور والدور والحمامات . وذلك ايام « فيليبس الثالث » وعددهم 6.000 نزلوا بقياطينهم بحسان وبنوا سورا من سيدي مخلوف المطل على أبي رقراق الى باب الحد ، ثم بنوا دورهم بنواحي العلو من «ليرة» الى البحيرة قربا من البحر واستنشاقا لهوائه ثم جدد المولى سليمان العلوي باب السور المذكور لما بلغه — ان نابليون جاء الى اسبانيا — فاصدر قدس الله روحه مكاتبه الى ولاة المغرب وعماله يحثهم على تجديد أبواب البلاد ودروبها — كما جاء بتاريخ ابن عبد السلام الضعيف — وهؤلاء جماعة من أهل الدار البيضاء تقدر بـ : 600 اسرة اخرجهم البرتغال من ديارهم سنة 915 هـ 1510 م فنزلوا بالبحيرة من الرباط اذ انقذهم الله من شر العدو البرتغالي الذي هدم البيضاء ، وما أبقى حجرا على حجر .

ومن نوازل العلامة — عبد العزيز الزياتي الكبرى في ترجمته « نوازل الجهاد » من سؤال وجهه اندلسيوا سلا الجديدة — يعني رباط الفتح — للعلامة ابي مهدي السكتاني في شأن نفارهم من طاعة محمد العياشي — منه في وصف الرباط حين خروجهم من الاندلس اليه « وكان هذا الثغر قبل دخول هذه الجماعة له وسكناها فيه — مهملا — فبالغوا في تشييده وتحصينه وبناء مساجده واسواقه حتى صار حاضرة من الحواضر ، وأصبح الناس يؤمونه من كل ناحية ، وهم قائمون بحدود الشريعة تحت طاعة ملك البلاد .

نعم بلغ هذا الثغر الطيب — رباط الفتح — أوج العز والسؤدد عندما جلس على كرسيه ملوك دولتنا العلوية الشريفة — فاتموا المرافق وأكملوا ما كانت المدينة الرباطية في أمس الحاجة اليه دينا واقتصادا واجتماعا — فهذا ابو النصر المولى اسماعيل جر اليها الماء من عين « عتيق » وقد تحدث عن ذلك الفقيه القاضي الحاج محمد مرين في قطعة شعرية — توجد بخزانة الجراري ، كما أدخل الماء اليه السلطان المقدس المولى محمد بن عبد الله العلوي — لذا وجدت في المجرى انبوبتان احداهما فوق الاخرى عند حفر المر خارج باب العلو حسبما هو مثبت اسفل القطعة المشار اليها .

والمولى محمد بن عبد الله هو الذي اتخذ ابواب القصبة هذه — بيت ماله وخزينة أموال دولته ، التي كانت تبلغ احيانا 30 مليون ريال . وهو الذي اسس عدة مساجد بهذه العاصمة — كمسجد السنة العظيم الذي نراه اليوم يوسع ويحسن ، وأصبحت منارته تصافح الاجواء بل رابعة المنارات : (1) الكتبية بمراكش ، (2) خرالدة باشبيلية ، (3) حسان بنفس العاصمة . ومسجد أهل فاس ، ومسجد القصر ، ومسجد « مولينا » الواقع أمام « مسرح روايال » حيث لم تبق منه عدا صومعته بالحديقة العمومية — كما أن الكنيسة الكائنة قرب قصر العمالة — على انقاض أحد المساجد اسست ويقال انه — مسجد ابن صالح .

وهذا المولى سليمان الملك العالم رحمة الله عليه عمد الى اليهود الذين كانوا يسكنون داخل المدينة — بالسوق التحتي — شارع القناصل — ونقلهم الى حيث هم اليوم — بالملاح — كما فعل ذلك بيهود سلا — وكانت زاوية مولاي العربي الدرقاوي الواقعة بالحي الذي كانوا يسكنوه — بالحرارين — : كنيسة لهم — مسجدا — وما زال بسقفها — فوهة كان اليهود ينظرون منها « اضناي » الله في زعمهم . وكان هذا سنة 1222 — 1840 م كما انه جدد عدة مساجد كمسجد المولى سليمان الذي كان اسمه قبل — مسجد السوق — وبعد التجديد اعطى اسم المجدد « المولى سليمان » قدس الله روحه .

اما الدار الواقعة بالمدرسة المسماة — مدرسة الاوداية — وكانت حقا مدرسة بحرية ملاحية ايام الموحدين يتكون منها البحارة المغاربة .

فمن تأسيس المولى اسماعيل لولده المولى أحمد الذهبي — والطرى الذي ازاءها ليس بمرقب ولا مرصد ، وانما هو مرتفع يشرف منه الملك على الجهات بدل أن يشاهد من خارج — والسور المحاط بالدار هو من بناء الاسارى الذين كان منهم مويط الفرنسي صاحب التاريخ في سيرتي المولى الرشيد والمولى اسماعيل ، ومويط هذا بقي اسيرا بسجن القصبة عشرة اعوام حتى اعانه على افتكاك نفسه احد رهبان فرنسا على مال .

ابعد هذا العرض الخفيف عن الرباط وما كان يتوفر عليه من مزايا تاريخية وسياسية — بارزة للعيان — وليس بعده بيان — يوصف بما ذكر : (ليس

له كبير ذكر) فجعل الرباط مدينة الفتح والفاتحين ، وتربة الجهاد والمجاهدين — عاصمة للمملكة المغربية الموقرة وادارة شؤونها الداخلية والخارجية . لم يكن اعتباطا وبمعزل عن المخزن الشريف (1) وبغير تدبيره وموافقته — رغم سيطرة المستعمر واستبداده ؟ كلا، فقد اخذت آراء خبراء من رجالات المغرب وساسته فكانت النتيجة الحتمية ان ادلوا بحجج فتحت المجال لصلاحية هذا البلد الامين بمعناه الصادق وبمصادقة المخزن ورضاه ، على اتخاذه قاعدة للدولة المغربية — لا لفرنسا كما زعم .

نعم سبقت في عدة جهات من المغرب شمالا وجنوبا عواصم لدول اسلامية حسبما كانت ترتئيه ويتلاءم مع ظروفها السياسية والاقتصادية . كفاس — عاصمة الشمال وقاعدة ملك المغرب ومراكش عاصمة الجنوب وقاعدة ملك الدولتين — المرابطية والموحدية ومكناس عاصمة الدولة الاسماعيلية وقاعدة الفتح الاسلامي . فلا عجب اذا ان يصبح رباط الفتح اليوم رباط الجهاد الاسلامي والفتح الاندلسي عاصمة للمملكة العلوية الشريفة — مدفن ابطال ملوكها — كالمولى محمد بن عبد الله ، والمولى الحسن الاول ، وبطل التحرير المقدس — محمد الخامس طيب الله ثراه — رباط الفتح ذو الصروح والقصور الملكية الشامخة كقصر لكبيبات الواقع على شاطىء المحيط (المستشفى العسكري اليوم) ، وقصر اكدال المحمدي ، وقصر السلام ، والقصبة المرابطية الواقعة على ملتقى الوادي والمحيط التي تفنن ذو الوزارتين في وصفها اثناء كتابه « معاهد الاختيار » مطبوع . والدار الاسماعيلية جوارها — ذات الطر الجميل (المرقب) .

وشالة الاثرية — مدفن الملوك المرينيين — والزاهية بزاويتها ومسجدها ، واضرحة بعض الموحدين بل وجمهرة من العرب الاول الذين دخلوا المغرب في ركاب دولة الرومان .

علاوة على شاطئها الاطلانتيكي الجميل ، وواديها الرقراق البهيج — وادي الحجارة او وادي الرمان . ورابطتها الوقمة ازاء المصلى القديمة بين برج الصراط والبرج الحسني الكبير .

ولو لم يكن من مزايا هذا البلد العزيز الا انه مسقط رأس ملكنا الحسن الثاني العظيم ومسقط رأس ولي عهده المحبوب سيدي محمد قائد اطفال الشعب ورمز تقدمه لكان كافيا ان يحترم ويكرم بدل الحط من مكانته وامانته .

واخيرا اظن — ان من العبث ان تكون مدينة — كرباط الفتح — لا كبير ذكر لها — وتتناولها بالبحث والدرس اقلام علية من الكتاب والمؤرخين — كابي عبد الله محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي ومحمد بن الغازي الكبير الرباطي ، في كناشته ، ومحمد بن علي دنية الرباطي في مجالسه ، ومحمد بن مصطفى بوجندار الرباطي في اغتباطه ، ومحمد بن عبد السلام السائح في مهصور غصنه ، ومحمد بن علي الدكالي السلاوي في اتحافيه وادواحه ، وعبد الله الجراري في كتابيه — العام — والخاص عن أعلام الرباط ، كتب لا تزال مخطوطة لم تعرف سواد الطباعة بعد . علاوة عما كتبه الاجانب عنه (كجاك كاي الفرنسي) في كتابيه المطول والمختصر ، وما كتبته لجنة علمية عن الرباط وناحيته بما جاء في اربعة مجلدات يوجد بالخزانة العامة والكتابان مطبوعان — وسوى هذا من المؤلفات والتحريرات .

وسيظهر قريبا تاريخ لرباط الفتح — يعرب في جلاء عن جانب من جوانبه — التاريخية — والثقافية والسياسية والاقتصادية .

الرباط عبد الله الجراري

---

1) عبارة عن الحكومة والدولة — والكلمة بهذا المعنى قديمة .

نظرات إسلامية فى كتاب

الإسلام والرأسمالية

عرض وتحليل ونقد الأستاذ عبد الواحد الناصر

هذه محاولة نقدية اسلامية لكتاب (الاسلام والرأسمالية) للمستشرق والعالم الاجتماعي اليهودي (مكسيم رودنسون) .. تستهدف (الرد الاسلامي) على وجهتي النظر الرأسمالية والاشتراكية تجاه العلاقة بين الاسلام والرأسمالية ، والمساهمة في معترك الصراع الفكري الحديث القائم بين الاسلام والتيارات الفكرية المعاصرة ...

أولا ـ المنطلقات والمقاصد الفكرية

1) مساعدة رجال الفكر فى البلدان الاسلامية على تفهم مصيرهم لقصورهم وعدم تخلصهم من العوائق التي تحول دون أن تكون لهم رؤية واضحة فيما يخص هذا المصير : ! (هذا كتاب طموح ، لانه يريد أن يؤدي خدمة . يريد ـ ومؤلفه عالم اجتماعي معني بالشؤون الإسلامية ـ ان يخدم رجال الفكر فى البلدان التي ارتبطت بالاسلام دينا وحضارة ، وذلك بمساعدتهم على فهم مصيرهم . وهذا لا يعني اني اعتبر نفسي بحكم كوني « أوربيا » ، افضل من خيارهم ذكاء ومعرفة . فلست أزعم ابدا ذلك ، ولكن الظروف جعلتني اسبقهم الى التحرر من بعض العقبات الاجتماعية التي تسد الطريق الى فهم معضلات تلك البلدان ، وأجد السبل مفتوحة امامي للتعرف الموضوعي على ماضيها ، وللتخلص من الاساطير التي تحجب صورة حاضرها) ! ص 19 .

2) الروح العلمية المتجسدة فى مراعاة قواعد البحث العلمي ، والموضوعية الكاملة البعيدة عن المقاصد الخفية المسمومة :

أ ـ فالكتاب لكونه نظريا (كان بالضرورة كتاب حجاج ونقاش ، اذ ان النتائج التي انتهيت اليها فيه تتعارض فى الواقع مع آراء أخرى بالغة الذيوع) ص 23 .

ب ـ وانا قد هاجمت ـ على وجه الخصوص ـ أوهاما وخرافات شائعة فى العالم الاسلامي نفسه ، ومن المؤكد ان كثيرين فى هذا العالم سيتهمونني من اجل ذلك بمقاصد خفية مسمومة ، عنصرية أو استعمارية ، ولكني أعتقد ان مواقفي المعروفة تكفي لتدفع عني هذه التهم . وان الازدراء العنصري والطمع الاستعماري يختفيان بالذات وراء مسايرة الافكار السائدة لا وراء دحضها . هذا الى اني كثيرا ما تصديت ، وبنفس الحدة ، لاوهام سائدة فى أوربا نفسها ...) ص 23 .

3) معالجة الموضوع بناء على افتراضات تاريخية واجتماعية بالغة العمومية مؤيدة بالمعارف الحسية الراهنة . فهو على حد زعمه لا يقدم دعما لهذه الافتراضات اية حجة لا تصدر عن الوقائع ولا تؤيدها المحاكمات المعتادة فى البحث العلمي (على ان هذا لا يعني ، كما سيظن كثيرون ، أني اخضع دراستي لمعتقدات جامدة ، مشكوك فى سلامتها مطعون فى اصولها . على ما يعنيه هو انني حاولت ان ادرس القضايا التي يطرحها هذا البحث على ضوء افتراضات اجتماعيه وتاريخية بالغة العمومية) ص 23 .

4) البحث ذو اتجاه ماركسي ويقوم على الارضية الفكرية لعلم الاجتماع الماركسي (وتبقى نقطة أخرى هامة ، اعتقد انه يحسن بي أن احدد موقفي منها هنا . ذلك ان هذا الكتاب ، قصدا وواقعا، هو ذو اتجاه ماركسي) ص 23 .

5) اعتماد المؤلف على أسلوبه فى فهم الاتجاه الماركسي ، وهو أسلوب يتعارض مع الاساليب الاخرى (أما الحقيقة فهي أن هناك « ماركسيات » كثيرة ، بالعشرات والمئات . ولقد قال ماركس أشياء كثيرة ، ومن اليسير ان نجد فى تراثه ما نبرر به اية فكرة . ان هذا التراث كالكتاب المقدس حتى الشيطان يستطيع ان يجد فيه نصوصا تؤيد ضلالته . وانا لا ازعم اخضاع الآخرين لاسلوبي فى فهم الاتجاه الماركسي . كل ما اطلبه هو حقي فى أن أحدد اتجاهي انا ، أن أحدد ماركسيتي انا ، وهي ماركسية أعرف أن ماركس نفسه قد لا يقبلها فى كليتها . . .) ص 24 .

* * *

تلك هي الاسس الفكرية التي زعم ردنسون انه يبني عليها الفكرة الرئيسية فى كتابه ، وهي دعوة المسلمين الى الاخذ بالاشتراكية .. وذلك باقتناعهم — بجهد تاريخي وتحليلي كبير — أن ليس هناك أي تناف بين العقيدة الاسلامية وبين اقامة الاقتصاد والسياسة في المجتمع الذي يدين بالاسلام ، على الاسس الاشتراكية ! !

وقد أستخدم رودنسون فى سبيل هذا الاقناع — لتثبيت مقاصده الفكرية وتدعيمها — ما يلي :

أ — الاعتراف للاسلام بالدور العظيم الذي لعبه فى تطور الحضارة الانسانية ، مع التركيز على ان احكام الاسلام كانت قواعد عارضة لظروف مؤقتة ! (ص 50) . وهذا تجديد فى « اسلوب » الدعوة الى الماركسية : يعتمد على مهادنة الدين ظاهريا قدر المستطاع ، وعدم التهجم عليه بصورة مباشرة كمحاولة لاستقطاب اتباعه حول الايديولوجية الماركسيه ، باقناعهم ان لا تعارض بين الاخذ بعقيدتهم الدينية وبين اقامة حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على أساس اشتراكية !

ب — العقيدة الاسلامية ليست مؤيدة للرأسمالية ولا معادية لازدهارها ! (ص 162) .

1) فالاسلام بادىء ذي بدء لا يعبىء الناس لاغراض اقتصادية ، بل هو دعا الناس الى التمرد على روابطهم القبنية ليدخلوا فى جماعة جديدة غايتها العمل فى سبيل الله . والله قد طلب من عباده أن يعيشوا حياة تقية فاضلة ، دون أن يغيروا من نشاطهم الاقتصادي الطبيعي المعتاد ! (ص 316) .

2) الاسلام لم يفرض على الناس وعلى الحضارة وعلى الدول نهجا اقتصاديا محددا ! ! (ص 181) .

3) الاسلام لم يعترض على صيغة الانتاج الرأسمالي ، وتعاليمه لم تكن ابدا عائقا امام نمو هذه الصيغة ، اي عوائق فى الطريق الى تكوين وضع اقتصادي اجتماعي راسمالي ! (ص 206) .

4) الاسلام لا يمنع المسلم فى اي حال ، عمليا، من أن يستثمر ممتلكاته وفقا للاسلوب الراسمالي مع بقائه الكلي فى حدود الشرع ، ودون أن تغل من نشاطه اية قيود قانونية أو شرعية ، اخلاقية او عرفية ، تزيد عن تلك التي يعرفها « المسيحي » ! (ص 50) .

5) ليس هناك دليل قاطع على أن دين الاسلام هو الذي منع العالم الاسلامي من ان يتجه نحو طريق الرأسمالية الحديثة (ص 181) .

6) من المتفق عليه لدى الجميع ان الوضع الاجتماعي الاقتصادي الراسمالي (اي النظام الراسمالي الحديث) لم يكن فى أي وقت نظاما اقتصاديا لاي من البلدان الاسلامية قبل العصر الراهن (ص 69) .

ج — اذا قررت الدول الاسلامية — ما دامت العقيدة الاسلامية لا تفرض عليها نهجا اقتصاديا معينا أن تصبح مجتمعات صناعية ، فهي امام خيار بين طريقين أساسيين : الراسمالية او الاشتراكية ! (ص 305) .

1) فليس هناك من طريق ثالث — غير الراسمالية او الاشتراكية — ، على عكس ما يظنه

الاقتصاديون الاوربيون الراغبون في الخلاص من هذا المأزق وكثيرون من مفكري العالم الثالث الراغبين في اعطاء لون وطني لبرنامجهم الاقتصادي (ص 305) .

2) وليس هناك اقتصاد مسلم أو مسيحي ، كاثوليكي او بروتستانتي ، افرنسي أو الماني ، عربي أو تركي ، فكل ذلك لا يمكن ان يكون في اقصى احواله الانلونيات سطحية للاختيار الاقتصادي الرئيسي (ص 307) .

3) وليس من الصحة في شيء ، الحكم على مستقبل العالم الاسلامي من خلال « الصورة النوعية» للانسان المسلم أو من خلال « المعتقدية » الاسلامية ، بالذهاب الى القول ان الانسان المسلم مرتبط بقيم قدسية ويفكر على هدى مقولات ليست تلك التي يفكر بها الانسان الاوربي (ص 300) .

والدليل على ذلك أن العقيدة الاشتراكية تجتاح – على صور مختلفة – اكثر البلدان التي نسميها اسلامية . بل ان الشيوعية نفسها وجدت في بعض من هذه البلدان انصارا لا عد لهم (ص 301) .

* * *

ومن الملاحظ في مؤلف ردنسون كظواهر عامة اساسية .

اولا .. عدم التهجم على الدين بالطريقة الماركسية المعتادة ، التي نجد تعبيرا عنها في المبدا القائل : (الدين افيون الشعوب) . فرودنسون رغم كونه ماركسيا وعلمانيا ينظر الى الدين على انه ظاهرة اجتماعيه ، فانه لم ياخذ بهذه « الطريقة الصريحة » ، وانما اختار طريقة اكثر خطرا على الدين ، واشد جاهلية ، تتضح معالمها فيما يلي :

أ – الاسلام مرحلة تاريخية ، بمعنى أن أحكامه كانت قواعد عارضة لظروف مؤقتة جعل المسلمون لها فيما بعد قيمة شاملة تتجاوز مكانها وزمانها (ص 50) .

ب – الاسلام لم يفرض على المسلمين نهجا اقتصاديا محددا (ص 181) . فالله طلب من عباده ان يعيشوا حياة تقية فاضلة ، ولم يطلب منهم تغيير نشاطهم الاقتصادي المعتاد (ص 316) .

ج – التغيير الذي طرا على الحياة الاقتصادية في ظل الاسلام كان بفعل تأثير بعض الحوادث الطارئة كالفتوح وكالتخصص الانتاجي في قلب سوق مشتركة ذات أبعاد عالمية (ص 317) وان المسلمين أسبغوا القدسية على البنى الاقتصادية الجديدة كما لو صدرت عن الله وعن نبيه (ص 317) .

فرودنسون في سبيل اثبات هذه المزاعم–وغيرها كثير – لم يستعمل الكلمات النابية او التي تدعو الى النفور والحذر .. وان خانته حواسه احيانا فافصح عن عدائه الدفين للاسلام بصورة سافرة ، كمطاعنه في القرآن والسنة النبوية الشريفة (ص 45 و ص 48) وما سطره في صفحة 66 بقوله : (وظلت الفوارق بين الاحرار والعبيد ، بين الاقطاعيين والمحرومين ، بين الاغنياء والفقراء ، بقية من لا مساواة اصيلة لا سبيل الى اجتنابها ، ولا هي تنال بالاذى – الا في حالة اساءة الاستعمال – المساواة الوحيدة التي كانت اية دولة تملك ان تحققها على هذه الارض) .

ثانيا .. اهمال الرابطة التي يخلقها التفسير الماركسي للتاريخ بين الاسلام والاقطاع .. « فالاقطاعية » حسب النظرية الماركسية مرحلة ضرورية من مراحل التطور البشري ، بل انها كانت بالذات المرحلة الوحيدة التي امكن أن تتشكل فيها الملامح الاولى للوضع الراسمالي . والاسلام حسب هذا التفسير يدخل في اطار هذه المرحلة ، اي في اطار مرحلة الاقطاع ..

واهمال رودنسون لهذا القانون الماركسي الاساسي ، ليس لاعتقاده بعدم انطباقه على الاسلام ، وانما بسبب طبيعة مؤلفه ، الذي يستهدف استقطاب المسلمين حول العقيدة الاشتراكية . وهذا بطبيعة الحال لا يمكن ان يتم الا بوسائل سلمية لا بوسائل تهجمية . ومن الملاحظ ان رودنسون استخدم هذا الموقف البطولي كجزء من مؤامرته الشيطانية . (اولئك الذين نصح تفكيرهم في ظل الماركسية العقائدية التقليدية كما حددها انجلس ، وكما صيغت في قوالب مدرسية من قبل الجهاز التربوي الذي انشاته الاشتراكية الديمقراطية ، ثم من قبل الجهاز الاداري السطاليني ، أولئك قد لاحظوا دون ريب ، وفي سخط اكيد ، اني في كل هذا الحديث الماضي لم اشر ولو مرة واحدة الى طبيعة الوضع الاجتماعي الاقتصادي الذي ترعرعت فيه تلك البورجوازية الاسلامية . واكثرهم دون ريب كانوا يتوقعون ، من قلم ماركسي ، أن يلصق على هذا الوضع صفة « الاقطاعية » ، ولا سيما أن « موجز الاقتصاد السياسي » ، وهو الكتاب الذي يتضمن الناموس

المرعي الاجراء حاليا في الاتحاد السوفياتي وفي البلدان والاحزاب التابعة للقيادة السوفياتية ، بصنف العالم الاسلامي القديم بين بلدان « صيغة الانتاج الاقطاعي »، وان اضاف الى ذلك بعض الخصائص المحلية (ص 108) .

ثالثا .. الغرض من الكتاب « خدمة » رجال الفكر في البلدان الاسلامية (ص 19) .. وفوق ذلك هو نصيحة لدول العالم الاسلامي . فهذه الدول هي بالذات في واحدة من تلك اللحظات الحاسمة التي تستطيع فيها ان تختار طريقها . ذلك لان تعمم التحرر من الاستعمار ، واقلاع « الامبرياليات » الغربية عن اساليب السيطرة المباشرة ، والمنافسة بين النظامين الاقتصاديين الكبيرين في المجتمع الصناعي ، قد خلقت وضعا نوريا اصبح من الممكن معه ، الى حد ما ، اعلان القطيعة مع الماضي والبدء من منطق جديد !! (ص 304) .

* * *

ان كتاب رودنسون — كما قال مترجمه 1 — ليس دراسة وثائقية لموقف الاسلام من النظام الراسمالي ، بل انه فوق ذلك دراسة نظرية وتحليلية للعلاقات « الجدلية » بين العقيدة الاسلامية وبين المواقف السلوكية والروابط الاجتماعية وعادات التعامل الاقتصادية والبنى السياسية التي تعلن انتسابها الى هذه العقيدة ، على ارضية فكرية محددة، متكاملة المنطق ، متسقة مع معارف الانسان في مرحلتها الراهنة ، هي علم الاجتماع الماركسي — كما يرى ان تكون صورته اليوم — .

الى هذا الحد ، ليس لاي معترض كان ان يعترض على رودنسون ، او على غيره ، لو انه اقتصر على ابداء رايه في العالم الاسلامي وقضاياه .. اما وانه قد تطاول وتمادى حين وجه كتابه الى رجال الفكر في البلدان الاسلامية — خدمة لهم — ليعرفهم على مصيرهم الذي عجزوا عن فهمه ! ، فانه بذلك فرض وصايته الفكرية — التي لا ندري بالتحديد هل هي ماركسية ام يهودية — على اناس يعترف بانه ليس باحسن منهم « ذكاء ومعرفة » ! ! ، وبناء على ارضية فكرية مرفوضة وغير صحيحة في نظر الاسلام والمسلمين ، انتهت به الى آراء ونظريات ابعد ما تكون عن الحقيقة والصواب، وجعلت جهده التاريخي والتحليلي الكبير الذي بذله من اجل تدعيمها ، جهدا عقيما لا يثبت أمام تحليل ، ولا يخلو من نقص ...

ولا اريد ان اتوسع — هنا — في تبيان المقاصد الخفية « المسمومة » . فيكفي شهيدا على ذلك ان رودنسون زعم لنفسه انه استند على افتراضات اجتماعية وتاريخية بالغة العمومية مؤيدة بالمعارف الراهنة والمحاكمات المعتادة في البحث العلمي .. بينما هو — في حقيقة الامر — استند على شواهد ضعيفة ونادرة — هي انحرافات في اصلها عن الاسلام ، اصبحت شمولية في الوقت الحاضر — ليستدل بها على ان الاسلام لم يفرض على اتباعه نهجا اقتصاديا محددا ! وانما ترك الباب مفتوحا ! امام المسلمين لياخذوا باي طريق اقتصادي استحسنوه !!

ان النزاهة العلمية في البحث والاستقصاء والاستنتاج — التي يجب ان تهيمن على كل بحث علمي موضوعي نزيه — ، كانت تفرض على المؤلف — لو انعدمت الغايات الخفية المسمومة — وهو يعالج موضوع الاسلام والراسمالية ، ان يستدل بادلة مستمدة من الاسلام نفسه ، لا بانحرافات المسلمين عن الاسلام !!!

وما دامت هذه الانحرافات لا تمت الى الاسلام بصلة ، فانها من ثمة لا تصلح اساسا ولا تفصيلا للحكم عليه بها .. وهذا بالضرورة يجعل النتائج التي انتهى اليها رودنسون — ما دامت الاسس فاسدة — نتائج فاسدة لا تقوم على اساس صحيح . وهو ما سنراه تفصيلا ...

* * *

ثانيا .. تحديد العلاقة بين الاسلام والراسمالية

ان مشكلة البلدان المتخلفة ، والتناقض المتزايد بين المجتمعات الصناعية وتخمته ، وبين عالم الجوع الذي تتضور فيه بقية الانسانية ، هي احدى المشكلتين أو المشكلات الثلاث الكبرى في عصرنا . ودراسة هذه المشكلة تعني اثارة سلسلة من الاسئلة الاخرى الرئيسية . فهل ينبغي لشعوب العالم الثالث في سبيل بلوغ الازدهار المنشود ، واللحاق بالعالم الصناعي ان تذهب حتى الى التضحية بقيمها — العزيزة عليها — التي خلقت خصوصيتها وفرديتها وهويتها ؟ وهل كانت هذه القيم هي منشا التخلف ، كلها أم بعضها فحسب ؟ ..

---

1) نزيه الحكيم ، سلسلة السياسة والمجتمع ، منشورات دار الطليعة ببيروت ، الطبعة الاولى يناير 1968 .

(هذه هي القضية التي يثور الجدل حولها في كل مكان ، بكل ذلك الحماس وذلك الاندفاع اللذين لا يثيرهما الا ما هو حقا امر حيوي للجميع . وهي موضع جدل بصورة خاصة في هذا الشطر البالغ الاهمية من البلدان المتخلفة ، ونعني به العالم الاسلامي ، اي على التحديد العالم الذي كانت الغلبة فيه للدين الاسلامي خلال القرون الاخيرة ، وهو تحديد لا سبيل الى المبالغة فيه ، لان وحدة هذا العالم ذاته على كل صعيد هي ذاتها موضع جدل) ! (ص 31 و 32) .

والجدل في العالم الاسلامي يدور حول معان اساسية كالتنمية الاقتصادية والاشتراكية ، والراسمالية ، والقومية ، والاسلام . (ص 32) .

وقضية العلاقة بين الاسلام والراسمالية قد ناقشها المسلمون والمستشرقون ، ورجال الاقتصاد والمؤرخون الاوربيون معا . (ولم يكن نقاشا في الفراغ: فالمسلمون ـ تحت وطأة الايمان او القومية ، او كليهما معا ـ كانوا يحرصون على ان يثبتوا ان ميراثهم الديني لا يحول ابدا دون الاخذ بالمناهج الاقتصادية الحديثة والتطوريه ، او ان هذا الميراث موجه بطبيعته نحو العدالة الاقتصادية والاجتماعية ، اما العلماء الاوربيون فالذين ينظرون الى الاسلام نظرة الود اخذوا هم ايضا بواحد من هذين الرايين ، بينما حاول الكارهون له منهم ـ ومعهم جحفل من الدعاة الذين لا يؤيدهم اي علم ـ ان يثبتوا أن الاسلام اذ يمنع تابعيه من اية مبادرة اقتصادية تقدمية يحكم عليهم بالجمود والقعود، او انه ـ في تفسير متأخر ـ يدفعهم بالحتم الى تحالف شيطاني مع الشيوعية الفاسدة المفسدة . وفي الحالتين يمكن أن يستنتج ان الواجب يقضي بمحاربة هذه الشعوب حرصا على تقدم المدنية بصورة عامة) (ص 33) .

ومن استقراء الفقرة الاخيرة ، يستخلص ان :

1) طائفة من المسلمين ترى أن ميراثها الديني لا يحول دون الاخذ بالمناهج الاقتصادية الحديثة والتطورية . ومن رواد هذا الاتجاه محمد عبده ومحمد رشيد رضا ... (هـ. ص 33) .

2) طائفة اخرى ترى ان ميراثها الديني موجه بطبيعته نحو العدالة الاقتصادية والاجتماعية . ويمثل هذا الاتجاه ادب الاخوان المسلمين في مجموعه ، والعالم الباكستاني محمد حميد الله ... (هـ. ص 33) .

3) فئة العلماء الاوربيين الذين ينظرون نظرة الود الى الاسلام ، ياخذون باحد الرايين السابقين . ومنهم « لويس ماسينيون » الذي تقلب بين مواقف متناقضة . . « جان بول رو » و « جان أوستروي » و « جاك بيرك » . . (هـ. ص 33) .

4) اما الفئة الكارهة منهم له ، ووراءها جحفل من الدعاة الذين لا يؤيدهم اي علم ، فتحاول اثبات أن الاسلام هو الذي حكم على المسلمين بالجمود ـ وابرز من قال هذا الراي « ارنست رينان » و « شارل رينه » ـ او يدفع المسلمين الى التحالف مع الشيوعية الفاسدة المفسدة .

* * *

ان تصنيف رودنسون للمواقف المختلفة ، من العلاقة بين الاسلام والراسمالية ، تصنيف لا يخلو من النقص لسببين :

الاول .. انه اهمل راي المسلمين الذين يحددون العلاقه بين الاسلام والراسمالية على اساس أن للاسلام نظامه الاقتصادي الخاص ، باكتفائه حين تعرض لذكرهم بقوله : انهم يرون ان ميراثهم الديني موجه بطبيعته نحو العدالة الاقتصادية والاجتماعية.. وغاية المؤلف من هذه العملية اللاعلمية تتضح في قوة وجلاء حين يعود في صفحة 57 ليبين ان هذه النظرة (التي عرض لها باسلوبه الخاص !) توجد لدى جميع المجتمعات (اذ الواقع ان كل مجتمع له في رايه العام تصور شامل للعدالة الاجتماعية ، خاص به) .

واظنني لست بحاجة الى المزيد في توضيح هذه النقطة . فيكفي ـ بالاضافة الى ما سبق ـ ان المؤلف لم يول أدنى اهتمام للمؤلفات العلمية الاسلامية التي تمثل الاتجاه القائل بل للاسلام نهجا اقتصاديا خاصا ، ككتاب « أسس الاقتصاد بين الاسلام والجاهلية » لابي الاعلى المودودي (امير الجماعة الاسلامية بباكستان) ، وكتاب « خطوط رئيسية في الاقتصاد الاسلامي » لمحمد ابو السعود (مستشار بنك الدولة بباكستان سابقا) ، وكتاب « اقتصادنا » لمحمد باقر الصدر اذا استثنينا الجانب الشيعي منه ..

والثاني .. هو استثناؤه مواقف الماركسيين من هذا التصنيف وغاية المؤلف من هذا الاستثناء تتجلى فيما يلي :

1) اتهام المواقف غير الماركسية ـ سواء كانت لدى المسلمين او لدى غيرهم ـ بأنها : (على بالغ تناقضها ، تستند جميعا الى هذه الفرضية القبلية الضمنية : وهي أن المجتمعات ـ أي الناس في عصر ما

ومنطقة ما ــ تلتزم دائما بعقيدة مسبقة ، فوقية ، وتتقيد بتعاليمها ، وتتشبع بروحها دونما تبديل جوهري ، ودون مواءمة بينها وبين ظروف معاشها وما توحي به هذه الظروف ضمنيا اليها من أساليب تفكير ، وهذه الفرضية القبلية قد لا يعي وجودها أكثر أصحاب تلك الآراء ، تدخل الفساد والبطلان ــ كما يبدو لي ــ على موضوع النقاش نفسه) (ص 34) .

وغني عن كل بيان ، ان المؤلف يلاحظ هذه « الظاهرة » في مواقف غير « الماركسيين بصفة خاصة » وقد تناسى انها تنطبق على مؤلفه أيضا ، لانه هو « نفسه » يلتزم بعقيدة مسبقة (هي الماركسية) متشبع بروحها ، متقيد بتعاليمها ، يسير طبقا لافتراضاتها دون أي تبديل جوهري ! .. واستثناء مواقف الماركسيين يرمز الى :

ا ــ انها مواقف « علمية » تمتاز عن غيرها بالصحة ! .

ب ــ ان قوانين الماركسية ومقولاتها تنطبق على غير الماركسيين وحدهم ، ولو كانت النوازل واحدة !! ..

2) استخلاص ان مواقف الماركسيين هي المواقف الصحيحة لارتكازها على اسلم نظرية للعلاقات بين المذاهب العقائدية والواقع الاجتماعي (وليس هناك الا عدد ضئيل من المؤلفين الجادين ، واغلبهم ذوو اتجاه ماركسي (!) طرحوا القضية بصورة حيوية ، وفي الوقت نفسه وفقا لنظرة اجتماعية أسلم للعلاقات بين المذاهب الايديولوجية والواقع الاجتماعي) (ص 34) .

* * *

وانطلاقا من تزكية التحاليل المستندة على النظرية الماركسية ، يحدد المؤلف في الجزء المتبقي من الفصل الاول ، معنى الراسمالية ، ليتعرض في الفصل الثاني الى تعاليم الاسلام .

مــا هــي الرأسماليــة ؟

يرى رودنسون ان اصطلاح « الراسمالية » قد استخدم في معان كثيرة يمكن تصنيف دلالاتها بين فئتين مختلفتين ، وأن كثيرا من المناقشات التي دارت حول العصور القديمة ، وهل عرفت الراسمالية ام لم تعرفها ، يمكن ارجاعه الى الخلط بين هاتين الفئتين من الدلالات .

فمن جهة أولى استخدمت هذه الكلمة في الاشارة الى مؤسسات (اقتصادية متفرقة ، او الى مزيج من بعض ما يقام به من عمليات في اطار هذه المؤسسات أو أن توحي به . وفي كل الاحوال لم يكن المؤلفون الذين يستعملون مصطلح « الراسمالية » بهذا المعنى يعتبرون أنه ينطبق بالضرورة على مجتمع ما بكلية ، اذ من الممكن ان تتعايش المؤسسات الراسمالية والعقلية الراسمالية في داخل المجتمع الواحد ، مع مؤسسات او مع عقلية من طراز آخر ، بل يمكن ان تكون اقلية في هذا المجتمع ويعد العلماء ، بين الامثلة على هذه المؤسسات او هذه السمات العقلية ذات الطراز الراسمالي جزئيا على الاقل ، الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، والمشروع الحر ، وتطلب الربح كحافز اساسي للنشاط الاقتصادي والانتاج للسوق ، والاقتصاد النقدي ، واسلوب المنافسة ، والعقلانية في ادارة المشروع ... (ص 35 و 36) .

ومن جهة ثانية ، استخدمت كلمة « الراسمالية » وصفا لمجتمع بمجموعة تسيطر فيه المؤسسات التي توصف بالراسمالية والعقلية الراسمالية ، وقد اطلق هذا الوصف بصورة خاصة على مجتمع اوربا الغربية (وعلى امتداداته الاميريكية ، منذ بداية القرن التاسع عشر لدى بعضهم ، ومنذ القرن السادس عشر لدى آخرين ، كما اطلق احيانا على مجتمعات اخرى كالامبراطورية الرومانية في بعض عهودها . (ص 36)

ولما كان من العسير ــ كما يقول رودنسون ــ الاخذ بهذا العدد الكبير من التعاريف المتناقضة ، لذلك ارتئى ان ياخذ بتعريف خاص يفصل في القضية على اساسه (وانا قد اخترت تعاريف تدخل في اطار الفكر الاقتصادي والاجتماعي الماركسي . ولكن ، الامر يقتضي مزيدا من التمييز ، فصحيح ان ماركس والماركسيين قد استخدموا مصطلحي « الراسمالية » و « الراسمالي » باسلوب اكثر اتساقا من اساليب عدد كبير من المؤلفين غير الماركسيين ، ولكنهم هم ايضا قد طبقوا هذين المصطلحين تارة على المؤسسات الاقتصادية الخاصة ، وتارة اخرى على المجتمع الاوربي الحديث الذي نمت فيه هذه المؤسسات اوضح نمو) (ص 37) .

ويفيض في تحليل هذه الظاهرة ومناقشة عناصرها وتحديد المصطلحات التالية : صيغة الانتاج ، النظام الاقتصادي . الوضع الاجتماعي الاقتصادي الراسمالي ، القطاع الراسمالي . وينتهي في الاخير الى انه سياخذ في اعتباره التعاريف الاخرى التي اخذ بها غير

الماركسيين الاكثر اهميـة ، او التي تقتـرب مـن التعاريف الماركسية (فاكثرهـا الان يوافـق على ان تطلق صفة « الرأسمالية » على المجتمع الاوربي ، من الناحية الاقتصادية ، منذ القرن التاسع عشر او منذ القرن الثامن عشر على ابعد الحدود) (ص 43) .

❋ ❋ ❋

وبعد تحديد المشكلة التي يطرحها البحث ومعنى الرأسمالية ، فى الفصل الاول ، انتقل المؤلف الى :

1) عرض تعاليم الاسلام ومواقـف القـرءان والسنـة من النشاط الاقتصـادي ، والاقتصـاد الراسمالي ، والمؤسسـات الاقتصاديـة **الرأسماليـة** (الفصل الثاني) .

2) التعامل الاقتصادي فى **العالـم الاسلامـي** الوسيط (الفصل الثالث)

3) اثر العقيدة الاسلامية **بصورة عامـة** على الصعيد الاقتصادي **(الفصل الرابع)**

4) الاسلام والرأسمالية **المعاصرة فى البلدان** الاسلاميه (الفصل الخامس)

5) نتائج وتوقعات **(الفصل السادس والاخير).**

ومن الملاحظ أن آخر مبحث فى **الكتـاب عنونـه** رودنسـون بـ : « **الاسلام والاشتراكية** » .

عبد الواحد الناصر





— تكلم .. وافصح لنا عن كل صلاتك .. والا ، فالموت المحتم مصيرك ..

واغمض « ادهم الشرفلي » جفنيه قليلا .. ونسي تماما انه امام قاضي التحقيق العسكري الاسرائيلي فى « تل أبيب » وراحت الصور تترى أمام ناظريه كأنه يراها الان وبوضوح تام .

كان فردا فى عائلة صغيرة مستقرة الحال ، تعمل فى النهار وتنام عند بوادر الليل المبكرة .. ويبوح كل فرد من افراد هذه العائلة الصغيرة بآلامه ومأساته وسواد مستقبله الى فراشه القلق اللاهب .

فقد كتب على هذه العائلة التشرد كمئات بل آلاف العائلات الفلسطينية الاخرى .. هم فوق ارضهم ولكنهم لا يشعرون بأي حنين .. وهم فى اوطانهم ولكنهم تعساء .. ليست فى حياتهم نسمة من امل او ومضة من سعادة .

وتمعن المأساة فى هذه العائلة الصغيرة ...

فبعد ان كانت تعيش معا وتسكن بيتا واحدا فى « بئر السبع » ، جاءت النكبة الاولى ، فنزح من العائلة من نزح الى « غزة » بينما « ادهم الشرفلي » انطلق يمعن فى النزوح وكأنه يهرب من واقعه وايامه..

وهو فى الحقيقة لم يبرح فلسطين .. لكنه انتقل من « بئر السبع » الى « الرملة » ، وتشاء الظروف ان يعيش فى هذه المدينة التي استولت عليها العصابات الاسرائيلية دون ان يتمكن من العودة الى اهله فى « غزة » او الامعان فى النزوح الى حيث لا يدري ...

كان لابد على « ادهم الشرفلي » من ان يعمل .. فلم يكن يطيق حياة البطالة .. فاشتغل اول الامر اجيرا فى مطعم .. ثم خادما فى مقهى .. ثم عتالا .. واخيرا افتتح دكانا صغيرا لتصليح الادوات الكهربائية ، وهي المهنة التي كان يتعاطاها فى « بئر السبع » .

ولم تمض سنوات قليلة حتى اطمئن «رحمون» الاسرائيلي الى « ادهم الشرفلي » وشاركه فى عمل كبير فى افتتاح مخزن ضخم لبيع الادوات الكهربائية وتصليحها .

لم يكن الامر سهلا فى ان يطمئن « رحمون » الى « ادهم الشرفلي » ، لكن الاعوام الطويلة التي امضاها « ادهم » فى « الرملة » منحته الثقة التي سعى اليها لدى سكان المدينة وبخاصة اليهود منهم .

وكانت المعرفة بينه وبين « رحمون » قد نشأت عندما كان « ادهم » يعمل فى المقهى وكان « رحمون » من زبنائه .. فنشأت بينهما صلة امتدت مع الايام وطولها .. حتى اذا ما فتح « ادهم » محله الصغير لتصليح الادوات الكهربائية كان « رحمون » من اول زبنائه .

غير ان اليهودي عندما اراد ان يشارك « ادهم الشرفلي » تجسس عليه ولاحقه ، واستقصى اخباره وجولاته .. حتى اذا ما اطمأن اليه فتح له قلبا واسعا عبر منه « ادهم » الى عالم جديد .

ولم يسع « رحمون » الى مشاركة « ادهم » حبا له او عطفا عليه ، بقدر ما كان استغلالا لموهبته الفائقة في تصليح الاوائل الكهربائية التي كانت تستعصي على غيره .

لكن « ادهم » اصبح في يوم من الايام ، واحدا من اغنياء مدينة « الرملة » وممن يشار اليهم .

وصارت الاحوال بين الشريكين علىاحسن مايرام، وحين اعرب « رحمون » لشريكه العربي عن رايه قائلا :

— اما وقد اصبحت غنيا ، فانت غير ملتزم بشراكتك معي ان شئت .

قال « ادهم الشرفلي » ، والف خاطر مارد ينتصب في اعماقه :

— وكيف لي ذلك ، وانت لي الصديق والمعين والشريك .. انني لن اتخلى عنك ، ولكن ذلك بامكانك ان كنت تريد .

فعاد « رحمون » يجدد الثقة بأدهم ويمنحه من وده اكثر مما منح .

* * *

غير ان صورة ذلك الحي الفقير ، وذلك المنزل الصغير ، وتلك العائلة التي تشردت وفكت الايام بعنف ماساتها الاولى اواصر الارتباط بين الافراد ، كانت جميعا ما تزال ماثلة في خاطر « ادهم الشرفلي» وتتعاظم على مر الايام .

وكثيرا ما كان يحن الى اهله وعائلته .. وعبثا كان يبحث عن عين البغة واحدة بين جميع العيون التي حوله .. فأين منه عين محبه وقلب حنون وعصب ينشد الى عصب ، وماساة واحدة تلف الجميع وتطهر القلوب كلها في بركان من اللوعة واتون من الاسى الذي لا يحد ولا ينتهي .

ولم يكن اقسى على « ادهم الشرفلي » من تلك الليالي الطويلة المؤرقة التي كان يمنيها في التذكر واللوعة والحنين الى بيت فقير في « بئر السبع» والى ناس احبة اعزة .

ويقرر « ادهم الشرفلي » يوما التسلل الى « غزة » ليلتقي با هله ممن نزح اليها .

واشتعال نار الشوق في صدره جعله يخفي شكله ويبدل معالمه ويسلك الطريق .. الطريق التي يعرفها شبرا شبرا ، وتلك المسالك الوعرة والحواجز والاسلاك الشائكة التي تفرق بين الاخ واخيه والام واولادها .

والتقى الاحبة .. وتعانقت القلوب ، وذرفت الدموع ، وطلب الى « ادهم » البقاء .. لكنه كان يبحث عن العمل .. العمل الكبير الذي لم يتنه منه بعد ، على الرغم من ان مرور الايام وانقضاء الاعوام .. لكن الايام والاعوام لم تكن في حساب « ادهم » بشيء، فان ما رسمه في افكاره لابعد صورة وصدى من لقاء حافل بالدموع مزين بالبسمات .

وعاد « ادهم الشرفلي » الى « الرملة » ...

ولكنه سرعان ما حن الى احبته ، فسلك الطريق اليهم من جديد ...

وكانت هذه المرة أهون عليه وابسط سبيلا ..

ثم عاد الى « الرملة » مرة اخرى .. عاد الى شريكه اليهودي « رحمون » وهو اشد التصاقا واكثر حبا وابعد تفانيا في خدمته واسترضائه واستعطافه .

لقد عرف الان جدوى العمل ..

العمل الكبير الذي حلم به كثيرا .

فقد تعرف « ادهم الشرفلي » على رجل في « غزة » كشف له عن سر الطريق .. واوضح له جدوى العمل .

* * *

— ان الثقة الممنوحة اليك يا « ادهم » ستسهل علينا العمل .. فكن على التصاق شديد بهم .. واسلك الطريق عبر شريكك « رحمون » فانه رجل ذو نفوذ كبير ، ومنه سوف تحصل لنا على كافة المعلومات التي تطلب منك .

* * *

وينتقل « ادهم الشرفلي » في ارجاء فلسطين المحتلة ، يذهب الى « حيفا » والى « تل أبيب » والى كافة المدن الاخرى .. ويلتقي هناك بعدد كبير من اليهود يرحبون به .. بشريك « رحمون » المخلص ، وينسجم بين هؤلاء واولئك .. ثم يعود من جديد ،

يسلك طرقا معوجة ، في ليال قاسية مرة ، ويلتقي بذلك الرجل الذي عرف سر العمل ، ويضع بين يديه الاخبار والاسرار التي حصل عليها من كل مكان .

ويجيء يوم يقول فيه الرجل « لادهم » :

— انك رجل عظيم ..

وفي اليوم ذاته يقول « رحمون » لادهم :

— انك رجل عظيم ..

وتوضحت شخصية « ادهم » فاذا هو صاحب مكانة مرموقة داخل الارض المحتلة وخارجها .

* * *

وتحل النكسة الثانية .. فتهتز نفوس العرب وتئن قلوبهم في مشرق الارض ومغربها .. ويفكر « ادهم » بالرحيل ، فالمصيبة اعظم من ان تحتمل .. لكن الرجل الذي عرف سر العمل يلتقي بأدهم ويخبره بالاستمرار في خدمة « رحمون » والتفاني في ارضائه الى أبعد الحدود .. فقد جاءت ساعة العمل المجدي ، وباتت اسرار « ادهم » التي يحملها في كل يوم من الارض المحتلة .. نارا تتفجر في كل مكان ولهيبها يحرق مضاجع اليهود .

وكانت كلمة الرجل :

— انك عظيم يا « أدهم » .. ولكن حذار من مغامراتك ، فقد يشك « رحمون » بك لانك غدوت كثير التغيب دائم التنقل غير منصاع كثيرا لاوامره.
لكن « ادهم » يقول :

— لم يعد بامكاني اكثر من هذا .. فالاعوام العشرون التي انقضت حرقت في جوفي كل شيء .. واخشى ان ادفن في رماد نفسي .. لم اعد اطيق .. لم اعد اطيق .

* * *

— تكلم .. وافصح عن كل صلاتك يا « ادهم » ، والا فالموت المحتم مصيرك .

ويفتح « ادهم الشرفلي » جفنيه ليبصر قاضي التحقيق العسكري الاسرائيلي يكاد يلتهمه بنظراته ، وقد جلس قربه ضابط المخابرات .. اما الشخص الثالث ، فقد كان « رحمون » شريك « ادهم الشرفلي » ورجل المخابرات العريق .

— لماذا لا تتكلم يا «ادهم» .. هل افقدك التعذيب القدرة على الكلام .. ؟

ابتسم « ادهم » ابتسامة ساخرة ، وقال :

— التعذيب .. ؟ هل تسمون الضرب والكي بالكهرباء وابعاد الماء والطعام تعذيبا .. ؟

التعذيب .. هو هذا الجرح الذي نحمله في اعماقنا منذ عشرين عاما ..

وارتفعت ضحكته تجلجل، وهو يقول :

— سأتلذذ اذ اراكم تتحرقون لسماع كلمة .. لكنني سأشهد طوفان الحقارة يخنقكم ويميتكم .

ويصرخ ضابط المخابرات :

— اخرس ايها اللعين .. لقد كان علينا ان نكتشفك منذ أمد طويل .. ولكننا افسحنا لك المجال وأوليناك من نفوسنا كل قرب لنعرف من انت ..

قال « ادهم » صائحا :

— وهل عرفتم من انا .. ؟

قال قاضي التحقيق :

— جاسوس مخادع وانسان لئيم ..

قال « ادهم » ضاحكا :

— كلا .. انما انا رجل عظيم ... اليس كذلك يا « رحمون » الم تقل لي هذا بنفسك ... ؟

قال « رحمون » ممتعضا :

— لقد شككت فيك ، وكان علي ان اتصرف منذ وقت ..

رد « ادهم » :

— يا لذكائك المفرط .. انك عندي اغبى من رايت في عمري ..

احتد « رحمون » وهو يقول :

— اخرس ايها النذل الحقير ..

وقال قاضي التحقيق :

— جاسوس حقير ..

وقال ضابط المخابرات :

— جاسوس حقير ...

وارتفعت ضحكة « ادهم » مرة اخرى وهو يقول:

ـــ جاسوس لمن يا احقر الناس ... اجاسوس من يعمل لاهله .. لنفســه .. لوطنــه .. لامتــه ... يا أغبى البشر .. ؟

وران على غرفة التحقيق هدوء نسبـي امتـد لحظات ، مزقه ضابط المخابرات ، حين قال :

ـــ والان . افصح لنا يا « ادهم » عن كل صلاتك.. ونعدك ان نفرج عنك .

فابتسم « ادهم » قبل ان يجيب :

ـــ كل ما لدى سلمتــه للرجـل الذي يعرف سـر العمل .. ابحثوا عنه ان كنتم اذكياء .. إبحثوا عنه..

انه هنا .. هناك .. فى كل مكان .. انه ذلك العربـي الثائر الذي يحيل ليلكم الى نهار ... وسباتكـم الى يقظة ، وراحتكم الى قلق دائم مستمــر ، ونشوتكم الى رجفة مميتة من ذكر اسمه .. ابحثـوا عنـه .. ابحثوا ان كنتم اذكياء ...

❊ ❊ ❊

وارتفعت مشنقة فى « تل أبيب » ..

واعتلت نجمة قبة السماء تزين الليل .. كـل ليل ، وتنير الطريق للعابرين .

حمص ـ عدنان الداعوق





المغـــرب :

※ صدر عن وزارة عموم الاوقاف والشـــؤون الاسلامية ، الجزء الثاني من كتاب « التمهيد » لابن عبد البر .

※ انتهى العمل ، فى وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، من تحقيق الجزء الرابـــع من كتـــاب « المدارك » للقاضي عياض ، وقد دفع هذا الجزء الى المطبعة .

※ انهت مجلة « دعوة الحق » التي تصدر عن وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية سنتها الثانيـــة عشرة ، ودخلت بهذا العدد فى سنتها الثالثة عشرة .

※ كما أنهت مجلة « الارشاد » التي تصدر عن نفس الوزارة ، سنتها الثانية ودخلت فى سنتها الثالثة .

※ حل بالرباط العلامة الكبير السيد أبو الاعلـــى المودودي ، رئيس الجماعة الاسلامية بباكستان ، ضيفا على وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وذلك بعد انتهاء أعمال المؤتمر التأسيسي لجمعية الجامعات الاسلامية ، الذي انعقد بمدينة فاس فى أواسط شهر شتنبر المنصرم .

※ صدر فى القاهرة للاستاذ السيد عبد الله كنـون كتاب بعنوان : « لقمان الحكيم » .

※ الدكتور محمد عزيز الحبابي ، صدرت له عـــن الدار التونسية للنشر مجموعة قصصيـــة بعنـوان : « العض على الحديد » . وقد انتدب الدكتور الحبابي للعمل فى الجامعة الجزائرية هذه السنة .

※ تستعد وزارة الدولة للشؤون الثقافية لتحضير الحلقة السابعة للدراسات الاسلامية التي ستعقـــد بمدينة طنجة فى النصف الاخير من شهر دجنبر المقبل .

※ صدرت للاستاذ ربيع مبارك مجموعة قصصيـــة عن دار المصراتي بليبيا بعنوان : « سيدنا قـدر » ، وهي من منشورات اتحاد كتاب المغرب .

※ ينوي اتحاد كتاب المغرب اصدار عدد خاص من مجلة « آفاق » متضمنا لمنتخبات قصصية لكتـــاب مغاربة .

※ بمناسبة الموسم الدراسي الجديد ، عقد وزيـــر التعليم الابتدائي ندوة صحفية بمقر وزارته تحدث فيها عن سياسة التعليم الابتدائي ، والمشاريع التـــي سيحققها فى المستقبل .

※ اصدرت دار الفكر كتاب « القراءة والاعمـــال الموجهة » وهو من تاليف الاستاذ السيد عبد المجيد بن جلون .

※ تحت اشراف وزير الشبيبة والرياضة والشؤون الاجتماعية نظم مركز المنار محاضرتين قام بالقائهمـا الاستاذ بيرار الذي يعمل استاذا بكلية العلوم بناسي، والاستاذ فالانس استاذ علم النفس بنفس الكلية .

※ عاد الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ، المدير العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي مـــن جولته فى آسيا الوسطى ، وروسيا ، وبولونيا ، حيث اتصل بمعاهد الاستشراق والقى عدة محاضـــرات وأحاديث اذاعية حول المستقبل العلمي للغة العربية كلغة عمل فى المحافل الاممية وكذلك حول الوجـــه الصحيح للاسلام ، كما عرض نظرية « جديدة » تثبت وحدة أصيلة بين اللغات استنادا الى ثنائية الحـــروف الجـذريـــة .

* اعلنت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي عن جائزة المغرب لهذه السنة .

* زار المغرب مؤخرا الصحفي اللبناني حنا غصن .

* اصدرت وزارة البريد المغربية سلسلة من الطوابع الخاصة بالازياء ، كما أصدرت طابعا تذكاريا بمناسبة انعقاد المؤتمر الاسلامي للقمة في الرباط .

* نظمت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي مؤتمرا لجمعية الجامعات بمدينة فاس . وبهذه المناسبة زار المغرب عدد من الشخصيات الثقافية المرموقة في عالم الفكر كالاستاذ أبي الاعلى المودودي ، والدكتورة بنت الشاطىء ، وسواهما من الاعلام .

* اقامت جمعية « المعتمد » بشفشاون المهرجان الخامس في موضوع « الشعر المغربي الحديث والنقد » شاركت فيه نخبة من الشعراء والكتاب المغاربة .

* في اطار المهرجان السينمائي الذي أقيم بالمغرب زار بلادنا الاستاذ البشير خريف كعضو في الوفد التونسي .

* يستعد اتحاد كتاب المغرب لاقامة «أيام جزائرية» على غرار « أيام ليبية » و « ايام تونسية » التي نظمها في السنة الماضية . وسيستدعي لهذا الموسم شخصية أدبية جزائرية مرموقة ليساهم في الموسم الجزائري .

* قام بزيارة للمغرب الاستاذ باباخانوف شمس الدين من الاتحاد السوفييتي لالقاء عدة محاضرات عن حياة الشعوب في الجمهورية السوفييتية الاسيوية . وقد نظمت له وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي برنامج هذه الزيارة .

* صدر لمجموعة من الاساتذة الجامعيين كتاب «متنوعات محمد الفاسي» ، تنويها بمجهودات الاستاذ محمد الفاسي بما قام به في عالم الثقافة ، والبحث ، والجامعة .

* يعكف الاستاذ عبد الله الجراري على تحرير كتاب يشتمل على مذكراته التي تكشف عن مظاهر الحياة التي عاشها في الكتاب ، والبيت ، والادارة ، والمجتمع ، والتي كادت معالمها أن تختفي .

* قدم الاستاذ محمد ابن شقرون ، مدير النشاط الثقافي العام بوزارة الثقافة الترجمة العربية لاطروحته الى المطبعة . ومن المنتظر أن تصدر في أوائل السنة المقبلة .

* استأنفت وزارة الدولة المكلفة بالثقافة موسمها الثقافي الجديد بسلسلة المحاضرات التي تلقى مساء كل يوم اثنين .

* بدعوة من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي قدم الى المغرب **الاستاذ الدكتور** محمد كمال شبانة لالقاء محاضرات **في الكليات التابعة** لهذه الوزارة في مادة **التاريخ الاسلامي والحضارة** الاسلامية، والدكتور شبانة **معروف في أوساط** المغرب الثقافية بأبحاثه المغربية **والاندلسية** ومن اسرة تحرير هذه المجلة ومجلة **«البحث العلمي»** .

تونس :

* آخر ما صدر عن الدار التونسية للنشر مسرحية « زهرة النسيان » من تاليف الكاتب الفرنسي روني لابورت ، قام بترجمتها الى اللغة العربية حسن الزمرلي

* اصدر الكاتب التونسي محمد المرزوقي كتابا في التاريخ التونسي بعنوان « الدغباجي » .

* يستعد الادباء التونسيون لتأسيس : « اتحاد كتاب تونس » .

* يصدر عن مجلة « الفكر » التونسية كتاب بعنوان « من وحي الفكر » .

* قام الاستاذان محمد مزالي ، والبشير ابن سلامة بنقل كتاب « تاريخ افريقيا الشمالية » لمؤلفه أندريه جوليان الى اللغة العربية ، وصدر الكتاب في تونس عن الدار التونسية للنشر .

* أشرف السيد رئيس الجمهورية التونسية على الملتقى السابع لهواة الادب بمدينة المنستير .

* نظم بمدينة الكاف مهرجان بوغرطة الثالث .

الجمهورية العربية المتحدة :

* اصدرت وزارة الثقافة بالقاهرة مجلة خاصة بالاطفال .

✻ « أيام بلا خوف » رواية من تأليف عزمي لبيب احمد ، الحائزة على جائزة نادي القصة في مسابقة الرواية ، ستصدر قريبا ، وتدور هذه الرواية على فلسطين .

✻ صدر حديثا للدكتور محمد كمال شبانة استاذ التاريخ والحضارة الاسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة :

1 — يوسف الاول ابن الاحمر ابو الحجاج سلطان غرناطة (733 — 755 هـ) — نشر لجنة البيان العربي بالقاهرة 1969 م (672 صفحة) .

2 — كتاب « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » للوزير لسان الدين ابن الخطيب — نشر دار الكاتب العربي بالقاهرة 1969 م (200 صفحة) .

✻ عكف القاص المصري عبد الله الطوخي على جمع كل ما يتعلق بالمفكر المصري أبو بكر حمدي سيف النصر .

✻ سيفتتح عما قريب في القاهرة معهد التذوق الفني .

✻ أصدر الاستاذ أنور الجندي كتابا جديدا يضم دراسات عن أعلام الفكر الاسلامي ، كابن خلدون ، وابن حزم ، وابن حنبل ، وابن تيمية ، وابي حنيفة ، والغزالي ، والامام مالك . الكتاب بعنوان : الحياة العالية ، كما صدر لنفس المؤلف كتاب « الاسلام في عالمنا المعاصر » .

✻ يصدر الاستاذ محمد البهي وزير الاوقاف وشؤون الازهر تفسيرا علميا للقرآن الكريم .

✻ صدر عن دار الكاتب العربي الجزء الاول من كتاب : « الفن والمجتمع عبر التاريخ » لهاوسر ، ترجمة فؤاد زكريا ، كذلك اصدرت الدار « حكاية حب » وهي مسرحية لناظم حكمت ، وترجمة اكمل الدين احسان ، و « القصة الجزائرية القصيرة » من تأليف عبد الله الركيبي ، وتصدر الدار كذلك « دراسات في الفن » للفنان الراحل رمسيس يونان و « سولارا » للشاعر السوداني محمد الفيتوري .

لبنان :

✻ يقام في لبنان مهرجان كبير لجبران خليل جبران على مستوى عالمي . ويشرف على هذا المهرجان بعض أساتذة الجامعات وكبار الادباء ، وسيستدعى له عديد من أدباء البلاد العربية ، وبعض المستشرقين .

✻ فؤاد الخوري ، صدر له مؤخرا كتاب بعنوان : « من الزوايا » .

✻ نعت لبنان الاديب المعروف يوسف السودا ، الذي يعتبر رائدا من رواد الحركة الفكرية في لبنان .

✻ كتاب جديد للامير شكيب أرسلان صدر مؤخرا ببيروت تحت عنوان : « سيرة ذاتية » يشتمل على أسرار حياته العامة والخاصة .

✻ عن دار الاداب ببيروت صدر للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ديوان بعنوان : « الليل والفرسان » .

✻ الخليج العربي او الحدود الشرقية للوطن العربي» اسم كتاب صدر أخيرا وهو من تاليف السيد نوفل ، الامين العام المساعد لجامعة الدول العربية . ويتضمن الكتاب وثائق مهمة تنشر لاول مرة .

✻ الاثار الكاملة للاديب اللبناني سعيد تقي الدين ، ستصدر قريبا عن دار النهار في خمسة أجزاء ، وستتضمن مجموعة من مسرحياته ، وقصصه ، ومقالاته الادبية ، والسياسية ، وخطبه ورسائله .

✻ « المكاري والكاهن » رواية صدرت لامين الريحاني في طبعتها الثالثة .

✻ « في سبيل الحق ، هيكل سليمان ، او الوطن القومي لليهود » ، صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب الذي هو من تأليف الفقيد يوسف الحاج .

✻ صدر للشاعر الكبير بولس سلامة كتاب ضخم بعنوان « تحت السنديانة » يتضمن ذكرياته القروية .

✻ انشىء في لبنان معهد للصحافة تابع للجامعة اللبنانية مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات .

✻ ضمن منشورات مجلة : « مواقف » اللبنانية ، ستصدر هذه الكتب : « أحزان كثيرة وثلاثة غزلان » لمؤلفه جمال ابو حمدان و « التراث والثورة » لادونيس وعن دار النهار صدرت رواية « عودة الطائر الى البحر » للكاتب الفسلطيني حليم بركات صاحب رواية « ستة ايام » .

سوريا :

✻ عن وزارة الثقافة بدمشق ، صدر القسم الثاني من كتاب « البستان » مشتملا على مجموعة من الحكم

الشعرية للشاعر الاسلامي سعدي الشيرازي ، نقلها شعرا من الفارسية الى العربية الشاعر محمد الفراتي

● كما صدر عن نفس الوزارة كتاب من تاليف عبد الله نيازي .

● ستصدر في كتاب مجموعة مختارة من الآثار الشعرية والنثرية للكاتبة السورية الفقيدة ماري عجمي ، وهي كذلك من منشورات وزارة الثقافة .

● اصدر الروائي السوري محفوظ أيوب رواية جديدة باسم : « زهرة في قبر »

● صدر للشاعر فواز عيده ديوان « اعناق الجياد النافرة » .

● « تلويحة الايدي المتعبة » المجموعة الشعرية الثانية للشاعر ممدوح عدوان . المجموعة الاولى صدرت سنة 1967 بعنوان « الظل الاخضر » .

العراق :

● « تحرير فلسطين عنوان كتاب صدر للباحث العراقي خضر عباس الصالحي

● اصدر الاستاذ صالح احمد العلي الذي يعمل مدرسا بكلية الاداب بجامعة بغداد كتابا بعنوان : « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري »

● ظهر في المكتبات اخيرا كتاب « حكايات من السلاطين » لمؤلفه امون صبري .

● صدرت في بغداد مجلة جديدة تصدرها كلية البنات بجامعة بغداد بعنوان « الاديبة » .

● مجموعة قصص جديدة صدرت للقاص العراقي حازم مراد تحت عنوان : « الرجل الذي يكره النساء »

● المؤلف العراقي ناجي جواد صدر له في بيروت كتاب بعنوان : « رحلة الى الاندلس » .

● قصائد الشاعر المرحوم بدر شاكر السياب جمعها حسن توفيق ، وينوي نشرها في كتاب قريبا . بعض القصائد لم يسبق نشرها .

● يعد الكاتب العراقي خالد قشطيني ، كتابا بعنوان « الحكم غيابيا : القضية الفلسطينية في نظر العالم الغربي »

فلسطين :

● يصدر للشاعر الفلسطيني محمد عز الدين المناصرة ديوان جديد بعنوان : « الخروج من البحر الميت » . صدر له من قبل ديوان : « الدم في الحرائق »

● « رسالة من السجن الكبير » ديوان شعر من الارض المحتلة للشاعر احمد ياسين . صدر منذ مدة قريبة .

الاردن :

تنفيذا لقرار مجلس جامعة الدول العربية ، فقد قررت وزارة التربية الاردنية حصر اسماء الاماكن الجغرافية في الاردن ، والفت لجنة لهذا الغرض .

● يقع حاليا التنقيب من آثار موقع طويلان ، قرب البراء وذلك لتحقيق ما ورد من اخبار القرن العاشر قبل الميلاد عن هذا الموقع .

● « في سبيل القدس » كتاب صدر عن منشورات مكتبة عمان لمؤلفه الاستاذ ممن ابو ثوار .

الكويت :

● الشاعر الكويتي خالد محي الدين البرادعي صدرت له مجموعة بعنوان : « اناشيد الانصار » .

● « الحان الثورة » ديوان للشاعر الفقيد محمود شوقي عبد الله الأيوبي ، صدر في هذا الشهر .

● « الملاحة في الخليج العربي » مؤلف جديد ظهر في الكويت ، وهو من تاليف عيسى احمد الشمي .

المملكة العربية السعودية :

※ اصدر الاستاذ السيد عبد الوهاب احمد عبد الواسع كتابا عن «التعليم فى المملكة العربية السعودية» يعتبر سجلا حافلا بالمعلومات عن ماضي التعليم فى المملكة السعودية وحاضرها ، معززا بالارقام والوثائق.

يوغوسلافيا :

※ اقيم بمدينة ستروكا بيوغسلافيا مهرجان دولي للشعر ، حضره مندوبون شعراء عن بعض الاقطار العربية والغربية . واشتمل المهرجان على نقاش حول الشعر والالتزام وتلاوة شعرية فى مختلف اللغات ، على ان كل القصائد كانت مترجمة الى اللغة المقدونية ، بينما كانت اللغة المستعملة فى الندوة : الانجليزية ، والفرنسية ، والروسية ، واليوغسلافية .

انجلترا :

※ توفى عن سن تبلغ 88 سنة ، الكاتب الانجليزي ليونار دولف ، زوج الروائية فرجينيا وولف التي ماتت منتحرة عام 1941، نشر وولف الزوج عددا من كتب السياسة والتاريخ الى جانب ترجمة ذاتية .

اعتذار ...

نشرنا فى عدد غشت الماضي من مجلتنا فى باب « معرض الكتب » تعليقا على كتاب « التجربة المغربية »للصحفي اللبناني السيد محمد عنان الذى زار المغرب عدة مرات ، وكتب عنه انطباعات وارتسامات .

وقد نسب المعلق هذا الكتاب ، لتشابه الاسمين ، الى المؤرخ الكبير الاستاذ محمد عبد الله عنان الشهير الذى اغنى المكتبة المغربية بمؤلفاته القيمة .

ونحن نعتذر لقرائنا الكرام عن هذا الخطأ الذى وقع فيه معلقنا ، كما نعتذر للاستاذ الكبير الباحث محمد عبد الله عنان فى نسبة هذا الكتاب اليه وتؤكد ما تضمنه كتاب «التجربة المغربية» من عواطف صادقة وارتسامات صحفي زار المغرب واعجب به .

فمعذرة مرة اخرى .. وشكرا ..